إقرأ

المزاعم الصهيونية في فلسطين

فتحي فوزي عبد المعطي

دار المعارف

المزاعم الصهيونية فى فلسطين

فتحي فوزي عبد المعطي

المزاعم الصهيونية في فلسطين

اقرأ ٢٧٤

دار المعارف بمصر

اقرأ : ٢٧ - أكتوبر سنة ١٩٦٥

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر — ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة ج.ع.م.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مما لا شك فيه أن قضية فلسطين ليست من القضايا التى تشغل الرأى العام العربى فحسب . . ولكنها من أهم المشاكل التى تهم الرأى العام العالمى كله .

وإن قيام إسرائيل فى فلسطين منذ سنة ١٩٤٨ وبقاءها حتى الآن ، لمن أكبر العوامل على إثارة الفتن والقلاقل فى منطقة الشرق الأوسط ، وما يتبع ذلك من آثار على مجريات الأحداث العالمية ، مما يهدد فى كثير من الأحيان باندلاع حرب عالمية ثالثة .

ومنذ بدأ تيار القومية العربية يجرف أمامه كل ما يعترض طريقه من عناصر الرجعية وعملاء الاستعمار ؛ ليصل بالركب العربى إلى بر السلام . . ومنذ تعالت صيحات الحرب مدوية قوية تعلن فى عزم وإصرار استرداد الأرض السليبة .. منذ ذلك الوقت وإسرائيل تحاول بكل طاقاتها أن تصمد أمام قوة العرب ، ووقف المستعمرون بجانبها — كما وقفوا معها من قبل يمدونها بالمال والسلاح آملين.. الإبقاء عليها كقلعة لهم.. يحتمون فيها إذا ما اضطرتهم الظروف إلى ذلك .

ولم يقف المستعمرون والصهاينة عند هذا الحد . . بل راحوا يوهمون الرأى العام العالمى بمزاعم وافتراءات ، يحاولون بها أن يبرروا حقهم فى فلسطين ، واندفعت إذاعاتهم وأبواقهم تنشر الأباطيل ، وتنفث السموم هنا وهناك ، علهم يكسبون مزيداً من الأصدقاء ، وعديداً من المؤيدين .

ولما كان من الضرورى أن يعرف العالم حقيقة مزاعم الصهيونية . . رأينا أن نكشف القناع عن بعض هذه الادعاءات ، لتبدو الحقائق واضحة جلية . ليتأكد من يعرفها ، وليعرفها من كان يجهلها .

وفى هذا الكتاب سندرس مزاعم الصهيونية ، ونناقشها من جميع الاحتمالات لنؤكد هنا أن فلسطين دولة عربية ، وأن اليهود ليس لهم حق فيها .

والله نسأل أن نكون قد وفقنا فيما نهدف إليه . وأن نكون بهذا الجهد المتواضع قد ساهمنا فى توضيح معالم الحق . من أجل الحق .

والله ولى التوفيق .

المؤلف

الباب الأول

بين اليهودية . . والصهيونية

لا بد لنا فى أول الأمر أن نستعرض الأحداث التاريخية الهامة التى توالت على فلسطين منذ قامت بها دولة يهودية فى عصور ما قبل الميلاد . . إلى أن ولدت بها دولة إسرائيل المزعومة خلال النصف الأول من القرن العشرين .

صحيح أن كثيراً من الكتاب قد سبقونا إلى سرد كثير من التفاصيل عن هذا التاريخ الطويل إلا أننا نرى لزاماً علينا أن نلقى الأضواء على بعض الزوايا الهامة لتلك الحوادث التاريخية ، حتى نستطيع أن نتبين أكاذيب الصهيونية ، ولنرى إلى أى حد تنفث الصهيونية سمومها ، وتنشر مزاعمها ، لتضلل الرأى العام العالمى . ولتوهم الناس بأن اليهود أصحاب حق فى فلسطين . .

وقبل أن نسترسل فى الحديث . . يجدر بنا أن نفرق بين دعوتين مختلفتين عاشتا فى عصرين متباعدين ، وكان لكل منهما أهداف خاصة ، ونقصد بهما : الدعوة اليهودية ، والدعوة الصهيونية .

فاليهودية : دين سماوى . . بل هو أول الأديان السماوية . . أنزله الله على نبيه موسى عليه السلام ، وأمره أن يبلغ تعاليمه إلى بنى إسرائيل ، ويدعوهم إلى عبادة الرب ، ونبذ ما عداه من الأشخاص والأصنام والظواهر الطبيعية التى انتشرت عبادتها فى ذلك الوقت البعيد ، ولما كانت هذه الدعوة تقوم على أسس من السمو الإنسانى ؛ فقد لقيت مسرحاً

واسعاً لانتشارها لا بين بنى إسرائيل فحسب، وإنما فى كثير من دول العالم وشعوبه وأجناسه المختلفة ، واستطاعت هذه الدعوة أن تغزو كثيراً من القلوب التى كانت تخضع ــ كارهة ــ لجبروت الإنسان وترغمُ على عبادة الملوك ، فكانت هذه الدعوة إنقاذاً للبشرية وإعلاء للإنسانية ، وسمواً بالعقل إلى عبادة الله دون غيره ، وقد بدت آثار الله وحكمه فى كثير من المواقف على بنى إسرائيل .

أمَّا الصهيونية : فهى دعوة حديثة ، من نوع آخر ومن طراز جديد . . بعيدة كل البعد عن الدين ، ولئن حاول أصحابها والقائمون بها أن يتخذوا من الدين ستاراً يخفون خلفه حقيقة دعوتهم ، ويحجبون بهذه الأستار سوء نواياهم وأغراضهم الشخصية ونزعاتهم القائمة على التعصب، واتجاهاتهم المبنية على العنصرية والانتهازية . . نقول لئن حاول هؤلاء أن يتخذوا من الدين ستاراً . . إلا أن الحق سريعاً ما يظهر ، والأباطيل سريعاً ما تنهزم ، فتبدو الحقيقة واضحةً ظاهرة لكل ذى عقل .

فشتَّان بين دعوتين : إحداها من عند الله ، والثانية اختلقها شياطين الإنس ، وابتدعها طريدو البشرية .

وفى الفصلين التاليين : سنتتبع معاً مراحل كل من الدعوتين .

الفصل الأول

اليهودية . . قديماً

تُنْسب الدعوة اليهودية إلى الإله (يَهُوه) إله العبرانيين الذين عرفوا ببني إسرائيل ، وكان منهم موسى عليه السلام رسول الدعوة اليهودية .

والتاريخ يحدثنا عن الأحداث التي وقعت قبل مولد موسى ، والتوراة كتاب اليهود المقدس . . تروى لنا كيف خرج سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو الجد الأكبر للأنبياء ومنهم موسى . . خرج إبراهيم من « أور » فى أرض الكلدانيين حوالى سنة ١٨٠٠ ق.م. ، واتجه غرباً ومر فى طريقه على كثير من المناطق الممتدة ما بين العراق والبحر الأحمر ، وأنجب ولديه : إسحق وإسماعيل ، أما إسحق فقد أنجب ابنه يعقوب (إسرائيل) الذى ينتسب إليه بنو إسرائيل .

وقد ذكرت التوراة — كما ورد فى القرآن الكريم — قصة يوسف عليه السلام أحد أبناء يعقوب ، وكيف أصبح يوسف فيما بعد أميناً على خزائن مصر حتى تعرف على إخوته حينما جاءوا إليه يطلبون قمحاً . . وينتهى الأمر بمجىء الإسرائيليين إلى مصر حوالى سنة ١٦٥٠ ق.م. حيث عاشوا فيها ينعمون بخيرها مدة طويلة ، ولكن هؤلاء الإسرائيليين سعوا إلى خدمة الهكسوس أعداء مصر ، وأصبحوا لهم عوناً ضد الشعب ؛ مما جعل المصريين يكرهونهم ، ويحقدون عليهم ، ثم بدأ نجم الإسرائيليين فى الأفول ، وزادت كراهية الشعب المصرى لهم ، وأصبحوا كجماعة غير مرغوب فى بقائهم ؛ فأذاقهم المصريون العذاب ، واتخذوا منهم

عبيداً فى بيوتهم وأجراء فى أرضهم . وأجبرهم الحكام على تعبيد الطرق وشق الترع ، وسخرهم الملوك فى بناء المعابد والمقابر ، وحاول الإسرائيليون الهرب من مصر فلم يتمكنوا ، ومضت الأيام وهم أشبه ما يكونون بالمسجونين أو المنبوذين ، ومع كل يوم يشتد إيذاء المصريين لهم ، وتتضاعف كراهيتهم ، وتتسع الهوة بين الطرفين . وقد تفاقمت الأمور سوءاً بعد أن تنبأ أحد العرافين لفرعون مصر فى ذلك الوقت بأنه سيولد من بنى إسرائيل من يكون سبباً فى هلاكه ؛ لذلك أمر فرعون بذبح كل إسرائيلى يولد .

فى تلك الأثناء ولد موسى . . فوضعته أمه فى صندوق ، وألقت به فى اليم ، وشاء القدر أن يشب موسى فى قصر فرعون حتى امتلأ عوده ، ثم حدث ذات يوم أن قام نزاع بين مصرى وإسرائيلى ، فتدخل موسى لنصرة الإسرائيلى ، وانتهى الأمر بقتل المصرى ، فخاف موسى وفر هارباً حيث وصل إلى أقاربه عند مدين ، وعمل هناك عشر سنوات تزوج بعدها ابنته .

وفى إحدى الليالى نزل الوحى على موسى ، وأمره الله أن يذهب إلى فرعون ويدعوه إلى عبادة الله ، وأن ينقذ بنى إسرائيل من عذاب المصريين ؛ فعاد موسى إلى مصر وأظهر لفرعون معجزته السحرية ، ولكن فرعون رفض أن يؤمن بإله موسى بينما آمن به كثير من الإسرائيليين وفروا مع موسى حيث عبروا فى طريقهم بحر (سوف) ، وتبعهم فرعون وقومه ولكن الله أغرقه ومن معه ، ووصل الإسرائيليون إلى سينا ، وعاشوا فيها بعض الوقت ، ولكنهم عصوا ربهم وأهملوا تعاليم دينه ، وضلوا طريق الهدى ، فتاهوا فى البرية أربعين عاماً . . حتى إذا كثر عددهم هاجموا أرض كنعان (فلسطين) سنة ١٠٠٠ ق.م. ، واستطاعوا أن يستولوا على أجزاء من التلال الداخلية ، ولكنهم لم يتمكنوا من السيطرة على

الساحل الذى كان فى يد الفينيقيين ، وفشل العبرانيون أيضاً فى دخول المدن المحصنة مثل : يافا وغزة وعسقلان .

وعاش الإسرائيليون فى المنطقة التى استولوا عليها دون أن يهدأ لهم بال أو يطيب لهم عيش . ودب النزاع والشجار بينهم وبين جيرانهم من الفلسطينيين والمؤابين والميديين وغيرهم ، .وكثيراً ما قامت بين الفريقين حروب كثيرة كانت تنتهى فى أغلب الأحيان بهزيمة اليهود .

وارتفع نجم العبرانيين فى بعض الفترات كما حدث فى عهد داود وسليمان . وانتشرت الديانة اليهودية خارج فلسطين ، ولم تعد مقصورة على بنى إسرائيل وحدهم ، وإنما تسربت إلى غيرهم من سكان فلسطين وجيرانها. فوصلت إلى العراق شرقاً وإلى شبه الجزيرة العربية كما وصلت إلى اليمن فى عهد الملكة بلقيس (١) جنوباً . . إلا أن فترة قوة اليهود لم تدم طويلا . فقد توالت عليهم المحن، وتعاقبت عليهم الأحداث المؤلمة ، وتعرضوا أكثر من مرة لهجمات الدول الكبرى(٢) فى ذلك الوقت حتى استطاع (شيشنق) أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين فى مصر أن يستولى على أورشليم ويخضع اليهود ويذلهم ، وانقسمت دولة اليهود إلى مملكتين :

١ — إسرائيل : فى الشمال وكانت عاصمتها السامرة .

٢ — يهوذا : فى الجنوب وكانت عاصمتها أورشليم .

ثم قام النزاع بين الدولتين ، ونسى اليهود تعاليم الرب وأسس الدين ، فسلط عليهم الرب أعداءهم ، وألقى بهم فى أيدى جيرانهم الذين أذاقوهم العذاب وأنزلوا بهم الكثير من الهزائم المتلاحقة ، فضلا عما أصاب

---

(١) راجع ما جاء فى سورة النمل عن قصة بلقيس وسليمان .

(٢) الفراعنة ، البابليون ، الآشوريون ، الفرس .

اليهود من تفكك وانقسام لا بين دولة الشمال ودولة الجنوب فحسب ، وإنما داخل كل من الدولتين ؛ حتى استطاع سرجون الثانى ملك الآشوريين أن يستولى على مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق.م. وأعمل فيهم تنكيلا ، وأذاقهم صنوف الهوان والمذلة ، فتشت اليهود خارج مملكتهم بعد أن حطم سرجون عاصمتهم السامرة . وبذلك قضى على إحدى دولتى اليهود وهى المملكة الشمالية .

أما المملكة الجنوبية أو مملكة يهوذا فقد بقيت هى الأخرى تصارع هجمات جيرانهم من الفلسطينيين والفينيقيين والآراميين . بالإضافة إلى الغزوات الأخرى التى كانت تتعرض لها من الدول الكبرى المحيطة بالشام .. حتى استطاع (نخاو) أحد ملوك مصر أن يقتل (يوشع) فى مجدو سنة ٦٠٨ ق.م. ويضم مملكة يهوذا إلى الإمبراطورية المصرية الواسعة ، ثم جاء الملك الكلدانى (نبو خذ نصر) ليقضى على البقية المتبقية منها حين استولى على مملكة يهوذا سنة ٦٠٤ ق.م. ، وأذاق اليهود الهوان ، وأحرق أورشليم والكثير من معالمها ، وإمعاناً فى التنكيل باليهود ساق من بقى منهم أسرى إلى بابل عاصمة الدولة الكلدانية وهم يجرون القيود والسلاسل ويطأطئون الرءوس خجلا وحسرة ، وهناك اتخذ منهم عبيداً وخدماً فى قصره .

وبقى هكذا حال اليهود فى بابل حتى قُدِّر لهم أن يعودوا إلى أورشليم حين ساعدهم (كورش) ملك الفرس بعد أن قضى على الدولة الكلدانية سنة ٥٣٨ ق.م. فعاد اليهود إلى أورشليم ، ولكن فرحتهم لم تدم طويلا فجاء الإسكندر الأكبر واستولى على الشام — ومنها فلسطين — كما استولى على مناطق أخرى مثل مصر والعراق ، وحينما مات الإسكندر خلفه قواده من اليونانيين ، فكانت بلاد الشام تحت حكم (سايوقس) الذى أسس الدولة السلوقية .

وسقطت دولة السلوقيين على يد الرومان ، فأصبحت فلسطين مستعمرة يونانية فى عهد الإمبراطور (هادريان) وأطلق عليها الرومان اسم (إيليا كابيتولينا) . ومنذ وطئ الرومان أرض فلسطين وهم يذيقون اليهود صنوف العذاب والهوان والشقاء خصوصاً بعد أن ظهرت خيانة اليهود للرومان أثناء حروبهم مع الفرس . وكثيراً ما ثار اليهود ضد الرومان ولكن ثوراتهم كانت تقابل بمنتهى القسوة والشدة كما حدث فى الفترة بين سنتى ١٣٥ — ١٣٢ ق.م. حين قام أحد زعماء اليهود ويدعى (بروكشيا) بثورة ضد الرومان محاولا الحد من ظلمهم وقسوتهم . ولكن الإمبراطور الرومانى أمر جنوده فدمروا القدس ، وحرثوا مكان هيكل سليمان . ولم يكتف الإمبراطور بذلك بل أصدر أوامره بمنع اليهود من زيارة الأماكن المقدسة إلا مرة واحدة كل عام ، وحرم عليهم السكن فى القدس . وصادر ممتلكاتهم . وأمعن الإمبراطور فى التنكيل ببروكشيا ومن معه وأعمل فيهم قتلا وسجناً حتى بلغ عدد قتلى اليهود خلال تلك الثورة أكثر من ٦٠٠.٠٠٠ يهودى . ونتيجة لذلك تشتت اليهود فى أنحاء العالم ولم يبق منهم إلا القليل ممن استطاعوا أن يسيروا فى ركب الحكم الرومانى أو ممن آثروا العذاب والقسوة من الحكام الرومان على التشرد .

وخلال حكم الرومان لفلسطين .. ولد عيسى عليه السلام ونزلت عليه تعاليم الدعوة المسيحية القائمة على العدل والمحبة والتسامح والمساواة ، ووجد اليهود فى هذه الدعوة وسيلة لإحياء دينهم والعودة إلى تعاليم الرب خصوصاً وقد أحسوا أن ما أصابهم من عذاب وامتهان كان بسبب التوائهم عن طريق دينهم . وإهمالهم لتعاليم موسى وإلهه ، وراح كثير من اليهود ينضمون إلى الدعوة المسيحية ، ولكن كهنتهم — بعد مضى وقت قليل — أحسوا فى هذه الدعوة خطورة على مراكزهم ، ووجدوا فيها تضييعاً لقداستهم الدينية وهيبتهم . فعاودهم الحنين إلى الكفر بها ، فارتدوا عن الدعوة المسيحية

وراحوا يهاجمون المسيح[١] ويعارضون مبادئ دينه . ولم يكن ذلك عن عقيدة حقيقية فى نفوسهم .. بل كان لأغراض شخصية ومصالح ذاتية ، ولخوفهم على مراكزهم ولحقدهم على عيسى عليه السلام . وإذا كان كهنة اليهود قد اتخذوا هذا الموقف من الدعوة المسيحية فإن عدداً آخر غير قليل اعتنق الديانة المسيحية وثبتوا عليها ، فقد وجدوا فيها إحياء للدعوة اليهودية فى صورة جديدة .

ومضت الأيام .. واستولى العرب على الشام فى عهد عمر بن الخطاب . فأصبحت فلسطين جزءاً من الإمبراطورية العربية الإسلامية ، وانضم كثير من سكان فلسطين تحت لواء الدعوة الإسلامية . . وخلال حكم العرب لفلسطين تحسنت أحوال اليهود لما وجدوه من التسامح ، ومنحهم العرب حرية الإقامة فى القدس كما سمحوا لهم ببناء معبد بجوار حائط المبكى ، ومزاولة طقوسهم الدينية ، فانتعشت أحوالهم ، وأحسوا بمدى الفارق بين الحكم العربى والحكم الرومانى .

ولما ضعفت الدولة العباسية .. قامت عدة حركات انفصالية عن حكومة بغداد ، وأدى ذلك إلى حدوث تصدع فى الدولة الإسلامية ، فتعرضت فلسطين لهجمات الصليبيين الذين استطاعوا فى أولى حملاتهم الاستيلاء على بعض المناطق فى فلسطين وتأسيس عدة مستعمرات لهم فى الرها وأنطاكية وبيت المقدس وطرابلس ، فخضعت فلسطين بما فيها من اليهود والمسلمين والمسيحين لحكام أجانب جاءوا إليها من أوربا . . ولكن ذلك لم يدم طويلا إذ سرعان ما استعاد العرب وحدتهم ، واستطاع صلاح الدين الأيوبى هزيمة الصليبيين فى عدة معارك أشهرها فى حطين سنة ١١٨٧ م

---

(١) راجع الإصحاح الثانى من إنجيل متى ، وهو يحكى كيف حاول اليهود الفتك بعيسى عليه السلام .

وبذلك عادت فلسطين مرة أخرى إلى الحكم الإسلامى .

وحكم الأيوبيون الشام بما فيها فلسطين، ومن بعدهم المماليك . . حتى إذا كانت سنة ١١٥٧ انتزع العثمانيون فلسطين كما انتزعوا غيرها من الدول العربية . فأصبحت فلسطين جزءاً من الإمبراطورية العثمانية شأنها فى ذلك شأن كثير من الدول العربية الأخرى مثل: العراق ومصر والحجاز وغيرها .

واستمر الحال كذلك حتى وضحت معالم الدعوة الصهيونية التى سنتحدث عنها فى الفصل القادم .

الفصل الثانى

الصهيونية [1] . . حديثاً

تنتسب الحركة الصهيونية أو الدعوة الصهيونية إلى جبل زيون (صهيون)[2]: أحد الجبال التى تحيط بالقدس والذى ورد ذكره فى كثير من المواضع فى التوراة .. الكتاب المقدس عند اليهود .

وقد قامت الدعوة الصهيونية على أساس أن يساهم الأفراد من الرجال أو النساء ممن تزيد أعمارهم عن ١٨ سنة باشتراكات رمزية تتراوح بين شلن إلى أربعة شلنات أو ما يسمى بالعملة الإسرائيلية القديمة شيكل (Shekel)[3] وبهذا الاشتراك يصبح للعضو المشترك حق التصويت فى انتخاب مندوبين يمثلونه فى المؤتمرات الصهيونية التى تعقد من فترة لأخرى لبحث النشاط الصهيونى ، والعمل على تحقيق آمال اليهود .

ومن الأغراض التى قامت الحركة الصهيونية لتحقيقها . . بل لعل أهم هذه الأغراض . . إحياء معالم الدولة اليهودية القديمة: وإقامةوطن ثابت لليهود فى فلسطين يجتمع فيه كل من يدين بالديانة اليهودية . . كما أن من أغراضها الأخرى إحياء اللغة العبرية وآدابها لتصبح اللغة الرسمية ولغة التخاطب فى فلسطين .

---

(١) أول من أطلق تعبير الصهيونية هو الكاتب الألمانى اليهودى ناتال بيرنباون Nathel Birnbawen

(٢) صهيون معناها : الأرض الموعودة أو أرض الميعاد .

(٣) الشيكل = حوالى ريال مصرى أو نصف دولار أمريكى

ولقد لقيت الدعوة الصهيونية الكثير من المعارضة حتى من اليهود أنفسهم خصوصاً اليهود الأرثوذكس الذين يرون أن تحقيق آمال اليهود وإصلاح شأنهم لا يمكن أن يأتى عن طريق تنظيم سياسى أو حزب تعصبى، وإنما يأتى ذلك عن طريق العودة إلى تعاليم رب موسى وإحياء الدعوة اليهودية ، ونتج ذلك صراع وجدل بين اليهود حول مضمون الدعوة الصهيونية ووسائلها . واختلف اليهود فى جوهر هذه الدعوة . . هل هى دعوة دينية .. أم حركة سياسية ؟ كما اختلفوا فى وسائل تحقيق أغراضها ، ولذلك نرى أن هذه الحركة خلال مراحلها وتاريخها قد تعرضت للتخبط والمعارضة مما نتج عنه كثير من الذبذبات التى أصحبت الحركة منذ قيامها حتى قيام دولة إسرائيل ؛ وما ترتب على ذلك من اختلاف فى وجهات النظر بين اليهود ومسانديهم ، وبين غيرهم من الذين درسوا هذه الدعوة وفهموا الأغراض الحقيقية التى يرمى إليها اليهود .

ولنتتبع معاً مراحل الدعوة الصهيونية، ويمكن تقسيمها إلى :

المرحلة الأولى :

من القرن السادس عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر : وليس من السهل أن نحدد بالضبط بداية هذه المرحلة ، ولكننا نستطيع أن نقول : إن هذه الدعوة كانت لها مقدمات فى القرن السادس عشر ؛ حينما قام أحد اليهود ويدعى (دافيد روبينى) بدعوة يهود العالم لغزو فلسطين والاستيلاء عليها . ولكن هذه الدعوة لم تجد لها صدى فى نفوس اليهود ، وكانت صرخة فى صحراء واسعة ، فذهبت مع الرياح . . حتى إذا كان أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر .. اتخذت الحركة صورة جدية، وبدأت تنشر أفكارها على العالم وتحاول

أن تصل إلى إقناع الناس بمبادئها ، وقد وافق ذلك الفترة التى امتازت بظهور الحركات القومية والثورات التحررية بجميع صورها وأشكالها : السياسية والاجتماعية والفكرية فى أوربا وأمريكا .

ويبدو أن الصهاينة قد وجدوا فى تلك الظروف فرصة تهيىء لهم نشر دعوتهم لإحياء قوميتهم المزعومة . . ولعلهم فكروا فى الخلاص من حركات الضغط والإرهاب والاضطهاد الدينى والسياسى التى كانوا يرزحون تحتها ويصطلون بنيرانها من تلك الحكومات التى كانوا يعيشون تحت سيطرتها ؛ فقد كان اليهود — كما هو معروف عنهم دائماً — على علاقة سيئة مع أفراد شعوبهم فى كثير من الدول خصوصاً فى روسيا وألمانيا . . . وذلك لما اتصفوا به من صفات اقتصادية واجتماعية جعلتهم يعيشون دائماً فى عزلة عن بقية أفراد الشعب . . حتى إن بعض الدول حرمت عليهم مزاولة الكثير من حقوقهم كمواطنين ، وحالت بينهم وبين المساهمة فى النشاط السياسى .

وخلال الدعوة الصهيونية . . انبرى كثير من الكتاب اليهود وراحوا يصفون بؤس بنى دينهم والمظالم التى يعيشون فيها ، وأخذ هؤلاء يدعون فى كتاباتهم إلى العطف على اليهود ، ويناشدون يهود العالم العمل على تحقيق ما أسموه أرض الميعاد ، وكان من أشهر الكتاب الذين ناصروا الدعوة الصهيونية : بينسكر ، ولورد بيرون ، وديزرائيلى ، وجورج إليوت وغيرهم ممن زعموا فى كتاباتهم مزاعم كثيرة صقلوها بكذبهم وزيفوها بخداعهم ، فزعموا مثلا أن اليهود من أصل وجنس واحد ، وتربطهم عقيدة واحدة وأمان واحدة ، وأن الله قد وعدهم بتجميعهم فى فلسطين . . أرض الميعاد ! !

وتفتقت أذهان اليهود عن تلك الدعوة التى عرفت باسم الدعوة الصهيونية ، فتألفت جمعيات عشاق صهيون التى كان من أهم أهدافها ومن

أسس رسالتها: الدعوة إلى استيطان اليهود فى فلسطين عن طريق تشجيع الهجرة إليها .

وقد وجدت هذه الدعوة صدى كبيراً فى نفوس بعض اليهود خصوصاً من كانوا يقاسون ألوان التعذيب كما فى روسيا ورومانيا والنمسا ، وإنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية ، وساندت بعض الدول هذه الحركة لأنها وجدت فيها وسيلة للتخلص من اليهود وحلا للكثير من المشاكل التى وجدت بسببهم . . واستطاع اليهود أن يستدروا عطف بعض السذج من الناس . وتجمع لديهم الكثير من الأموال ؛ فاستخدموها فى نشر دعوتهم ورشوة الكتاب الذين شاركوهم مزاعمهم ، وراح أثرياء اليهود من أمثال روتشيلد ومونتيفيورى يكونون الشركات الصهيونية مثل الشركة البريطانية الفلسطينية. والوكالة اليهودية الأهلية ، واشترى كثير من أغنياء اليهود بعض المستعمرات الزراعية فى فلسطين وذلك كإحدى الخطوات نحو تحقيق أطماعهم ، وتم تهجير بعض اليهود إلى هذه المستعمرات على أمل أن تأتى الفرصة التى تمكنهم من تحقيق أغراضهم .

ويمكن أن نلخص نشاط الحركة الصهيونية خلال هذه الفترة فى النقط الآتية :

(ا) فى ٢٠ أبريل سنة ١٧٩٩ نشرت صحيفة جازيت ناشيونال Gazett National الفرنسية مقالا لنابليون بونابرت أثناء حملته على مصر والشام يعرض فيه على يهود الشرق مساعدته لتحقيق أطماعه ومعاونته فى الاستيلاء على الشرق مقابل أن يحقق لهم الأمل الذى يراودهم وهو إعادتهم إلى فلسطين حين تصبح فى حوزة الإمبراطورية الفرنسية ، ولكن الظروف لم تساعد نابليون ، فأبى القدر أن يحقق أحلامه واصطدم بالحقيقة المرة ، حين فشلت حملته فعاد إلى بلاده يجر معه أذيال الخيبة والهزيمة . وهكذا تلاشى أول وميض لآمال اليهود .

(ب) أثناء تولية محمد على حكم مصر (١٨٠٥ – ١٨٤٠) عرض عليه السير مونتيفيور أحد كبار الصهيانة مشروع إقامة وطن لليهود فى فلسطين ، ولكن محمد على رفض هذه الفكرة ، ولم يسمح لليهود بتحقيق أحلامهم خصوصاً وقد كانت فلسطين فى ذلك الوقت تحت سيطرته بعد أن انتزعها من الأتراك أثناء حربه فى الشام مع السلطان، وتدخلت الدول لمصلحة السلطان ، وعقدوا مؤتمراً لهم فى لندن سنة ١٨٤٠ لبحث موضوع النزاع بين محمد على والسلطان ، وحاول اليهود مرة ثانية أن يحققوا خطتهم فقدم اللورد سافتشيرى مذكرة إلى وزير خارجية إنجلترا يطلب مساعدة حكومته للعمل على إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . ولكن محاولة سافتشيرى لم تجد لها صدى فى نفس إنجلترا فى ذلك الوقت .

(ج) لم يكف اليهود عن محاولاتهم ، وراحوا يلتمسون طريقاً آخر يوصلهم إلى تحقيق آمالهم، فأخذوا يعقدون المؤتمرات لدراسة دعوتهم، وكان من أشهر هذه المؤتمرات مؤتمر سنة ١٨٨٤ وفيه تقرر اختيار أودسا [١] مركزاً للاتحاد الصهيونى وانتخب ليوبنسكر رئيساً للجنة أودسا . ثم كان مؤتمر سنة ١٨٨٧ وفيه تقرر تنظيم الهجرة إلى فلسطين ، وجمع اليهود كثيراً من الأموال لشراء بعض المستعمرات فى فلسطين ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحققوا كثيراً من آمالهم ، وكاد نشاطهم أن يتوقف ، بسبب سياسة الباب العالى نحوهم؛ فقد حرم هجرة اليهود الجماعية إلى أجزاء الإمبراطورية العثمانية ، ولم يسمح لأى يهودى بالبقاء فى فلسطين أكثر من ثلاثة أشهر حتى يضمن عدم زيادة اليهود فيها .

(د) أخذ الصهيانة يبحثون كيف يحققون آمالهم فعقدوا مؤتمراً لهم فى بازل (٢) فى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٩٧ حضره أكثر من ٢٠٠ عضو

---

(١) أودسا : إحدى الموانى الهامة فى الاتحاد السوفيتى وتقع على البحر الأسود.
(٢) بازل : إحدى مدن سويسرا .

وفى هذا المؤتمر انتخبوا (هرتزل) رئيساً لهم ، ثم راحوا يبحثون خططهم وكان من أبرزها تشكيل لجنة العمل التى عرفت باسم الوكالة اليهودية ، والتى كان لها أثر كبير فى تطور الحركة الصهيونية فيما بعد ، كما تم عقد مؤتمر آخر فى بازل سنة ١٨٩٩ ، ثم فى لندن ، وكان من نتائج هذه المؤتمرات : إنشاء بنك يهودى برأس مال قدره مليونين من الجنيهات تستخدم فى شراء الأراضى من عرب فلسطين . .

ورغم نشاط الصهاينة وكثرة عددهم إلا أنهم لم يصلوا إلى نتيجة تطمئنهم على تحقيق أحلامهم ، وكادوا يقنعون من الغنيمة بالإياب ، ولكنهم آثروا الصمود ورأوا أن يجربوا أكثر من طريق . .

المرحلة الثانية : من سنة ١٩٠١ ـ سنة ١٩١٧

تبدأ هذه المرحلة مع أول القرن العشرين . . حين راح اليهود يكررون محاولاتهم . فلجئوا فى هذه المرة إلى السلطان عبد الحميد سلطان تركيا فى ذلك الوقت باعتباره المسيطر الفعلى على فلسطين والعالم العربى باستثناء بعض المناطق مثل مصر التى كانت إنجلترا تحتلها رغم خضوعها رسمياً لتركيا ، وكانت الجزائر وتونس خاضعتين لفرنسا التى احتلت الأولى سنة ١٨٣٠ والثانية سنة ١٨٨١ ؛ وبزعامة هرتزل وعن طريق وساطة المسيو فاميرى . . لجأ اليهود سنة ١٩٠١ إلى السلطان عبد الحميد يرجونه السماح لهم بإنشاء جالية يهودية فى فلسطين تتمتع بالحكم الذاتى ، وعرض اليهود على السلطان مليونين من الجنيهات ثمناً لإجابة مطلبهم ، ولكن السلطان ــ رغم حاجته إلى المال فى ذلك الوقت ــ رفض مطالب اليهود ؛ فقد أحس بسوء نواياهم ، ورد على المسيو فاميرى رداً لن ينساه العرب وسيذكره اليهود أيضاً ، فقد جاء فى رسالة السلطان إلى هرتزل : «أنا لا أستطيع

إعطاء كم قدماً واحدة فى فلسطين ؛ لأنها ليست ملكى . . وعلى اليهود أن يحفظوا أموالهم لأنفسهم فقد يأخذون فلسطين هدية من أعدائنا ، ولكنهم لن يصلوا إلى هدفهم إلا على جثتنا ، ولم يكتف السلطان بذلك بل حرم على اليهود المقيمين فى فلسطين امتلاك أراض جديدة ، ووضع رقابة شديدة على الحدود الفلسطينية ؛ حتى يمنع تسرب أى يهودى إليها .

وفكر اليهود ماذا يفعلون ؟ فرأوا أن يتجهوا إلى إنجلترا صديقهم الحميم ولكن انجلترا لم يكن لها فى ذلك الوقت من الحول والطول ما تستطيع به أن تحقق رغبة اليهود لأنها لم تكن تملك فلسطين .

وراح الصهاينة يطلبون مكاناً آخر غير فلسطين . . أى منطقة يحققون فيها فكرتهم ويقيمون دولتهم ولو على الخريطة الجغرافية ! ! وعرض هرتزل على تشمبرلن استيطان اليهود فى قبرص أو مدغشقر أو أستراليا وهى من المناطق التى كانت خاضعة للنفوذ الإنجليزى . وهنا ثار جدل كبير بين فريقى اليهود : السياسيين ، والعمليين ، فكان السياسيون يرون الرضى بأى منطقة أخرى بينما أصر العمليون على فلسطين ، وراح الجميع فى دوامة من التفكير والتردد، وأحجم كثير من اليهود عن مساندة الحركة الصهيونية ، وأعلنوا أنها فكرة خاطئة لا يمكن تحقيق ما تدعوا إليه ، وبقى الصهاينة فى صراع دائم مع أنفسهم ، وكادت جهودهم تتلاشى ، وآمالهم تنصهر كما ينصهر الجليد تحت حرارة الشمس الملتهبة ، وفضل بعضهم النكوص على عهده للدعوة الصهيونية ، وآثر البعض الآخر الرضى بالأمر الواقع رغم مرارته . . ولكن القدر كان يخبئ لهم مفاجأة جديدة لم يتوقعوها ، وهى إعلان الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ .

كان إعلان الحرب أملا جديداً وحافزاً للصهيونيين على متابعة نشاطهم ، ولذلك استعادوا نشاطهم وجهودهم بزعامة حاييم ويزمان وهربرت صموئيل

وهرتزل واللورد روتشيلد وغيرهم ، ورأى الصهاينة فى قيام الحرب فرصة يجب ألا تفوت، وفكروا أى المعسكرين يختارون؟ الحلفاء . . وهم الذين أظهروا عطفاً على دعوتهم وتأييداً لقضيتهم . أم المعسكر الآخر . . تركيا وألمانيا ؟ وكانت الأولى هى المسيطرة على فلسطين . ورأى اليهود أن يتجهوا إلى المعسكر الأخير على أمل أن تركيا ستغير سياستها وتعدل عن رأيها ، ولكن السلطان عبد الحميد رفض مرة أخرى مطالب اليهود ، وحدد هجرتهم إلى فلسطين بشروط قاسية .. حتى إنه طارد اليهود الموالين للحلفاء إمعاناً فى النكاية بهم وخوفاً من أن يكونوا جواسيس لهم . هذا بالإضافة إلى الموقف الذى اتخذه جمال السفاح تجاه اليهود، فقد أغلق البنك اليهودى الإنجليزى الذى كان يمول عملية شراء الأراضى الفلسطينية ، وحرم الكتابة باللغة العبرية، فكتم اليهود غيظهم فى صدورهم.. حتى إذا ظهرت بوادر انتصار الحلفاء . . أسرع الصهاينة يعلنون ولاءهم لهم ورغبتهم واستعدادهم لمساعدتهم .

وكان الحلفاء أكثر ولاء لليهود واهتماماً بمصلحتهم . . إذ سرعان ما رحبوا باليهود ، ولم ينتظروا نهاية الحرب حتى كانت إنجلترا تعلن على لسان وزير خارجيتها بلفور التصريح [١] المعروف باسمه فى اليوم الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ والذى نص على أن حكومة إنجلترا تعتزم إقامة وطن قومى لليهود . وهكذا ظهر غدر الإنجليز وممالأتهم للصهيونية وخيانتهم للعرب .

المرحلة الثالثة : من سنة ١٩١٨ ــ سنة ١٩٤٨

كان وعد بلفور حافزاً للصهيونيين لاستعادة نشاطهم ، فما كادت

---

(١) راجع نص تصريح بلفور فى الفصل الثالث من الباب الثانى ص ٧٤ بهذا الكتاب .

الحرب العالمية الأولى تنتهى حتى أخذوا يعدون أنفسهم للخطوات التالية خصوصاً وقد انتصر الحلفاء . .

ففى فبراير سنة ١٩١٩ عقد الصهاينة مؤتمراً لهم قرروا فيه تعيين الدكتور وايزمان رئيساً للهيئة التنفيذية الصهيونية ، وشاءت الظروف كما شاء الاستعمار أن تحتل إنجلترا (التى تناست عهودها للعرب) وفرنسا المناطق العربية فى الشام والعراق ، وكان ذلك خطة للسيطرة على هذه المنطقة بأية صورة من الصور الاستعمارية .

لم يترك الصهاينة فرصة للدعوة لقضيتهم . . فما كادوا يعرفون أن الدول ستجتمع فى سان ريمو فى ٢٤ أبريل سنة ١٩٢٠ لتحديد مصير الدول التى كانت تدخل ضمن أملاك الدولة العثمانية . . حتى سارعوا إلى المؤتمر ، وراحوا يحاولون إقناع المجتمعين بتنفيذ وعد بلفور . وإقامة وطن لليهود فى فلسطين . وتتابعت الأمور بعد ذلك ، ودخلت الأراضى العربية تحت سيطرة إنجلترا وفرنسا ، فكانت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، وكانت فلسطين والعراق وشرق الأردن تحت الانتداب الإنجليزى .

وعملت إنجلترا على تنفيذ المخطط الصهيونى بإحكام ؛ لذلك عينت هربرت صموئيل — أحد مناصرى الصهاينة — أول مندوب سام لها فى فلسطين ، فتحقق بذلك نصراً كبيراً طالما راود اليهود فى أحلامهم . فلم يكن الانتداب الإنجليزى على فلسطين فى حد ذاته إلا إحدى الخطط التى اختطتها إنجلترا لخدمة الأغراض الصهيونية ، وكان هذا الانتداب بمثابة تذكرة لدخول اليهود واستقرارهم فى فلسطين لوضع أسس الدولة اليهودية ، فما كادت إنجلترا تضع يدها على فلسطين باسم الإنتداب حتى عملت كل ما فى وسعها لتهويد الأرض المقدسة . . كيف لا وقد أصبحت إنجلترا هى الحاكم المطلق اليد فى كل تصرفاته . والذى

لا يمكن لأحد أن يقف فى طريقه مهما كان حتى العرب أصحاب الحق . . الذين لم يكن لديهم من المال والسلاح فى ذلك الوقت ما يجعلهم قادرين على استرداد حقهم والضرب على أيدى العابثين بوطنهم . وسرعان ما اتخذت حكومة الإنتداب القرارات التى تخدم الصهيونية . وكان من أهم هذه القرارات .

١ ـ اعتبار اللغة العبرية لغة رسمية فى فلسطين مثل العربية أو الإنجليزية .

٢ ـ يباح للوكالة اليهو ية إدخال ١٥٠,٠٠٠ يهودى إلى فلسطين كل عام .

وهكذا بدأت إنجلترا سياستها لتجعل من فلسطين دولة يهودية تساندها فى ذلك كثير من الدول الاستعمارية مثل : فرنسا وروسيا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، وكلها من الدول التى كانت تبغى الخلاص من اليهود ومشاكلهم .

وعمل هربرت صموئيل كل ما فى وسعه لتسهيل هجرة الآلاف من اليهود متبعاً فى ذلك كل السبل والحيل مثل تزوير شهادات الهجرة وجوازات السفر وتأشيرات القنصليات وعقود الزواج الصورى المزيفة . وعى العكس من ذلك كان يمنع بكل الطرق الممكنة عودة العرب الذين خرجوا من فلسطين لأمر ما كالتجارة أو التعليم من العودة إلى أرضهم . ونتج عن ذلك أن زاد عدد اليهود من ٥٠,٠٠٠ سنة ١٩١٨ إلى حوالى ٤٠٠,٠٠٠ سنة ١٩٣٥ ثم إلى ٧٠٠,٠٠٠ سنة ١٩٤٨ .

وإزاء السياسة الإنجليزية . . قام العرب بأكثر من ثورة : مثل ثورات سنة١٩٢٠ ، سنة ١٩٢٩ ، سنة١٩٣٣ ، سنة ١٩٣٥ ، سنة ١٩٣٩ واستشهد كثير منهم أثناء هذه الثورات . . إلا أن إنجلترا أصرت على سياستها ، وكل ما فعلته بالنسبة للعرب لا يتعدى تهدئة الخواطر ، والكلام

المعسول والوعود الزائفة ، وقصارى ما فعلته بعد ثورة سنة ١٩٣٦ أنها أرسلت لجنة تحقيق ملكية عرفت باسم لجنة (بيل) ، وظن العرب أو حسن ظنهم فى الإنجليز ! ! ولكن هذه اللجنة كانت خاضعة لتأثير الصهيونية ، فبدلا من أن تبحث اللجنة أسباب ثورة العرب . . إذا بها تقترح تقسيم فلسطين بين العرب واليهود والإنجليز [١] .

وهكذا كانت لجنة بيل فى الحقيقة تمثل مرحلة من مراحل الصهيونية ، فإنها بذلك أقرت إقامة دولة يهودية فى فلسطين مهما كانت مساحة هذه الدولة ، فقد وضعت بذلك آمال اليهود موضع التنفيذ .

ورفض العرب مشروع تقسيم لجنة بيل ، وعادت ثوراتهم من جديد ، وهى أكثر ما تكون صموداً وثباتاً ، وضج العالم العربى كله بالشكوى ، واحتجت حكومات العراق ومصر والسعودية على مسلك الإنجليز والصهيونية ، وعقد العرب مؤتمراً لهم فى بلودان ، وفيه أعلنوا عدة قرارات كان من أهمها :

١ — رفض مشروع بيل رفضاً باتاً .
٢ — اعتبار فلسطين دولة عربية وهى جزء من الوطن العربى .
٣ ضرورة العمل على إلغاء الانتداب الإنجليزى .
٤ — وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين .
٥ — العمل على منع اليهود من الاستيلاء على الأراضى العربية الفلسطينية.

وأحست إنجلترا بالخطر يحدق بها ، ويبدو أنها كانت تتوقع قيام الحرب العالمية الثانية ، فرأت أن تسترضى العرب ليقفوا مع الحلفاء فى حربهم مع الألمان ، وحتى لا يقومون بثورة ضد الإنجليز كما فعلوا فى الحرب الأولى مع الأتراك . . لذلك أسرعت إنجلترا بإصدار ما أسمته

---

(١) راجع تقسيم لجنة بيل فى الفصل السادس من الباب الثانى ص ١١٥ من هذا الكتاب .

بالكتاب الأبيض ، وفيه أعلنت عدولها عن فكرة التقسيم ، وأنها تنوى إقامة دولة فى فلسطين يحكمها ثمانية منهم ستة من العرب واثنان من اليهود ، ويرأس هذه الدولة حاكم بريطانى ، وذلك لمدة عشر سنوات تصبح فلسطين بعدها قادرة على حكم نفسها بنفسها ، ولكن الكتاب الأبيض نص كذلك على هجرة حوالى ٧٥,٠٠٠ يهودى كل خمس سنوات حتى يصبح عدد اليهود نصف عدد السكان فى فلسطين أى مساوياً لعدد العرب ، ولعل إنجلترا أرادت بذلك أن تبقى على علاقتها الودية مع اليهود حتى تأمن شرهم .

كان الكتاب الأبيض بهذه الصورة يبدو فى ظاهره لمصلحة العرب ، ولكنه فى الحقيقة لم يكن إلا مرحلة من مراحل التآمر الصهيونى على فلسطين.

ولم يمض غير قليل حتى قامت الحرب العالمية الثانية ، فرأى فيها اليهود فرصة لمتابعة نشاطهم الصهيونى ، وعملت إنجلترا والولايات المتحدة على كسب ثقة اليهود وتأييدهم ، وشاءت الصدف أن يتولى ترومان رئاسة الجمهورية الأمريكية، وسرعان ما أعلن فتح أبواب فلسطين لدخول ١٠٠,٠٠٠ يهودى كل عام على أن تستمر تتابع الهجرات اليهودية حتى يصبح عدد اليهود فى فلسطين أكثر من عدد العرب .

هكذا وقفت أمريكا بصورة سافرة ، وبلا حياء تناصر الحركة الصهيونية ، ومعها وقفت إنجلترا تحقق خططها الصهيونية ؛ فسجلتا بذلك صورة من ابشع صور الظلم والتحيز .

وتحرج الموقف بين العرب واليهود ، فادعت إنجلترا وأمريكا أنهما ستعملان على إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية ، ولكن إنجلترا فى أوائل سنة ١٩٤٧ عادت وأعلنت فشلها فى حل هذه المشكلة خصوصاً بعد أن رفض كل من العرب واليهود مشروع تقسيم موريسون . لذلك أحالت إنجلترا القضية إلى هيئة الأمم المتحدة .

كانت إحالة القضية الفلسطينية إلى هيئة الأمم المتحدة مرحلة جديدة من مراحل النشاط الصهيونى . فقد عمل الصهيونيون كل ما فى وسعهم لإنجاح خطتهم وتحقيق أحلامهم فى فلسطين ؛ ففى ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٧ قررت هيئة الأمم المتحدة إيفاد لجنة من مندوبى أحد عشر دولة[١] إلى فلسطين لبحث مطالب كل من العرب واليهود وتقديم تقرير عن حقيقة الوضع فى فلسطين . وكان أغلب أعضاء هذه اللجنة من اليهود أو أنصارهم ممن كان كل همهم خدمة الأغراض الصهيونية ؛ لذلك جاء قرار اللجنة تعبيراً عما تجيش به نفوس اليهود ، وما تمليه عليهم ضمائرهم الصهيونية . . فاقترحت اللجنة تقسيم فلسطين إلى دولتين : إحداهما عربية والأخرى يهودية[٢] .

وحينما عرض مشروع التقسيم الذى اقترحته هذه اللجنة على هيئة الأمم المتحدة فى ٢٦ نوفبر سنة ١٩٤٧ . . لم يحصل على أغلبية $\frac{٢}{٣}$ الأعضاء الحاضرين، وهنا أحس الصهيونيون أن آمالهم تتبخر، وأن ماخططوه فى سنوات طويلة قد يتهدم ويتحطم إذا لم يواصلوا نشاطهم ، فراحوا يبثون سمومهم وينشرون دعاياتهم الكاذبة ، وسلكوا فى سبيل ذلك كل وسيلة من وسائل الخداع والغش والرشوة ، وساعدهم فى ذلك مناصروهم من المستعمرين . . حتى قدر لهم فى النهاية أن يقنعوا بعض الدول بالانضمام إلى صفوفهم ومؤازرتهم ، وكانت النتيجة أن وافقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة على مشروع قرار التقسيم فى جلستها المنعقدة فى ٢٩ نوفبر سنة ١٩٤٧ .

---

(١) كانت هذه الدول هى : السويد – كندا – تشيكوسلوفاكيا – جواتيمالا – بيرو – أورجواى – هولندة – الهند – إيران – يوغسلافيا – أستراليا .

(٢) راجع قرار تقسيم هذه اللجنة فى الفصل السادس من الباب الثانى من هذا الكتاب .

المرحلة الرابعة : من سنة ١٩٤٧ حتى الآن

لم يكن قرار التقسيم وفقاً لرغبات العرب، بل لم يكن وفقاً للعدل والمنطق . فقد صدر عن نزعات فاسدة وأهواء استعمارية وأغراض دنيئة ، ولم يستند إلى قواعد أو حجج لها قوتها القانونية أو المنطقية . كل ما فيه مجاملة ومحسوبية وتحقيق لآمال اليهود الدخلاء على حساب مصلحة العرب.. أصحاب الأرض الشرعيين .

لم يجد العرب بدًّا من أن يعتمدوا على أنفسهم فى استرداد وطنهم، فقد أصبح قريب المنال من أيدى الأعداء، وأمام خطر الصهيونية ومؤامرات الاستعمار.. لم يجد العرب بدًّا من الالتجاء إلى سياسة القوة ولغة الحرب، وهى اللغة التى يفهمها اليهود وأعوانهم .

لم تكن الدول العربية فى ذلك الوقت فى وضع سياسى تحسد عليه ، فقد كان بعضها ما يزال يرزح تحت نير الاستعمار والاحتلال ، وكان بعضها قد تخلص من الاستعمار منذ فترة قصيرة وما يزال يعانى من آثاره التى خلفها وراءه . ورغم ذلك كله فقد كان على العرب أن يواجهوا الموقف بشجاعة ودون تردد ، فقامت الحرب بين اليهود والعرب ، وأبدى العرب شجاعة فائقة، واستطاعوا أن يلقنوا الأعداء دروساً كثيرة، وكانت بطولات الفدائيين العرب خير مثال للشجاعة والشهامة .

وأحس الصهاينة بالخطر يحدق بهم من كل جانب . . وهنا برزت إنجلترا تقوم بدور من أدوارها الدنيئة ، فأعلنت انتهاء الانتداب على فلسطين ، وأسرعت جيوشها بالجلاء عن كثير من المواقع الهامة بعد أن سلموها لليهود ، وبهذه الخطة استطاع الصهاينة أن يستولوا على كثير من المطارات والمنشئات الصناعية والمناطق العسكرية الهامة ، وسجل التاريخ بذلك أبشع صور الوحشية الصهيونية وما قام به اليهود من اعتداء على الشعب العربى فى عدة مناطق خصوصاً فى دير ياسين .

ولما كانت ليلة ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ غادر المندوب السامى ميناء حيفا معلناً انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين فى الوقت الذى أسرع بن جوريون يعلن مولد دولة إسرائيل ، وكانت هذه أهم مرحلة من مراحل الخطر الصهيونى .

واستمرت الحرب بين العرب واليهود، وكاد العرب ينتصرون.. لولا تدخل القوى الاستعمارية، وسوء تصرفات الرجعية العربية، ومحاولة تفويت فرصة النصر الذى بات محققاً رغم الأسلحة الفاسدة والخطط الحربية الخاطئة، ومظاهر الخيانة التى قام بها القادة عملاء الاستعمار ، وفى ذلك يقول الميثاق الوطنى (١) :

« إن سخرية القدر من الأمة العربية وصلت إلى حد أن جيوشها التى دخلت فلسطين لتحافظ على الحق العربى فيها كانت تحت القيادة العليا لأحد العملاء الذين اشتراهم الاستعمار بثمن بخس . . بل إن العمليات العسكرية كانت فى يد ضابط (٢) إنجليزى يتلقى أوامره من الساسة اليهود » .

ومرة أخرى أحكمت الصهيونية خططها حين وجدت الخطر يترصد لها ، والجيوش العربية تسد عليها المنافذ، فراح اليهود يستصرخون أسيادهم ومسانديهم، ومن أجل ذلك ولمصلحة اليهود قرر مجلس الأمن فى ٢٢ مايو سنة ١٩٤٨ وقف إطلاق النار بين الفريقين وإعلان الهدنة .

وفى الحقيقة . . لم تكن هذه الهدنة إلا تتمة للمخطط الصهيونى ، وصورة من صور الخدع الاستعمارية ، فقد وجد اليهود فى هذه الهدنة فرصة لاستعادة قوتهم، وجمع شتاتهم، وتجهيز أنفسهم بالرجال والعتاد والأسلحة ، ثم عاود اليهود هجومهم، وكانت الظروف قد ساعدتهم بانسحاب كثير من الجيوش العربية بناء على أوامر الخونة والموالين

---

(١) راجع الباب الرابع من الميثاق الوطنى .
(٢) المقصود : الجنرال جلوب .

للاستعمار ، ووقفت كتائب التحرير المصرية يساندها المتطوعون العرب . . وقف هؤلاء وحدهم يواجهون أسلحة الأعداء ، ويكافحون هجماتهم . . يريدون أن يحرزوا النصر لأمتهم ، ويعوضوا ما أفسده حكامهم حتى كانوا على وشك النصر ، ولكن مجلس الأمن تدخل مرة أخرى وأعلن قراره بوقف إطلاق النار فى ١٥ يوليو سنة ١٩٤٨ ، وتم ذلك بعد أربعة أيام أى يوم ١٩ يولية ، وانسحب المحاربون العرب عائدين إلى بلادهم دون أن يحذد لمن النصر . وبدأت الهدنة التى لا نعرف متى تنتهى .

ومنذ ذلك الوقت والصهيونية تنفث سمومها ودعايتها الكاذبة ، وتعلن فى تبجح : أن اليهود أصحاب حق فى فلسطين ، وتعمل الصهيونية بكل وسيلة لتحقيق غاياتها ، ولتثبت أقدامها فى فلسطين . . تارة بالأكاذيب ، وتارة بالاعتداء .

وفى سنة ١٩٥٦ حاول اليهود أن يحرزوا مزيداً من الانتصارات ، ويحصلوا على مساحات أخرى من أرض فلسطين ؛ فسمحوا لأنفسهم أن يكونوا مطية لأسيادهم من الإنجليز والفرنسيين .. حين هاجموا مصر يبغون احتلالها والاستيلاء على قناتها على أمل أن يخرج اليهود بأجزاء من شبه جزيرة سيناء ، ولكن القدر خيب آمالهم جميعاً ، فعادوا يجرون أذيال الخيبة والهزيمة بعد أن سبقهم أسيادهم إلى هذا المصير .

واليوم . . وقد تغيرت الحال غير الحال ، وتحرر العالم كله تقريباً ، وتقلص الاستعمار فى العالم كله ، واختفت عناصر الرجعية والخيانة إلى غير رجعة . . اليوم يتطلع العرب إلى معركة حاسمة يستعيدون بعدها أرضهم السليبة ويستردون حقوقهم الضائعة ، وليلقوا بالأعداء إلى عرض البحر أو ليعودوا من حيث أتوا . ويرجع عرب فلسطين إلى أرضهم وديارهم .

الباب الثانى

حقيقة المزاعم الصهيونية فى فلسطين

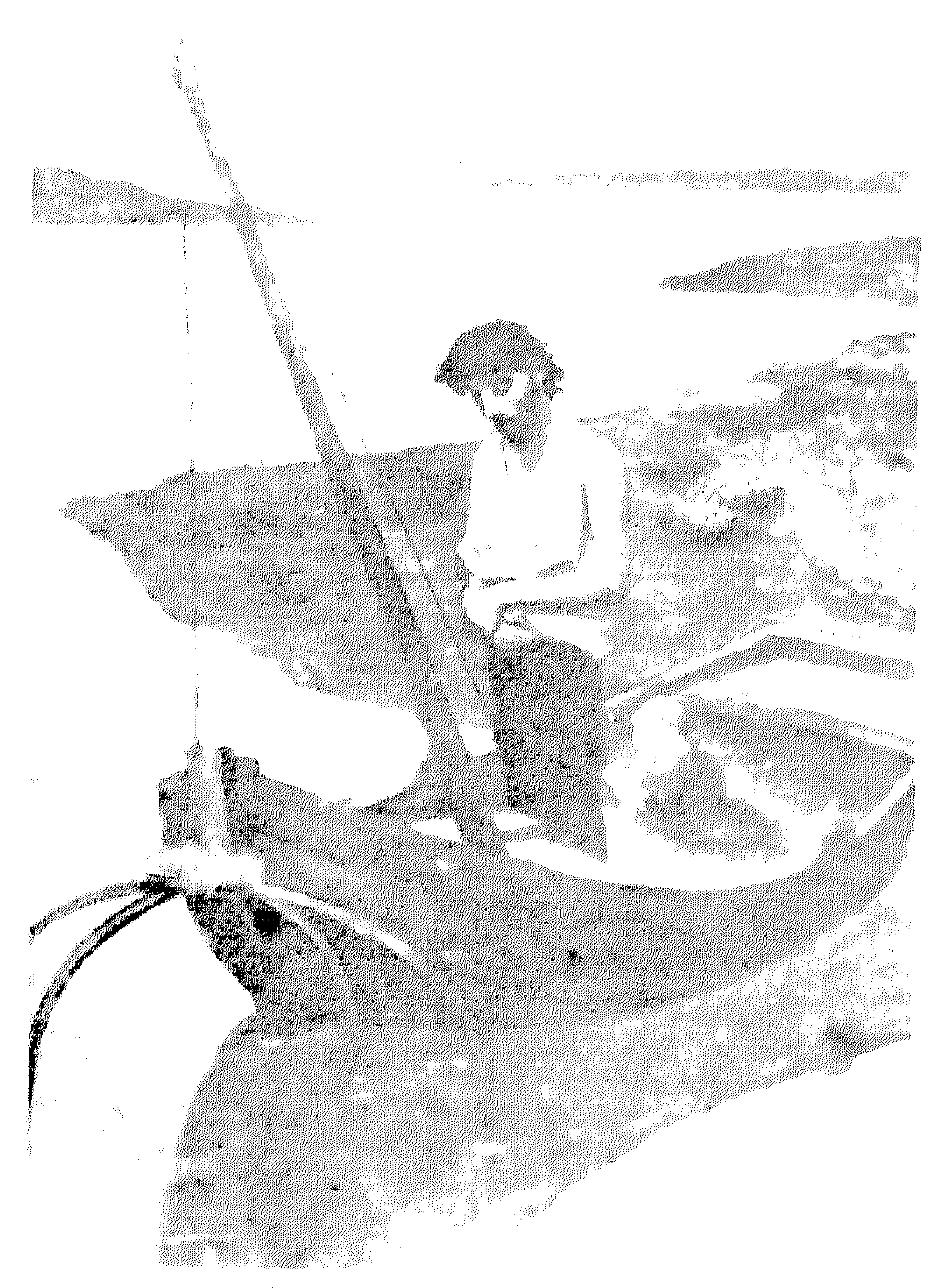
من النصائح التى يعمل بها الصهاينة اليوم . . تلك النصيحة التى وردت على لسان أحد حكماء اليهود القدماء والتى يقول فيها « اكذب . . واكذب . . واكذب . . حتى تعتقد أن ما تقوله صدقاً ؛ فيصدقك الناس » .

من أجل هذا . . اختلق الصهاينة كثيراً من المزاعم ، وابتدعوا كثيراً من الأكاذيب . . راحوا يلبسونها أثواباً من التضليل والخداع ؛ يحاولون بها أن يقنعوا أنفسهم بتصديقها ، آملين أن يجدوا من الناس من يصدقهم .

وإذا كان البعض قد صدقوا مزاعم اليهود وأكاذيبهم ، وإذا كان المستعمرون قد وقفوا بجانبهم يرددون هذه الأباطيل . . فإن الكثيرين أيضاً من الناس قد عرفوا الحقيقة ، واكتشفوا أن ما يدعيه اليهود مجرد افتراءات ، وأن ما يزعمونه لا يعدو إلا أن يكون كذباً وبهتاناً .

ومع إشراقة كل شمس ومغيبها . . تبدو الحقائق واضحة أمام مجموعة أخرى من الناس ؛ فيقل أنصار اليهود ، ويكثر أعداؤهم .

وفى هذا الباب . . سيجد القارئ بعضاً من أشهر المزاعم الصهيونية التى حاولوا بها أن يثبتوا لهم حقا فى فلسطين . وسنحاول الرد على هذه المزاعم مستدلين على صدق ما نقول بأمثلة من التوراة والإنجيل والقرآن وهى الكتب المقدسة ، كما نؤيد ذلك بآراء علماء التاريخ الذين درسوا قضية فلسطين بفهم وعمق . . سواء منهم اليهود أم غير اليهود .



دراسة للصياد الفقير — للفنان بوفى دى شافان — مجموعة ماتسوجاتا — اليابان .



صدى صرخة – للفنان داڤيد الفارو سيكويروس–متحف الفن الحديث–
نيويورك .

ولعل من أشهر تلك المزاعم :

١ ــ ما يدعيه اليهود من حق لهم فى فلسطين بناء على ما أسموه « أرض الميعاد » .

٢ ــ ما يدعيه اليهود من حق لهم فى فلسطين ، باعتبارها الموطن الأول للدولة اليهودية القديمة .

٣ ــ زعم اليهود بأنهم اكتسبوا حقا فى فلسطين بناء على « وعد بلفور »

٤ ــ ادعاء اليهود بأن صك الانتداب قد اعترف بحقهم فى فلسطين.

٥ ــ مزاعم اليهود أنهم اشتروا أرض فلسطين .

٦ ــ الزعم الصهيونى الذى يقول بأن لليهود حقا فى فلسطين بناء على قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ .

٧ ــ ما يزعمه اليهود من أنهم استولوا على فلسطين ؛ ليرفعوا من شأنها وتقدمها .

وسنرد على كل هذه المزاعم فى الفصول التالية .

الفصل الأول

خرافة . . أرض الميعاد

يزعم الصهاينة أنهم أصحاب حق فى فلسطين باعتبارها الأرض التى وعدهم الله بها ، وهم يستشهدون على زعمهم هذا بأدلة من التوراة كتابهم المقدس ، ومن التلمود[١] الذى يدعون أن تعاليمه نزلت شفويا على نبيهم موسى عليه السلام ، وقد عمل اليهود كل ما فى وسعهم ليقحموا فى تلمودهم ما يراود نفوسهم من آمال ، وراحوا يدعون أن ذلك من عند الله ، وهكذا ينطبق عليهم قول الله تعالى :

« فَوَيْلٌ للذينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بأَيْديهم ثُمَّ يَقُولُون هَذَا مِنْ عِنْدِ الله لِيشْتَرُوا بِه ثَمناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُم مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ »[٢]

وإزاء ما يزعمه اليهود سواء فى التوراة أم التلمود . . نرى بعض الناس يصدقونهم ، وهؤلاء هم السذج الذين تنطلى عليهم أكاذيب اليهود. بينما نجد فريقاً آخر يقف حائراً أمام ما يدعون . . أما من يعرف حقيقة اليهود ونزعاتهم وصفاتهم . . فسرعان ما يضيف إلى أكاذيبهم أكذوبة جديدة أو يصم آذانه عنها .

---

(١) التلمود : أحد كتب اليهود ، ولكنهم لا يعترفون به ككتاب مقدس وهم يقولون إن ماجاء فى التلمود هو تعاليم وآداب دينية ودنيوية أنزلها الله على موسى شفوياً ليسير عليها بنو إسرائيل . ولتكون لهم دستوراً يحدد علاقتهم مع غيرهم من الأمم الأخرى .

(٢) سورة البقرة ... الآية ٧٩ .

ونحن فى الرد على هذا الزعم — ونقصد زعم اليهود بأن فلسطين أرض ميعادهم — لن نحاول أن ننكر ما جاء فى التوراة كتابهم المقدس ؛ لأنه كتاب من عند الله شأنه فى ذلك شأن الإنجيل بالنسبة للمسيحيين ، والقرآن الكريم بالنسبة للمسلمين . أما التلمود . . فنعتقد أننا لسنا فى حاجة للرجوع إليه؛ لأن كثيراً من اليهود أنفسهم لا يعترفون به . ولا يثقون فيما جاء فيه . . ورغم أن اليهود قد أدخلوا على التوراة كثيراً من التحريف والتغيير مما يجعلنا نشك كثيراً فى كل ما جاء بها . . إلا أننا سنتخذ منها مرجعاً ودليلا نثبت به كذبهم وافتراءاتهم .

وإن حاول الصهاينة أن يفسروا ما جاء فى كتبهم وفق رغباتهم ، ويزينوه حسب أهوائهم ونزعاتهم . . إلا أننا سنلقى الأضواء على هذا الموضوع لتتضح لنا معالمه الحقيقية .

والآن نريد أن نتساءل : ما معنى أرض الميعاد ؟ وما حدودها ؟ وما موعد تحقيق هذا الوعد؟ وعلى يد من ؟

أما بالنسبة للجزء الأول من السؤال فنقول :

إن أرض الميعاد سميت بهذا الاسم لأن الله سبحانه وتعالى وعد سيدنا إبراهيم وذريته من بعده أن يعطيها لهم ليقيموا فيها دولة ، وأن يجمعهم بعد شتات، ويقويهم بعد ضعف ، ويجعل منهم أمة واحدة بعد تفكك وانحلال . وقد ورد فى التوراة كثير من العبارات عن أراض الميعاد:— فى الإصحاح الثانى تكوين . . يخاطب الرب سيدنا إبراهيم فيقول : « ونادى ملاك الرب ثانية من السماء ، وقال : بذاتى أقسمت يقول الرب : أباركك مباركة ، وأكثر نسلك كثيراً ، ويرث نسلك باب أعدائك ؛ ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض . . »

ويتلقف اليهود هذه العبارة وغيرها ؛ ليجعلوا منها سنداً لهم يؤكدون به للعالم حقهم فى فلسطين؛ باعتبارها الأرض التى وعد الله بها جدهم

إبراهيم ، وهكذا استطاعوا أن يختلقوا من ذلك تعبيرهم الذى أسموه (أرض الميعاد) .

أما عن الجزء الثانى من السؤال ، وهو حدود أرض الميعاد . . فقد اختلف اليهود أنفسهم فى تحديدها ، وتضاربت أقوالهم ، وتعددت تفسيراتهم ، وقام بينهم جدل كبير حول هذه النقطة :

فبعض اليهود يقولون : إن المقصود بأرض الميعاد . . فلسطين ، لأنها الأرض التى استقر فيها اليهود القدماء منذ سنة ١٠٠٠ ق.م. تقريباً، ولأنها الأرض التى فيها قامت دولتهم بعد أن تاهوا فى الصحراء ، ومن فلسطين هذه خرجت أسس الدعوة اليهودية ، وفيها تولى كثير من حكام اليهود وملوكهم الذين رفعوا راية الدعوة اليهودية من أمثال داود وسليمان وغيرهما .

ومن اليهود من جعل أرض الميعاد تشمل مناطق أكثر اتساعاً ، ولم يكتفوا بفلسطين وحدها . . وإنما أضافوا إليها شبه جزيرة سينا القائمة فى شمال شرق مصر والتى تصل بين آسيا وأفريقيا ، وكانت حجتهم فى ذلك أن هذه المنطقة نزلت فيها تعاليم ومبادئ الدعوة اليهودية على موسى عليه السلام .. حين خرج مع زوجته من أرض مدين؛ وعلى ذلك فهم يضيفون سينا إلى فلسطين لتصبحا معاً أرض الميعاد .

وذهب فريق ثالث إلى أبعد من ذلك ، فأضافوا إلى المنطقتين السابقتين « فلسطين وسينا » أجزاء من سوريا الحالية وغرب العراق ، وكانت حجتهم فى ذلك أن هذه الأجزاء قد خضعت فى يوم ما لليهود ، وأنها كانت فى وقت ما جزءاً من الدولة اليهودية حين اتسعت رقعتها ، وأن إبراهيم عليه السلام الجد الأكبر لبنى إسرائيل كان يقيم — قبل هجرته — فى أور بأرض العراق حين كانت تابعة للدولة الكلدانية . ثم إنه سار فى طريقه متجهاً إلى حوران ، ووصل إلى مناطق أخرى فى

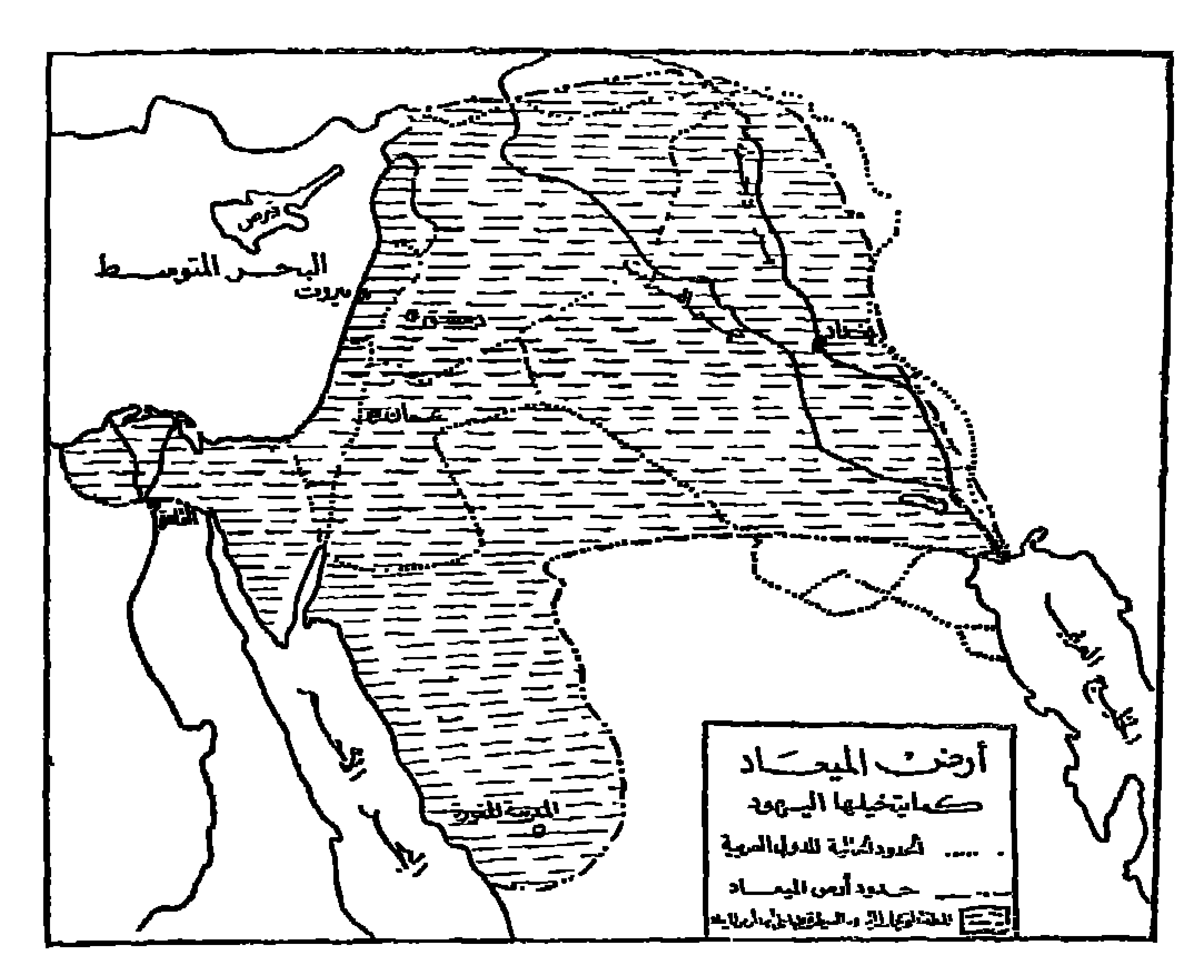
شمال الحجاز ؛ ومن أجل ذلك فهم (أى اليهود) يرون أنهم الوريث الشرعى لجدهم إبراهيم فى هذه المنطقة .

وأسرف بعض اليهود فى زعمهم ، ودفعتهم أنانيتهم وحبهم للسيطرة والتحكم إلى المزيد من الأطماع ، ولم يكتفوا بالأجزاء السابقة من فلسطين وسينا والعراق وسوريا وإنما أضافوا إليها أجزاء من مصر « الوجه البحرى » زاعمين أن بنى إسرائيل قدعاشوا فى دلتا النيل بمصر فترة طويلة ، وأن موسى نبيهم نشأ وشب فى مصر ، وأن الأجداد الأول لليهود — وهم يقصدون بذلك أبناء يعقوب الذى هو إسرائيل — سكنوا مصر فترة طويلة ، وأنهم (أى الإسرائيليين) قد خرجوا من مصر لظروف طارئة حين أمرهم موسى بالخروج معه لينشروا دينه ولينقذوا أنفسهم من اضطهاد المصريين . وعلى ذلك فاليهود يدخلون شمال مصر فى حدود ما أسموه أرض الميعاد . وبذلك تكون حدود أرض ميعادهم : من الفرات شرقاً إلى النيل غرباً راجع الخريطة شكل (١) .

وحتى يؤكد اليهود قولهم يذكرون ما جاء فى سفر يشوع عن الأرض التى وعد بها أبناء يعقوب . . والتى حددها السفر بقوله : « من البرية ولبنان إلى هذا النهر الكبير نهر الفرات ، وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس » .

إذن فالصهاينة أنفسهم مختلفون فى تحديد الأرض التى يزعمون أنها أرض ميعادهم . وسواء أكان التحديد الأول أم الأخير ، فإن هذا لا يعنينا فى قليل أو كثير بقدر ما يعنينا أن نوضح مدى التخبط الذى يعيش فيه الصهاينة .. حتى إنهم لا يعرفون بالضبط حدود الأرض التى يطالبون بها ، فكيف يجهل صاحب الحق معالم حقه وحدود أرضه ؟ !!

ومن العجيب أن نرى بعض اليهود — رغم زعمهم هذا — لا يتشبثون بفلسطين لتكون أرض ميعادهم ، وإنما يطالبون بأية منطقة أخرى يحققون



شكل (١) يبين حدود أرض الميعاد

فيها أحلامهم بإقامة وطن يهودى ، فقد نادى مندلسون ذات يوم بضرورة إقامة وطن لليهود ، ولو فى غير فلسطين .. وحدث أن فكر كثير من الصهاينة — قبل صدور وعد بلفور — بإقامة دولة لهم فى قبرص أو مدغشقر ، فكيف لا يتمسك اليهود بحقهم إن كانوا مقتنعين بهذا الحق ؟ !!

أما بالنسبة للجزء الثالث من السؤال وهو موعد تحقيق هذا الوعد ؛ وعلى يد من يمكن تحقيقه ؛ فاليهود أنفسهم قد اختلفوا فى ذلك أيضاً :

فبعض اليهود يقولون إن تحقيق هذا الوعد سيتم على يد ما أسموه المسيح المنتظر ، وأن هذا المسيح سيخرج من بيت داود ويجمع شمل اليهود ، ويعود بهم

إلى أورشليم عاصمتهم القديمة . ولكن .. متى يظهر المسيح الذى ينتظر اليهود مقدمه بفارغ الصبر ؟ . لقد ورد فى التلمود أنه سيظهر عندما تطرح الأرض فطيراً وملابس من الصوف وقمحاً كبيرا حجم الحبة منه فى مثل حجم كلاوى الثيران الكبيرة . ! !

هذه هى علامة ظهور المسيح عند اليهود ، ولكن يبدو أنهم أحسوا بتأخير من ينتظرونه . أو لعلهم أيقنوا أن الأرض لن تنتج لهم الفطير ، ولن تطرح لهم الملابس الصوفية ، وحتى لو حدث ذلك فليس من المعقول أن تنتج لهم الأرض قمحاً كبيراً حجم الحبة الواحدة منه فى حجم كلية الثور ! ومن أجل ذلك تناسى اليهود كثيراً مما جاء فى تلمودهم ، وهم دائماً على استعداد لأن يتناسوا كل مالا يتفق وآمالهم أو يتعارض مع أطماعهم .

لذلك رأينا بعض اليهود من أمثال جيجر وصموئيل هو لديم ينكرون فكرة المسيح المنتظر — ألم نقل إنهم لا يثقون بما جاء فى التلمود — ويدعون الصهاينة إلى الإسراع بالاستيلاء على فلسطين . بل أمعنوا فى جرأتهم وتزويرهم فحذفوا من كتبهم كل ما جاء فيه عن المسيح ، ولعل الصهاينة وجدوا فى بن جوريون المسيح المنتظر !! ولعلهم ظنوا أن الأرض على يديه ستطرح الفطير والملابس والقمح الكبير . . ! !

ولكى نرد على مزاعم الصهيونية ونكشف أكاذيبهم فيما أسموه أرض الميعاد .. نرجع إلى ما جاء فى الكتب المقدسة :

ففى الإصحاح السابع عشر تكوين .. يوجه الله خطابه إلى نبيه إبراهيم عليه السلام فيقول : « أنا الله القدير .. أجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك تكثيراً جدا ، وتكون أباً لجمهور الأمم ، وأجعلك أمماً ، وملوك منك يخرجون ، وأقيم عهداً بينك وبين نسلك فى أجيالك عهداً أبديا لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك ، وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك . كل أرض كنعان ملكاً أبديا . . »

وفى الإصحاح الأول تثنية : يذكر موسى قومه بكلام الربّ فيقول : « ادخلوا وتملكوا الأرض الأرض التى أقسم الربّ لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم . . الربّ قد كثركم وها أنتم كنجوم السماء فى الكثرة . . »

وفى الإصحاح السابع من أعمال الرسل أحد أسفار العهد الجديد . . « ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم ، وقال له : اخرج من أرضك وعشيرتك وهلم إلى الأرض التى أريك ، فخرج إبراهيم من أرض الكلدانيين وسكن حوران ، ومن هناك نقله إلى الأرض التى أنتم ساكنون فيها ، ولم يعطه فيها ميراثاً ولا وطأة قدم، ولكن وعده الله أن يعطيها له ولنسله من بعده » .

وهذا يتفق مع ما جاء فى القرآن الكريم فى كثير من الآيات :

ففى سورة الأعراف(١) : يقول الله تبارك وتعالى : « قَالَ موسى لِقَومِهِ اسْتَعِينوا بالله واصْبِرُوا إنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عبادِهِ والْعَاقِبةُ لِلْمُتَّقِين » .

وفى سورة الأعراف(٢) مرة أُخرى يقول الله : « وأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِين كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمغَارِبَها الَّتى بَارَكْنَا فيهَا وتَمَّت كَلمَةُ ربِّك الْحُسْنَى عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ودمَّرْنَا مَا كانَ يَصْنَعُ فِرْعَونُ وقَوْمُه . . . »

وفى سورة النور(٣) يقول الله : « وعَدَ اللهُ الَّذين آمَنُوا مِنْكُم

---

(١) الآية ١٢٨ . (٢) الآية ١٣٧ . (٣) الآية ٥٥ .

وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهم في الأَرْضِ كَما استَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهم ولَيُمكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهم الَّذِى ارْتَضَى لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهم من بَعْدِ خَوْفِهم أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً ومَنْ كَفَرَ بعد ذَلِكَ فأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُون » .

وفى سورة الأَنبياء [١] يقول الله : « ولَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ منْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ ».

هذه هى بعض أمثلة لما جاء فى الكتب المقدسة ، ومنها تتضح الحقائق الآتية :

١ ــ أن وعد الله سبحانه وتعالى ليس موجهاً إلى الصهاينة أو إلى اليهود، وإنما هو موجه إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وذريته من بعده.. يتساوى فى ذلك إسرائيل « يعقوب » وذريته ، وإسماعيل وذريته أيضاً ــ بمعنى أن هذا الوعد ليس مقصوراً على بنى إسرائيل وحدهم، ولا من يدين بالديانة اليهودية دون الديانات الأخرى ، أو يعتنق المذهب الصهيونى دون غيره ، وإنما هذا الوعد لسلالة إبراهيم على الإطلاق ، وقد ثبت أن أنبياء الديانات الثلاث ، وهم موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام كلهم يرجعون إلى جدهم الأكبر إبراهيم ، وبالتالى فكلهم أصحاب حق فى أرض الميعاد ، وليس لليهود وحدهم هذا الحق ، ويؤكد ذلك ما جاء فى القرآن الكريم فى سورة البقرة [٢] :

---

(١) الآية ١٠٥ .　　(٢) الآية ١٢٤ .

«وَإِذِ ابْتَلَى إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ، قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ».

٢ ــ أن الله سبحانه وتعالى لم يحدد موعداً لتحقيق وعده ، فيصح أن نقول : إن هذا الوعد قد تحقق فعلا فى عهد موسى عليه السلام حين أنقذ بنى إسرائيل من ظلم فرعون وخرجوا معه من مصر إلى سينا ثم إلى فلسطين حيث كونوا لهم ما أسموه بدولة قائمة على أسس دينية ، أهمها طاعة الرب وعبادته والتقرب إليه ، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى فى سورة الأعراف (١) : «قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» .

وفى تعبير «عسى» ما يفيد الاحتمال ولا يفيد الإلزام ؛ بمعنى أن الله قد علم بما يلاقيه الإسرائيليون من عذاب على يد فرعون ؛ فوعدهم بالخير وأهلك عدوهم (فرعون) ، وذكر لهم أنهم ربما يكونون خلفاء فى الأرض . بمعنى أنهم سيخلفون قوماً فى أرضهم . . هذا إن كانت أعمالهم صالحة . وعلى كل فقد حدث ذلك من قبل مما لا يدع مجالا لحدوثه مرة أخرى ، ولقد ذكرت التوراة ما يوضح ذلك فى الإصحاح الأول تثنية والذى سبق ذكره وفيه يقول موسى لقومه «ادخلوا وتملكوا الأرض التى أقسم الرب لآبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم..» وفى قوله تعالى: «وأورثنا

---

(١) الآية ١٢٩ .

الْقَوْمَ الَّذِين كَانُوا يُسْتَضْعَفُون ... »

فى هذه الآية ما يدل على أن وعد الله قد وقع فعلا فى عهد موسى ومن جاء بعده من ملوك بنى إسرائيل وأنبيائهم . ونلاحظ أن الفعلين « أورثنا ـ كانوا » جاءا بصيغة الماضى ، بمعنى أن ذلك وقع فعلا أى قبل رسالة محمد . ومما يزيد فى التوكيد أن الفعل « تمّ » فى « وتمت كلمة ربك » هو الآخر فى الزمن الماضى . أما فى قوله تعالى : « اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ .. » فإن الفعل « يورث » جاء بصيغة المضارع الذى يمكن حدوثه فى الوقت الحاضر ، ولكنه قرن ذلك بشرط آخر وهو أن هذا التوريث ليس مقصوراً على بنى إسرائيل ولكنه « لمن يشاء من عباده » أياً كان هؤلاء العباد ، ثم إن قوله تعالى « والعاقبة للمتقين » إشارة إلى أن هذا التوريث يكون للذين يتصفون بالتقوى والصلاح ، ويتقربون إلى الله ، ويتبعون تعاليمه ، والآية :

« وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم » إشارة إلى ما حدث قبل ذلك من أن بعضاً من الناس قد استخلفوا فى الأرض ؛ أى فى مكان من هذه الأرض ، ولعل المقصود بهم هم أصحاب الدعوة اليهودية حين مكنهم الله من جزء من فلسطين . ثم إن الله اشترط لمن يكونوا خلفاء فى الأرض أن يكونوا مؤمنين ، ويعملوا الصالحات ، فهل يرى الصهاينة فيما يعملونه الآن : وفى سلوكهم وظروف حياتهم .. هل يرون فى كل ذلك شيئاً من الأعمال الصالحة ؟!! وهل يعتقدون أن مذابح دير ياسين واعتداءاتهم المتكررة والظروف السيئة القاسية التى يعيش فيها عرب فلسطين بعيداً عن

ديارهم ، وتلك السياسة الاستعمارية التى تنتهجها إسرائيل . . هل يرون فى ذلك شيئاً من الأعمال الصالحة يستحقون عليه الخلافة فى الأرض ؟!!

قد ينكر اليهود ما جاء فى القرآن الكريم ؛ لأنهم لايؤمنون به ولا يعترفون به ككتاب سماوى ؛ ولذلك نرى لزاماً علينا أن نسوق إليهم دليلا آخر من التوراة : فالإصحاح الأول تثنية السابق ذكره جاءت فيه الأفعال « ادخلوا ، تملكوا ، كثركم » الفعلان الأول والثانى جاءا بصيغة الأمر الذى يدل حدوثه على وقت الكلام أو بعده بقليل ، أما الفعل الثالث فقد جاء فى صيغة الماضى . بمعنى أن موسى قال لقومه : إن الله وعد جدكم إبراهيم بكذا وكذا ، وها قد كثر عددكم وجاء موعد تحقيق وعده ، فادخلوا الأرض التى وعدكم الرب بها .

فوعد الله إذن قد تحقق على يد موسى ، وكان ذلك فى صورة دولة دينية ، فلما انحاز اليهود عن تعاليم الرب ، وعصوا ما أمرهم به موسى ، وفسدوا وضلوا . . تخلى الله عنهم وتركهم لبطش جيرانهم ، وأزال عنهم ما وهبه لهم من قبل ، وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى فى سورة مريم (١) :

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيهِم مِنَ النَّبِيِّين ومِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وإِسْرَائِيلَ وممن هَدَيْنَا واجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سجدًا وبُكِيًّا * فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِم خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ واتَّبَعُوا

---

(١) الآيتان ٥٨ ، ٥٩ .

الشَّهوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا . . »

وفى قوله تعالى [١] : « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِم إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ » .

٣ ـ من الممكن أن نقول : إن وعد الله قد تحقق فى عصر آخر غير عصر موسى ، ونقصد به عصر الملكين داود وسليمان وهما من ملوك وأنبياء بنى إسرائيل ، وخلال حكمهما ارتفع شأن الدعوة اليهودية ، ووصلت إلى أجزاء كثيرة خارج فلسطين مثل شبه الجزيرة العربية واليمن . حدث ذلك بعد أن مر اليهود بفترة عصيبة من تاريخهم ، يؤكد ذلك ما جاء فى الإصحاح الحادى عشر من أشعيا أحد أسفار العهد القديم : « ويخرج قَضِيبٌ من جِذْعِ يسَّى ويَنْبِتُ غُصْن من أُصُوله ، ويحلّ عليه رُوحُ الرّب ، رُوح الحكمةِ والفهم ، رُوح المَشَورة والقوَّة ، روحُ المعرفةِ ومَخَافَةِ الرب ، ولَذَّتُه تكون فى مخافةِ الرَّب ، فَلَا يَقْضِى بَحسَبِ نَظَرِ عَيْنيْه ، وَلَا يحْكُم بحسب سمْع أُذَنَيْه بَلْ يقْضِى بالعدل للْمَساكِين ويحكمُ بالإِنْصَافِ لِبَائِسى الأَرض ، ويكُون ذَلك فى اليوم أنَ أَصل يسَّى القَائِم رَايةً للشُّعوبِ ، إِيَّاه تَطْلُب الأُممُ ،

---

(١) الآية ١٦٧ من سورة الأعراف .

ويكون مَحلّه مَجْدًا ، ويكُون فى ذلكِ اليوم أَنَّ السَّيد يَعْطِى السَّيد يَدَه مرّة ثانية لِيَبْقِى بَقِيَّةَ شَعبه الَّتِى بقَيت من آشُور من مِصْر ومن فَتْرُوس ومن كُوش ومن عِيلَام ومن شَنْعَار ومن حمَاة ومن جَزَائر الْبَحر ، ويَرْفَعُ رَايةً لِلْأُمَم ، وَيَجْمع منْفِيِّى إِسْرَائيل ، ويضُمّ مُشَتِّتِى يَهُوذَا مِن أَربَعةِ أَطْرَافِ الأَرْضِ » وهذه الصفات تنطبق كلها على سليان بن داود .

ويذكر لنا الإصحاح الأول من إنجيل متى والذى سيرد نصه بعد قليل : أن يسى هذا الذى تحدث عنه إصحاح أشعيا هو جد سليمان .

وعلى ذلك يمكن أن نقول : إن وعد الله إن لم يكن قد تحقق فى عهد موسى ، فهو قد تحقق فى عهد سليمان فقد عرف عنه الحكمة والعقل ورجاحة التفكير والسداد فى الرأى كما ثبت أن الديانة اليهودية قد عظم شأنها فى عهده وهو ما تحدث عنه إصحاح أشعيا .

٤ — نستطيع أن نقول : إن وعد الله قد تحقق فى عهد عيسى عليه السلام ، حين جاء بالدعوة المسيحية . ولقد ظهر عيسى فى فترة حرجة من تاريخ اليهود ، فإن فلسطين فى ذلك الوقت كانت خاضعة لحكم الرومان الذين أنزلوا بسكان فلسطين — ومنهم اليهود طبعاً — أقسى أنواع التعذيب والقسوة ، وكانت تعاليم عيسى عليه السلام تدعو إلى عبادة الله والعدل ، والمحبة ، والسلام ، وكان فى هذه التعاليم إحياء للكثير من مبادئ

الدعوة اليهودية . . لذلك من الممكن أن نقول : إن وعد الله لإبراهيم قد تحقق على يد عيسى فى صورة ظهور الدعوة المسيحية .

قد ينكر اليهود أن عيسى من بنى إسرائيل، ولكننا نورد هنا بعض ما جاء فى الكتب المقدسة التى تؤيد إسرائيلية عيسى :

ففى الإصحاح الثالث عشر من أعمال الرسل : « أيها الرجال الإسرائيليون . . إله شعب إسرائيل هذا اختار آباءنا ، ورفع الشعب فى البرية أرض مصر ؛ ثم أهلك سبع أمم فى أرض كنعان .. ثم أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبى . . فأعطاهم شاءول ، وأقام لهم داود ملكاً . . من نسل هذا حسب وعد الله أقام الله لإسرائيل مخلصاً يسوع . . ونحن نبشركم بالموعد الذى صار لآبائنا أن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادكم إذا أقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً فى مزمور آخر » .

وفى الإصحاح الأول من إنجيل متى « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم . . إبراهيم ولد إسحق ، وإسحق ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته ، ويهوذا ولد فارض وزارح من ثامار ، فارض ولد حصرون ، وحصرون ولد آرام ، وآرام ولد عميناداب ، وعميناداب ولد نحسون ، ونحسون ولد سلمون ، وسلمون ولد بوغز من راحاب . وبوعز ولد غوبيد من راعوث ، وعوبيد ولد يسى[1] ، ويسى ولد داود الملك ، وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا ، وسليمان ولد رحيعام ، ورحيعام ولد أبيا ، وأبيا ولد آسا ، وآسا ولد يهوشافاط ، ويهو شافاط ولد بورام ، وبورام ولد عريا ، وعريا ولد يوثام ، ويوثام ولد أحاز . وأحاز ولد حزقيا ، وحزقيا ولد منسى ، ومنسى ولد آمون ، وآمون ولد يوشيا ، ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبى بابل ، وبعد سبى

---

(١) يسى هو الذى ورد ذكره فى الإصحاح الحادى عشر من أشعيا .

بابل يكنيا ولد شألتيل ، وشألتيل ولد زربابل ، وزر بابل ولد أبيهور ، وأبيهور ولد الياقيم ، والياقيم ولد عازور ، وعازور ولد صادوق ، وصادوق ولد أجيم ، وأجيم ولد أليود ، وأليود ولد أليعازر ، وأليعازر ولد منان ، ومنان ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع ..»

وفى رسالة إلى رومية .. ولما بعث المسيح عليه السلام أنكر كهان الهيكل بعثته ، وآمن به بعض اليهود وبعض أبناء الأمم المقيمين فى فلسطين ، واحتج القوم عليه بوعد إبراهيم لهم ، فقال لهم : « إن أبناء إبراهيم بالروح هم الموعودون بالخلاص فكل من يدين بدينه فهو من أبنائه » .

يتضح مما سبق أن عيسى عليه السلام من سلالة بنى إسرائيل وأن دعوته ، كانت عودة ببنى إسرائيل إلى الحق ، وإنقاذهم مما سادهم من ضلال وفساد ، وأن دعوته هذه كانت إحياء لدعوة موسى ، ولذلك فلابأس من أن نعتبر ذلك تحقيقاً لوعد الله لإبراهيم .

٥ ــ ذكرنا من قبل أن وعد الله لم يكن مقصوراً على بنى إسرائيل وحدهم وإنما كان لسلالة إبراهيم ، ولكن هل اقتصرت سلالة إبراهيم على بنى إسرائيل وحدهم . . ؟ الحقيقة . . لا . . فقد كان لإبراهيم ابن آخر هو إسماعيل صاحب قصة الفداء المشهورة ، وهو الجد الأكبر لسيدنا محمد عليه الصلاة السلام ، ويؤكد هذا قول الرسول الكريم : « إن الله اصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار » والمعروف أن كنانة يتصل بمعد بن عدنان الذى يتصل نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

فمن الجائز إذن أن نقول إن هذا الوعد ممكن تحقيقه فى بيت إسماعيل ، بل يمكن أن نقول إن وعد الله لإبراهيم قد تحقق على يد محمد عليه الصلاة والسلام حينما جاء بالدعوة الإسلامية التى هى فى

الحقيقة استعادة لمبادئ الدعوتين اليهودية والمسيحية مع بعض اختلافات اقتضتها الظروف التي كانت سائدة وقت ظهورها .

قد ينكر اليهود نسبة محمد إلى إبراهيم حتى لا يعترفون للمسلمين بحقهم في فلسطين، وقد يدعون أن وعد الله لإبراهيم كان مقصوراً على ذرية إسحق دون إسماعيل ، وهم يستشهدون بما جاء في الإصحاح السابع عشر تكوين والذي ورد فيه أن الله قال لإبراهيم : « ساراى امرأتك لا تسمها ساراى بل سمها سارة ، وأنا أباركها وأعطيك منها ابنا ويكون منها أمم وملوك ، فسقط إبراهيم على الأرض وضحك . . ثم قال للرب : لو أن إسماعيل يحيا بين يديك ، فقال الله بل سارة ستلد لك ابنا وتسميه إسحق وأقيم عهداً معه عهداً مؤبداً لنسله من بعده ، وأما إسماعيل فقد سمعت قولك فيه ، وها أنا أباركه وأنميه وأكثره جداً ويلد اثنى عشر رئيساً ، واجعله أمة عظيمة . . غير أن عهدى أقيمه مع إسحق الذى ستلده سارة . . »

وبهذه العبارات التي أقحموا بها في التوراة يدعون أن وعد الله مقصور على ذرية إسحق دون إسماعيل . وإذا نحن أمعنا النظر فيما جاء بهذا النص لوجدنا فيه مغالطات صريحة واضحة يمكن أن نذكرها في النقط الآتية :

(ا) إن عدالة الرب تأبى أن يخص الخير بواحد من ولدى إبراهيم دون الآخر طالما أن هذا الآخر لم يأت بما يستوجب حرمانه من هذا الحق ، وفي تعبيره عن إسماعيل « أباركه وأنميه وأكثره » ما يؤكد رضاء الرب عنه ، وبالتالى فليس هناك ما يدعو لحرمانه من حقوق له فيها ما لأخيه الآخر وهو إسحق ، وإلا كان هذا دافعاً لإثارة الحقد والكراهية بين الأخوين وهذا ما نتزه عنه الرب ولا نعتقد فيه .

(ب) إذا رجعنا إلى الإصحاحات التي ورد ذكرها في التوراة والتي أوردنا هنا بعضاً منها . . وجدنا أن الله لم يحدد ابناً واحداً من أبناء إبراهيم ليكون صاحب هذا الوعد وإنما جعله مطلقاً ، يدل على ذلك ما جاء في

الإصحاح الأول من أعمال الرسل (وهو من أسفار العهد الحديث) وقد جاء بعد الإصحاح السابع عشر تكوين (أحد أسفار العهد القديم) ومعنى ذلك أن أحد الإصحاحين خطأ والآخر صحيح ، وأنهما متعارضان وبالتالى نسقطهما من حسابنا ونكتفى بإطلاق الوعد على ذرية إبراهيم .

(ج) فى الإصحاح الخامس والعشرين تكوين قصة توحى بأن تفضيل سلالة إسحق على إسماعيل أمر مختلق . اختلقه من لهم مصلحة فى ذلك ، وقد دفعهم إلى ذلك سوء القصد والنية والتحيز إلى الباطل ، ومحاولة تركيز الحقوق كلها لسلالة إسحق دون إسماعيل ، ولسلالة إسرائيل دون عيسو الذى يعتبر شقيقاً لإسرائيل وهما توأمان . والقصة تحكى أن يعقوب « إسرائيل » طبخ طبيخاً ، وأن عيسو أخاه قدم من الصحراء متعباً من الصيد ، وطلب عيسو من أخيه أن يعطيه بعض الطعام الذى طبخه ولكن يعقوب « إسرائيل » رفض هذا الطلب . رفض أن يعطى أخاه بعض الطعام رغم ما يشعر به من جوع وتعب ، ولم يكتف بذلك بل انتهز هذه الفرصة ، وراح يساوم أخاه على الثمن ، ثمن الطعام وكان ثمناً عجيباً . إذا طلب إسرائيل من أخيه أن يتنازل له عن بكوريته ، أو بمعنى آخر أن يعترف عيسو بأنه ولد بعد ولادة يعقوب ، مع أن الحقيقة عكس ذلك : عيسو ولد أولا ويعقوب ولد بعده ، وهذه القصة تظهر مدى الأنانية التى حاول اليهود أن يقحموها فى كتبهم أو على الأقل يجدوا فيها سنداً يبررون به أنهم أفضل من غيرهم حتى إنهم سموا أنفسهم بشعب الله المختار . فليس بغريب عليهم أن يدعو — باطلا — أن وعد الله لإبراهيم كان مقصوراً على ذرية إسحق دون إسماعيل .

سواء أكان هذا الوعد قد تحقق على يد موسى أم على يد سليمان أم على يد عيسى أو محمد . . فمما لا شك فيه أن ذلك قد حدث فعلا فى

الزمن الماضى ، وبالتالى فليس هناك ما يدعو لحدوثه مرة أخرى فى الوقت الحاضر كما يدعى الصهاينة ، ومما لاشك فيه أيضاً أن تحقيق هذا الوعد ليس معناه إقامة دولة سياسية عنصرية ولكن معناه الحقيقى . . العودة إلى تعاليم الرب وعبادته وإعلاء شأنه .

٦ ـ لو سلمنا جدلا أن وعد الله لم يتحقق فى العصور الماضية ، ولو سلمنا جدلا أن هذا الوعد وَقْف على بنى إسرائيل دون سواهم من سلالة إبراهيم . . نقول لو فرضنا ذلك جدلا ؛ لأننا قد أثبتنا من قبل غير ذلك ، لكننا نريد أن نساير اليهود فى مزاعمهم ونتمشى معهم فى أكاذيبهم لكى نبطل كل حجة ، وندحض كل زعم .. لعلهم يقتنعون ..!.

نقول لو فرضنا ذلك . . فأين هم بنو إسرائيل ؟ ليحققوا وعد الله فى أرض فلسطين ؟ هل هم كل من يدين بالديانة اليهودية ؟ أم هم كل من يعتنق الدعوة الصهيونية ؟ وهل من السهل العثور على كل من ينتسب إلى بنى إسرائيل مهما كانت جنسيته أو ديانته ؟ حتى نجمعهم فى فلسطين ؟ ! إن هذا كما يبدو أمراً مستحيلا ؛ ذلك لأنه ليس كل إسرائيلى يهودياً أو صهيونياً ، وليس كل يهودى أو صهيونى يرجع إلى سلالة بنى إسرائيل .

لقد انتشر الدين اليهودى أول ما انتشر بين بنى إسرائيل . . هذا صحيح . ولكن . . هل اقتصر عليهم فقط . ؟ الحقيقة أن الدعوة اليهودية انتشرت بين سكان فلسطين سواء كانوا من الكنعانيين أم الفلسطينيين أم الفينيقيين أم الآراميين ، ثم انتشرت هذه الدعوة فى المناطق المجاورة لفلسطين . . فى العراق وسوريا ومصر وشبه الجزيرة العربية واليمن ، ثم اتسع نطاق هذه الدعوة ، فوصلت إلى أوربا فى العصور القديمة والوسطى ، ثم وصلت إلى الأمريكتين فى العصر الحديث . . معنى ذلك أن الإسرائيليين قد اختلطوا بغيرهم من الأجناس الأخرى ، وأن غير

الإسرائيليين اعتنقوا الدعوة اليهودية ، ولهذا فليس من السهل العثور على إسرائيلى حقيقى لحما ودماً .

وحينما ظهرت الدعوة المسيحية فى القرن الأول الميلادى . . انتشرت مبادئها وتعاليمها فى فلسطين ، ومما لا شك فيه أن كثيراً من اليهود الإسرائيليين قد اعتنقوا هذه الدعوة كما اعتنقها غيرهم من غير الإسرائيليين . . إن لم يكن فى أول الأمر فعلى مر الأيام والسنين ، ومعنى ذلك أن بعض المسيحيين يرجعون فى نسبهم إلى بنى إسرائيل .

وفى القرن السابع الميلادى . . انتشر الدين الإسلامى فى فلسطين حين فتح العرب بلاد الشام وانتزعوها من أيدى الرومان ، وأرسل خالد بن الوليد رسالته المشهورة إلى ملك الروم يقول له : « إن الله أنعم بهذه الأرض على إبراهيم وبنيه ، ونحن من ولد إبراهيم . » وبذلك أصبحت فلسطين جزءاً من الإمبراطورية الإسلامية ، ومن الطبيعى . . فإن كثيراً من اليهود الباقين ، وكثيراً من المسيحيين الإسرائيليين وغير الإسرائيليين قد اعتنقوا الدين الإسلامى . وهذا مما يؤكد أن بعض المسلمين أو المسيحيين من اصل إسرائيلى ، وبذلك لا نستطيع التعرف على بنى إسرائيل الحقيقيين حتى نعطيهم فلسطين !!

٧ — إذا أصر الصهاينة على أن فلسطين من حقهم لأنها أرض ميعادهم ولأنهم من سلالة بنى إسرائيل ، أو من سلالة إبراهيم . . فإن هذا يعتبر حقاً للمسلمين ، وحقاً للمسيحيين على حد سواء ولئن أصر الصهاينة على أن يقيموا لهم دولة يهودية فى فلسطين . . فإن من حق المسيحيين كذلك أن يقيموا لهم دولة مسيحية فى فلسطين . بل إن حجتهم فى هذه الحالة تكون أقوى من حجة اليهود على الأقل لأن عيسى نبيهم وُلدَ ونشأ فى فلسطين بعكس موسى نبى اليهود الذى ولد ونشأ خارج فلسطين . . ثم إنه يكون من حق المسلمين كذلك أن يقيموا لهم دولة

إسلامية فى فلسطين لأن محمداً نبيهم من سلالة إبراهيم ، ولأن كثيراً من المسلمين يرجعون إلى سلالة بنى إسرائيل كما سبق أن وضحنا . . ومعنى ذلك أن تصبح فى فلسطين ثلاث دول تقوم على ثلاث ديانات ، وهذا أمر غير طبيعى ، ولا يمكن حدوثه فى العصر الحاضر . . العصر الذى اتصف بالتسامح الدينى والبعد عن التعصب المذهبى والطائفى ، ولم يعد للدول القائمة على الصبغة الدينية أو المذهب العنصرى مجال فى هذا العصر .

وهنا يثب إلى الأذهان سؤال آخر . . وهو لماذا يصر الصهاينة على تحقيق ما أسموه أرض الميعاد فى هذا العصر بالذات ؟ لعلهم أرادوا بذلك أن يحشروا كل صهيونى فى زمرة الإسرائيليين ، ولعلهم أرادوا أن يقحموا كل يهودى فى سلالة إبراهيم . . ! !

وإذا كان بن جوريون ، وموشى ديان ، وجولدا مائير ، وغيرهم . . من هؤلاء المشردين المنبوذين الذين جيء بهم من أكثر من اثنتين وخمسين دولة . . إذا كان هؤلاء وغيرهم يستطيعون أن يثبتوا أنهم من سلالة إسرائيل أو إبراهيم . . فإننا قد نسمح لهم بالإقامة فى فلسطين كأفراد عاديين ، ولكننا لن نسمح لهم — بأى حال من الأحوال — أن يقيموا لهم دولة يهودية أو صهيونية تأتمر بأمرهم ويخضع شعبها لحكمهم . . أستغفر الله . . إننا لن نسمح لهم بالبقاء فى فلسطين إطلاقاً حتى لا يدنسوا أرضها الطاهرة بنواياهم السيئة ، وحتى لا يسيئوا إلى شعب فلسطين أو يشعلوا نيران الفتنة فيه .

لقد استطاع الصهاينة ذات يوم — حين اشتد بطش الألمان بهم — أن يثبتوا أنهم من أصل جرمانى ، وأن الدماء الألمانية تجرى فى عروقهم ، كما أنكروا على عروقهم الدماء الآسيوية ؛ وذلك حتى يكف الألمان عن اضطهادهم ، وحتى يخلصوا أنفسهم من ظلم النازيين الذين أذاقوهم

العذاب والهوان والاحتقار

فلماذا نراهم الآن يؤكدون أن دماءهم آسيوية ؟ ! ! هل تغيرت هذه الدماء ؟!! أو هل أصبحت فلسطين قطعة من ألمانيا أو من أوربا وليست من آسيا ؟!!

ومن الحقائق الواضحة أن اليهود اختاروا تحقيق هذا الوعد فى العصر الحاضر بالذات ؛ نتيجة لما كانوا يلاقونه من المعاملة السيئة فى الدول التى يعيشون فيها . . لا لأنهم من بنى إسرائيل ، ولا لأنهم يهود . . وإنما بسبب ما اختصوا به من طابع اجتماعى خاص ، ومن صفات مادية وخلقية ونزعات تعصبية . . جعلتهم مكروهين من أفراد الشعوب التى ينتمون إليها ، وأصبحوا فى شبه عزلة عن بقية أفراد وطنهم .

ولعل اليهود قد اختاروا هذا العصر بالذات لتحقيق وعدهم منتهزين الظروف السيئة التى كان العرب يعيشون فيها ، وما صاحب ذلك من ظروف استعمارية حين راح المستعمرون من الإنجليز والفرنسيين والأمريكان يساندون اليهود ، وساعدهم فى ذلك الخونة والرجعيون العرب . . إذا كان ذلك قد حدث فى الماضى . فإن الظروف قد تغيرت ؛ وما كان بالأمس لن يكون اليوم ، ولن يكون غداً .

مرة أخرى . . نؤكد للعالم أن ما يدعيه اليهود من أرض الميعاد خرافة لا يمكن تصديقها ، ولا يمكن أن يكون هذا الوعد لليهود ولا للصهاينة . . وهى حجة ساقطة موءودة ، وخرافة ممقوتة لا يمكن الاعتماد عليها لإثبات حق ، بل هى فى حد ذاتها تنكر ذلك الحق على من يدعونه ، وتؤكده لأصحابه الحقيقيين . . العرب .

الفصل الثانى

أكذوبة الحق التاريخى

وهذا زعم آخر من مزاعم الصهيونية التى يبرر بها اليهود استيلاءهم على فلسطين . وهو ما أسموه « بالحق التاريخى » ، وتعبير الحق التاريخى الذى يقصده اليهود هو ذلك الحق المبنى على أساس قيام دولة يهودية قديمة فى فلسطين . فهم يزعمون أن الأجداد الأوائل لليهود قد استطاعوا منذ عصور ما قبل الميلاد إقامة دولة لهم وأنشأوا لهم فيها حضارة .. منذ حوالى ثلاثة آلاف سنة ، وهم لذلك يرون أنهم أحق بأن يعودوا إلى وطن آبائهم وأجدادهم !!

ولكى نرد على هذا الزعم ، لنتعرف مدى صحته أو كذبه — يجدر بنا أن نجيب على الأسئلة الآتية :

١ — هل كانت فلسطين خالية من السكان قبل مجىء اليهود إليها أم كانت مسكونة بقبائل غير القبائل اليهودية ؟

٢ — وإذا ثبت أنها كانت مسكونة .. فهل سكت هؤلاء السكان عن اليهود حينما انتزعوا جزءاً من أرضهم .. أم قاوموهم واستعادوا ديارهم ؟

٣ — وحتى لو كان لليهود تاريخ قديم فى فلسطين ، فهل هذا يعطى لهم حق الاستيلاء عليها و إقامة دولة لهم فيها ؟

فبالنسبة للسؤال الأول : نجد أن المصادر التاريخية القديمة والأبحاث الحديثة بل كتب اليهود المقدسة .. تؤكد أن فلسطين كانت مسكونة

بقبائل عربية يرجع أصلها إلى الجنس السامى[1] الذى ينتسب إلى سام ابن نوح عليه السلام، وأن هذه القبائل قد خرجت تباعاً من جنوب الجزيرة العربية متجهة شمالا فى شكل موجات بشرية ، وكان ذلك خلال فترات تاريخية قديمة فيما بين سنة ٤٠٠٠ ق.م. سنة ١٥٠٠ ق.م. وهى تسبق دخول العبرانيين[2] (الإسرائيليين) إلى فلسطين بآلاف السنين .

وقد تعددت هذه الهجرات واتجه بعضها إلى سوريا ، واتجه البعض الآخر إلى بلاد الرافدين « العراق » .

أما الهجرات التى قدمت إلى سوريا فهم : العموريون (الآموريون) — والكنعانيون[3] — والفينيقيون ، والآراميون . . وقد استطاعت هذه الهجرات أن تسيطر على سوريا القديمة وتنشئ فيها عدة ممالك وإمارات ، وتقيم حضارات ما تزال آثارها باقية حتى الآن ، وعلى سبيل المثال نستطيع أن نذكر بعض هذه الممالك :

١ — مملكة مارى العمورية : تكونت فى شمال سورية . . فى المنطقة التى تشغلها الآن أواسط نهر الفرات . . واتخذ العموريون عاصمة لهم (تل حرير) شمال بلدة أبى كمال الحالية ، وقد اشتهرت هذه المملكة بالتقدم فى كثير من مظاهر الحضارة خصوصاً الزراعة . وهناك مملكة

---

(١) يؤيد هذا الرأى كثير من العرب والمستشرقين .

(٢) سمى اليهود أو بنى إسرائيل بالعبرانيين لأنهم عبروا نهر الأردن . وبعض المؤرخين يرى أنهم سموا بهذا الاسم بعد أن عبر جدهم إبراهيم نهر الفرات متجهاً إلى الغرب . . تدل على ذلك بعض الآثار القديمة .

(٣) كان يطلق على فلسطين فيما مضى أرض كنعان أى الأرض الواطئة ، ثم أطلق عليها اسم فلسطين نسبة إلى قبيلة(فلسيتا) التى قدمت من كريت ونزلت على الساحل وسكنت المنطقة الممتدة من يافا إلى عكا .

عمورية أخرى قامت بجوار هذه المملكة وهى مملكة حلب .

٢ ــ الممالك الكنعانية : فى المنطقة التى تشغلها الآن معظم فلسطين ، وقد اشتهرت هذه الممالك ببناء المدن المحصنة مثل : أريحا ، بيسان (بيت شان) ، مجدو . . كما استطاعت أن تقيم لها حضارات عظيمة ، كان من أبرز نواحيها التقدم فى الزراعة والصناعة وتجارة القوافل التى كانت تتم عن طريق الجمال لنقل السلع من بلاد ما بين النهرين إلى ساحل البحر المتوسط أو العكس .

٣ ــ المدن والموانى الفينيقية : وقد ذكر كثير من المؤرخين أن الفينيقيين[1] فرع من الكنعانيين اتجهوا غرباً حيث ساحل البحر المتوسط ، وأقاموا لهم عدة موان على الساحل مثل صور وصيدا وطرابلس وبيروت واللاذقية . . وقد اشتهر الفينيقيون بركوب البحر للصيد أو التجارة ، واستطاعوا تأسيس عدة مستعمرات لهم فى البحر المتوسط مثل قبرص وكريت وقرطاجنة . . ووصلوا فى جولاتهم حتى ساحل إنجلترا كما طافوا حول إفريقيا ، وفى خلال رحلاتهم نقلوا مظاهر حضارتهم إلى بلاد اليونان والرومان، ويؤكد علماء التاريخ أن الكتابة اللاتينية التى هى أصل الكتابة الأوربية الحديثة كالإنجليزية والفرنسية . . ترجع إلى الأبجدية الفينيقية التى وجدت فى رأس شمرة شمال مدينة أوغاريت ، وأن هذه الأبجدية نقلت إلى اليونان والرومان .

٤ ــ الممالك الآرامية : اسستها القبائل الآرامية ، وكان من أشهر هذه

(١) الفينيقيون : أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى « فينقس » أو الأرجوان الأحمر الذى اشتهروا بصيده . وكانوا يستخدمونه فى صباغة الملابس .

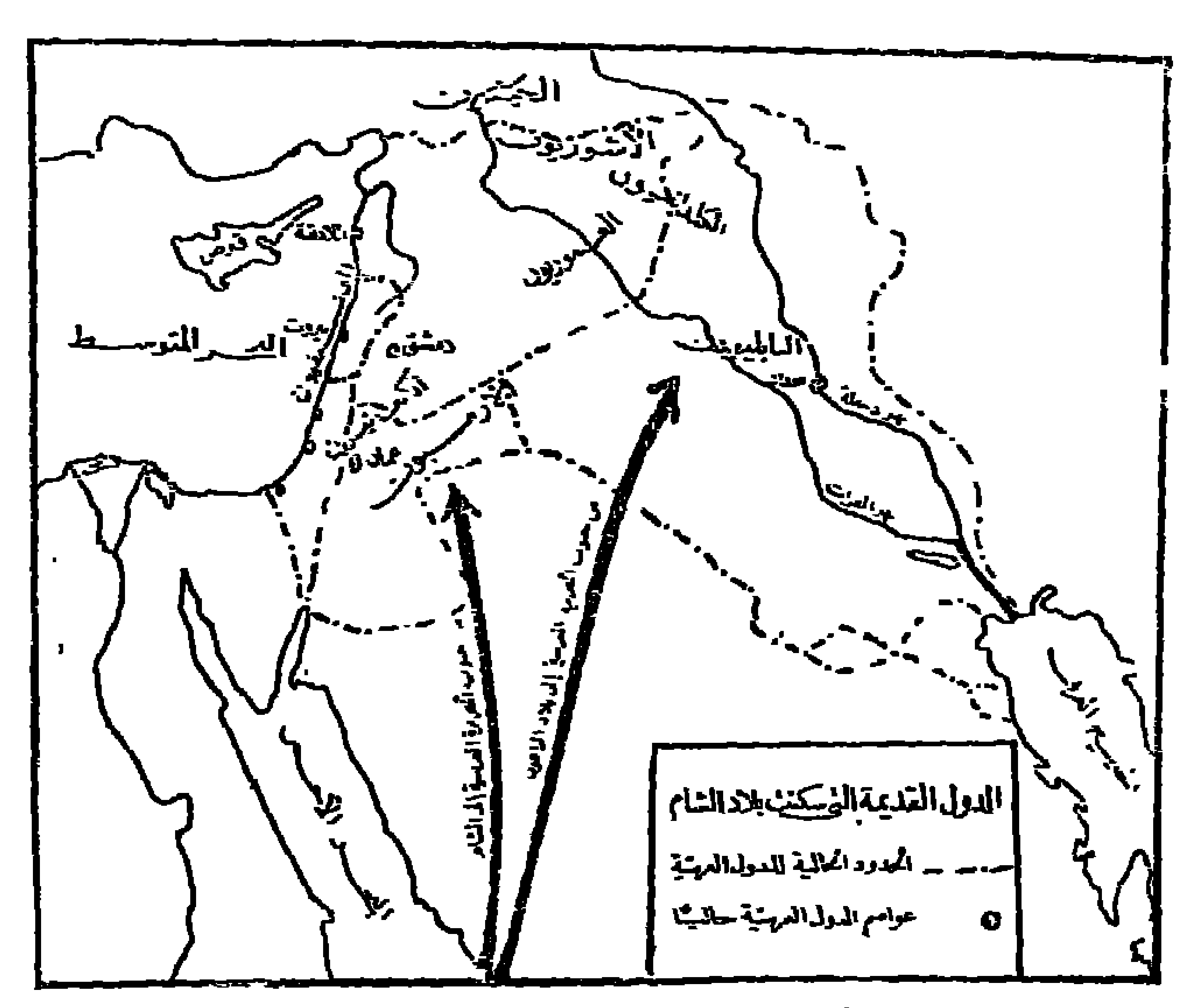
الممالك : دمشق وساماں فى وسط سوريا وجنوبها ، واستطاعت هذه المدن أن تقوم بدور الموانى البرية حيث كانت تمر بها تجارة القوافل ، كما كان لها دور كبير فى نقل كثير من مظاهر الحضارة من الشرق حيث العراق وفارس إلى الغرب حيث مصر .

إذا تركنا سوريا واتجهنا شرقاً حيث بلاد الرافدين . . وجدنا أن هذه المنطقة هى الأخرى قد وصلتها هجرات من الجنس السامى . . وكان من أشهر هذه الهجرات : السومريون ، الأكاديون ، البابليون ، الآشوريون ، الكلدانيون ، واستطاعت هذه الهجرات أن تؤسس لها دولا فى هذه المنطقة وتوسع أملاكها حتى وصلت حدودها ذات يوم إلى سوريا وإلى مصر ، ولا ينكر أحد الدور الحضارى الخالد الذى لعبته هذه المنطقة ، وما خلفه أهلها القدماء من مظاهر الحضارة؛ مثل العمران والآداب والعلوم والقوانين [١] ، وما تركوه من آثار ما تزال بعض آثارها باقية حتى الآن فى صورة أطلال تحكى للناس أمجاد أهل هذه المنطقة مثل حدائق بابل المعلقة وأطلال آشور ونينوى . وفى الخريطة شكل (٢) توضيح للهجرات العربية إلى العراق وسوريا والدول التى قامت فى هذه المنطقة قديماً .

مما سبق يتضح لنا أن اليهود لم يكونوا أول من سكن فلسطين أو المناطق المجاورة لها وإنما سبقتهم إليها بآلاف السنين كثير من القبائل التى ترجع إلى الجنس السامى . وإذا نحن استعرضنا تاريخ اليهود والذى أوردنا له عرضاً سريعاً فى الفصل الأول من الباب الأول ، وجدنا أن الدولة اليهودية لم تقم فى فلسطين إلا حوالى سنة ١٠٠٠ ق.م. ، ومعنى ذلك أن الممالك السابقة قامت قبل اليهود بآلاف السنين : فالبابليون والآشوريون هاجروا

---

(١) من أشهر هذه القوانين : قوانين حمورابى التى وجدت على ألواح من الطين وترجع إلى عصر الدولة البابلية الأولى .



شكل (٢) أهم الدول القديمة التى سكنت الشام و بلاد الرافدين

إليها سنة ٣٥٠٠ ق.م. ، والآموريون أو العموريون ، والكنعانيون ، والفينيقيون كانت هجرتهم سنة ٢٥٠٠ ق.م ، والآراميون هاجروا سنة ١٥٠٠ ق.م ، فكأن هذه القبائل كلها فى هجراتها كانت سابقة لهجرة العبرانيين .

قد ينكر اليهود ما جاء فى الكتب والمراجع التاريخية ، وليس هذا بغريب عليهم . . فإن إنكار الحق سنتهم ، وادعاء الباطل شريعتهم ، وهم الذين قال الله على لسانهم : « قلوبنا غلف » ومن أجل ذلك نرى لزاماً علينا أن نسوق هنا بعض ما جاء فى كتب اليهود المقدسة مما يؤكد قولنا ، ويدحض المزاعم الصهيونية ويكشف أكاذيبهم :

فالإصحاح السادس والثلاثون يحدثنا عن الملوك الذين ملكوا أرض آدوم قبل ملوك بنى إسرائيل فيقول : « وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا أرض آدوم .. قبلما ملك ملك لبنى إسرائيل : بالع بن يعور، يوباب ابن زارح، هداد بن بداد ، سملة بن سريقة ، وشاءول . . »

وفى الإصحاح الثالث عشر يشوع : « وهؤلاء هم ملوك الأرض الذين ضربهم يشوع وبنو إسرائيل فى عبر الأردن ، الحيثيون ، والآموريون ، والكنعانيون ، والفرزيون ، والحويون ، واليبوسيون . . »

وفى الإصحاح الرابع والثلاثين خروج حينما كان الرب يحدث موسى ويذكره بفضله عليه فيقول : « هأنذا طارد من قدامك الآموريين والكنعانيين والحيثيين . . . »

وفى الإصحاح الثالث عشر ص ٢٣٢ يحدث الرب موسى عليه السلام ويأمره أن يرسل رسلا ليتجسسوا على أرض كنعان « فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم : اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا إلى الجبل وانظروا الأرض ما هى والشعب الساكن فيها .. أقوى هو أم ضعيف ، وما هى المدن التى هو ساكن فيها » .

ومما يؤكد هذه الحادثة ما جاء فى القرآن الكريم فى سورة المائدة[1] قوله تعالى :

« قَالُوا يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ، فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ » .

---

(١) الآية (٢٤) .

وقوله فى سورة المائدة (١) :

« قَالُوا يَا مُوسى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِين وإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا ، فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُون . . . »

مما سبق تتضح الحقائق الآتية :

١ ـ أن العبرانيين الذين يدعى اليهود أنهم أحفادهم . . ليسوا أول من سكن فلسطين وإنما سبقهم إليها قبائل عربية بآلاف السنين .

٢ ـ أن دولا كثيرة وحضارات عظيمة قامت فى فلسطين وفى المناطق المجاورة لها قبل مجىء العبرانيين .

٣ ـ أن اليهود لم يقدر لهم دخول بعض أجزاء من فلسطين فى العصور القديمة بجهادهم وكفاحهم ، وإنما كان ذلك بفضل الله الذى أراد لدينه أن ينتشر ولنبيه أن ينتصر ، ولو أن العبرانيين حاولوا دخول فلسطين قبل مجىء موسى لما نجحوا فى الوصول إليها ، لقد كانوا أذلاء مستضعفين فى مصر فكيف تكون لهم القدرة على الهجوم ؟! ! ولم يكن فى قدرتهم أن يتخلصوا من استعباد المصريين لهم . . إنها مشيئة الله لدينه ، وإلا لما قالوا لموسى :

« إِذْهَبْ أَنْتَ وربكَ فَقَاتِلا ... »

وقبل أن نترك هذا الموضوع يجدر بنا أن نورد هنا رأى أحد علماء التاريخ وهو ليس عربى الأصل ، ولا إسلامى الدين حتى يقول اليهود إنه متحيز للعرب أو للمسلمين . . إنه المؤرخ الفرنسى (رابوبور) الذى يقول : « إن سكان فلسطين يرجعون إلى عهد قديم يقدر بعشرة آلاف سنة قبل الميلاد ، وقبل أن يضع اليهود أقدامهم فى فلسطين . . كان يقطنها أقوام ، وكانت لهم حضارة وأمجاد مثل الكنعانيين والحيثيين

---

(١) الآية (٢٢) .

والفينيقيين والفلسطينيين وغيرهم . .» وليس رابوبور وحده صاحب هذا الرأى ولكن كثيرين من المؤرخين يؤكدون ذلك ومنهم برستيد وربنسون .

أما بالنسبة للسؤال الثانى : وهو : هل سكت سكان فلسطين الأصليين عن الغرباء الذين دخلوا أرضهم ؟ أم دافعوا عنها بكل ما أوتوا من قوة وشجاعة ؟ . . إن اليهود تقهقروا وملأهم الرعب وأصابهم الجبن وقالوا لموسى :

«إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ وإِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا » .

وقد ذكرت كتب التاريخ تفاصيل الحروب التى دارت بين العبرانيين وبين السكان الأصليين . لفلسطين وجيرانهم : وكانت هذه الحروب تنتهى فى أغلب الأحيان بهزيمة اليهود .

ونورد هنا بعض ما جاء فى كتب اليهود المقدسة ؛ ليكون خير شاهد على ما نقول :

فى الإصحاح الواحد والثلاثين صموئيل الأول :

«وحَارَب الْفِلَسْطِينيُّون [١] إِسْرَائيل ، فهَرَب رِجَالُ إِسْرَائيل أَمَام الْفِلِسْطِينين وسَقَطُوا قَتْلَى ... ولما رأَى بنُو إِسرائيل أَنَّ إِسرائيل قَدْ هَربوا وأَنَّ شَاءُول وبَنِيه قد مَاتُوا تركُوا الْمُدن وهرَبُوا ، فَأَتَى الفِلِسْطِينيّون وسكَنُوا فِيها » .

---

(١) فى تعبير الفلسطينيين ما يؤكد وجود سكان فى فلسطين بهذا الاسم قبل مجىء بنى إسرائيل وهو ما أجبنا عنه فى السؤال الأول من هذا الفصل .

وفى الإصحاح الرابع صموئيل : « وخرج بنو إسرائيل واصطف الفلسطينيون للقاء إسرائيل ، واشتبكت الحرب ، فانكسر بنو إسرائيل أمام الفلسطينيين » .

وفى معركة أخرى يمضى نفس الإصحاح فيخبرنا أن بنى إسرائيل هربوا من أمام الفلسطينيين وكانت أيضاً هزيمة للشعب الإسرائيلى .

والإصحاح العشرون عدد يحدثنا أن ملك أدوم رفض السماح لبنى أسرائيل بالمرور فى أرضه مما أضطرهم إلى أن يسلكوا طريقاً أخرى فيقول :

« فأَرسل موسى رُسُلًا من قَادِس إلى مَلِك آدُوم . . . دَعْنَا نمر فى أَرْضِك ، لَا نَمُرّ فى حقْلٍ ولا كَرم ، ولا نَشْرَب ماءَ بِئْر ، فقَالَ لهم آدُوم : لا تَمر لئلاً أَخرُج المقَاتِلك بالسّيف ، فقَال بنُو إِسْرائيل : أَمرُّ برجْلى فقط ، فقَال آدُوم : لا تَمُر ، وأَبَى آدُوم أَن يسْمَح لإِسَرائِيل بالمُرور فى تخُومه فتحوّل عنه إِسْرائيلُ »

ولا ينسى التاريخ أبداً ما فعله نبوخذ نصر الكلدانى ، فقد حارب اليهود وهزمهم وهاجم أورشليم ، ودمر هيكل سليمان ، وساق اليهود أسرى إلى بابل حيث جعل منهم عبيداً وخدماً فى قصره ، وأهانهم وعذبهم أكثر من سبعين سنة ، ولم ينقذهم من الذل والهوان إلا كورش ملك الفرس .

يؤكد ذلك ما جاء فى المزمور ١٣٧ « هُنَاك عَلى أَنْهار بابل جلَسنا وبَكَيْنَا عِنْدما تَذكّرناكَ يَا صَهيُون ، وعلى

أَشْجَار الصَّفْصَاف علَّقْنا أَعْوَادَنا بعْد أَنْ طَلَب منَّا الَّذين سَبُونا أَن نُغَنِّى لَهم أُغْنِيَةً من أَغَانِى صَهْيُون . كيْفَ نُغَنِّى لهم أُغْنيةً الرَّب فى أَرْضٍ غَرِيبَةٍ . . . شُلَّت يَمينُك إِنْ نَسِيتك يا أُورشَلِيم ، وإنْ لَم أَفْضِّلك على أَعْظَم أَفراحى يَا بِنْتَ بَابلِ طُوبَى لِمَنْ يُجَازيك جَزَاءَكِ . . »

وفى الإِصحاح الأَول نحميا : « . . . جَاءَنى فى مَنَامِى وَاحِدٌ من إِخْوَتِى هَو ورِجال من يهُوذَا . . . فسأَلْتُهم عن اليَهُود الذين بَقُوا من السَّبْى وعن أُورشَلِيم فَقَالُوا : إِنَّ الذين بَقُوا فى السَّبى هُنَاكَ فى بِلَادِهم فِى شَرٍّ عظِيم وعَارٍ . . »

وفى المزمور ٧٩ لآساف : « اللَّهم إِنَّ الأُمم قَدْ دخَلوا مِيَراثَك ، نَجَّسُوا هيْكل قُدْسِك . . . جَعلُوا من أُورشليم أَكْوَاماً ، دَفَعوا عَبِيدَك طَعَاماً لطيُور السَّماء ، لَحْمَ أَتقِيَائِك لِوحُوشِ الأَرْض . . . سفكُوا دَمَهُم كالْماءِ حَوْل أُورشليم صِرْنَا عَارًا عِنْد جِيرَانِنا ... هُزْءًا وسُخْرِيَةً للذين حَوْلَنَا . »

وفى المزمور الثمانين « كَرْمة[1] من مصْر طَرَدْتَ أُمَماً

---

(١) المقصود بتعبير « كرمة » : قبيلة أو بنو إسرائيل .



باذر الحب - للفنان ڤان جوخ - مجموعة بورهليه - زيوريخ .



الفلاحة المرضعة – للفنان فرانسوا ميليه – متحف اللوفر – باريس .

وَغَرَسْتَهَا . فَلِمَاذَا هَدَمْتَ جُدْرَانها فَيَقْطِفُهَا كُلُّ عَابِرِى الطَّرِيق . . »

هذه بعض أمثلة مما ورد فى كتب اليهود ، ومن الممكن أن نسوق أمثلة أكثر لحوادث ومواقع حربية تؤكد أن السكان الأصليين لم يسكتوا عن اليهود حينما دخلوا فلسطين ، ولعل فى هذا خير برهان وأسطع دليل للرد على مزاعم الصهيونية .

هذا بالنسبة لفلسطين . . أما بالنسبة لمصر التى يدخل اليهود شطراً منها وهو الوجه البحرى كما بينا فى أرض ميعادهم . . إنهم يدعون أيضاً أن هذا الجزء من مصر لهم فيه الحق التاريخى الذى يدعونه فى فلسطين . . ونحن نؤكد هنا أن بنى إسرائيل حين سكنوا مصر لم يكونوا من سكانها الأصليين ، وإنما كانوا مجرد قبيلة وفدت إلى مصر فى ظروف معينة يعرفها اليهود جيداً وقد ورد ذكرها فى التوراة والقرآن . . حين جاءوا إلى مصر بدعوة من يوسف ، وقد ثبت أن الإسرائيليين إبان وجودهم فى مصر لم يقوموا بواجبهم لا كمواطنين ولا كضيوف يحسنون رد الجميل لمضيفيهم . . بل جعلوا من أنفسهم عملاء للأجانب ، ظهر هذا بصورة واضحة أثناء حكم الهكسوس لمصر ، فقد ربط كثير من المؤرخين بين الهكسوس وبنى إسرائيل حتى إن بعض المؤرخين اعتبروا هؤلاء الإسرائيليين من الهكسوس ، وتألب الإسرائيليون على المصريين ، حتى قدر لمصر أن تتخلص من حكم الدخلاء على يد أحمس ، ثم قدر للإسرائيليين أن يخرجوا من مصر على يد موسى ليذهبوا إلى سينا ومنها إلى فلسطين ، وهناك يقوم النزاع بينهم وبين السكان الأصليين كما وضحنا .

فالإسرائيليون ليس لهم تاريخ قديم فى مصر . . إن تاريخهم ملىء

بالخزى والدسائس ، ومن أجل ذلك فخير لهم ألا يدعو لأنفسهم ماليس لهم .

وهنا يقفز إلى ذهننا هذا السؤال : لماذا قدر لليهود قديماً أن يحرزوا بعض الانتصارات على السكان الأصليين مع أنهم — أى اليهود — ليسوا أصحاب حق . . ؟

والإجابة على السؤال واضحة .. إن الانتصارات التى أحرزها بنو إسرائيل فى بضع سنوات من تاريخهم . . اقتضتها إرادة الله . . شأنه فى ذلك شأن مناصرته لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى غزواته ضد كفار قريش والتى كان من أوضحها : غزوة بدر وغزوة الخندق رغم كثرة عدد الكفار وقلة عدد المسلمين ، مع فارق واحد فى الحالتين هو أن المسلمين الأوائل الذين حاربوا كفار قريش لم يكونوا غرباء عن شبه الجزيرة العربية ، وإنما كانوا من سكانها . . بل من أشهر قبائلها ، فهو لايعدو إلا أن يكون نزاعاً داخلياً بين فريقين يختلفان فى الاتجاه الدينى . هذا بالنسبة للمسلمين . . أما بالنسبة لبنى إسرائيل فالأمر يختلف كثيراً ، فإن النزاع بينهم وبين غيرهم كان نزاعاً بين فريقين يختلفان فى الأصل والموطن والاتجاه الدينى ، وبمعنى آخر فإن الإسرائيلين كانوا غرباء عن فلسطين وعن سكانها . فكأن انتصار الدعوة اليهودية وبنى إسرائيل كان بمشيئة الله وقدرته ، وذلك لإعلاء دينه ورفع اسمه . . حتى إذا ماانحاز الإسرائيليون عن طريق الهدى ، وعصوا ربهم ، واتبعوا الشيطان . . تخلى الله عنهم وتركهم يقاسون الشدائد والعذاب ، فألقى بهم إلى أعدائهم ، وحرمهم من مساعدته ونصرته ، يؤكد ذلك قوله تبارك وتعالى فى سورة الأعراف :

« فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِم خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا » وقد تعرضت كتب اليهود لهذه الناحية .

فى الإصحاح السادس قضاة : «وعَمِلَ بنُو إسْرائيل الشَّر فى عَيْنَى الرَّب فدفَعهم ليد مِدْيان سبعُ سنواتٍ ، فاعتزَّت يدُ مدْيان على الاسْرَائيليِّين ، وبسبب المديانيين عمل إسرائيل لأنفسهم الكهوف التى فى الجبل والمغاور والحصون ، وإذا زرع بنُو إسرائيل . . يصعدُون عليهم ويُتْلِفُون غَلَّة الأَرض ولا يتْركُون لإسْرائيل قُوتَ الحياة ، فذلَّ إسرائيل جداً من قبل المديَانيِّين وصَرَخَ إسْرائيل إلى الرَّب . . . »

وفى الإصحاح الثالث عشر قضاة : « ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرّب ؛ فدفعهم ليد الميديانيين أربعين سنة » .

وهكذا تبدو العلاقة بين انتصار اليهود ومساعدة الرب لهم ، فليس انتصارهم أمراً ذاتياً بقدر ما هو إرادة من عند الله .

وهناك نقطة أخرى يجدر بنا الإشارة إليها . . فإن قيام الدولة اليهودية فى فلسطين لم يكن بالمعنى السياسى المعروف . فلم تكن لهذه الدولة أسسها ومقوماتها السياسية . . بل كانت دولة — إن تجاوزنا هذه التسمية — مُذبذبة . . تقوى فترة قصيرة ثم تضعف وتضمحل فترات طويلة .. تشتد حيناً ثم لا تلبث أن تزول ، ولم تكن دولة ثابتة الأركان مثل الدولة الفرعونية فى مصر القديمة ، أو الدولة الفارسية بإيران أو غيرهما ، وإنما يمكن أن نعتبرها مرحلة من مراحل الدعوة اليهودية . . فترة مزدهرة من فترات تاريخ

هذه الدعوة . . ذلك لأن تلك الدولة لم تتمثل فيها عناصر الدولة الأساسية ؛ فالمعروف عن الدولة أنها جماعة من الناس يعيشون على مساحة من الأرض، تجمعهم حكومة واحدة ونظم سياسية مشتركة ، أو بمعنى آخر تقوم الدولة على وجود أرض وشعب ، فإذا طبقنا ذلك على الدولة اليهودية القديمة . . وجدنا أن عنصرى الدولة فيها مفقودان ، فالشعب أو القبيلة التى كونت هذه الدولة، ونقصد بها بنى إسرائيل لا تمثل شعباً بالصورة المعروفة للشعب كالشعب العراقى أو الشعب المصرى . . لأن الإسرائيليين كما ذكرنا قوم أجانب . . جاءوا من منطقة أخرى ومن حيث الأرض التى سكنوا فيها فهى ليست أرضهم ، وحتى حينما استولوا – أى الإسرائيليون – على هذه الأرض لم تكن خالصة لهم ، فما كانوا إلا أفراداً فيها ولم يكن لدولتهم حدود ثابتة حتى يمكن أن نطلق عليها تعبير « دولة » . إذن فعنصرا الدولة هنا مفقودان ، أو غير واضحين . . ومما يؤكد قولنا هذا : أن ملوك الدولة اليهودية فى فترة قوتها لم يكونوا ملوكاً بالمعنى الصحيح ، وإنما كانوا أنبياء جاءوا ليتمموا رسالة موسى عليه السلام ، وليتابعوا نشر تعاليمه ، وكان من أشهر هؤلاء الأنبياء داود وسليمان . .

قد يقول قائل : إذن فنعتبر قيام الدولة الإسلامية من هذا القبيل، أى نعتبرها مثل الدولة اليهودية القديمة على أساس أن العامل الأساسى فى الدولتين هو الدين . . ولكن هذا غير صحيح إطلاقاً . . إذ أن القياس هنا مختلف بين الحالتين ، فبنو إسرائيل أو اليهود لم يكن لهم موطن أصلى ولم يكن لهم – قبل موسى – دولة لها مقوماتها من الأرض والشعب ونظام الحكم ، وإنما كانوا قوماً هاجروا من منطقة كانوا فيها دخلاء وهى مصر إلى منطقة أخرى . . أصبحوا فيها غرباء أيضاً ، فكأنما هم انتقلوا من غربة إلى غربة . أما الدولة العربية الإسلامية فهى على غير ذلك ، فقد كان للعرب قبل الإسلام وقبل مولد محمد عليه السلام . . دولة ، وكان لهم

أرض يقيم عليها شعب ، وكان لهذا الشعب نظامه السياسى مهما كان هذا النظام . كذلك كان للشعب العربى عاداته وتقاليده وآدابه ، ولم يكن ظهور الدين الإسلامى هو الذى أنشأ دولة لم تكن موجودة ، وإنما كان ظهوره عودة بالعرب إلى إنسانيتهم ودعوة إلى عبادة الله وحده ، ونبذ عبادة الأصنام . ثم إن الدين الإسلامى ظهر فى أرض مكة ، وبين شعبها حيث ولد رسول هذا الدين .ومن هذه المنطقة – أى من مكة – خرجت الدعوة الإسلامية إلى المدينة وهى الأخرى إحدى مناطق الحجاز ، ومن المدينة ومكة خرجت الدعوة إلى الأجزاء الأخرى إلى باقى شبه الجزيرة العربية ، ثم إلى خارجها .

إذن فقد كان للدولة العربية الإسلامية نواة ، وما تزال هذه النواة باقية حتى الآن بعد أن تقلصت الإمبراطورية الإسلامية ، ونقصد بهذه النواة . الدولة المعروفة الآن باسم المملكة العربية السعودية ، ثم إن كثيراً من المناطق التى دخلها الدين الإسلامى وكانت جزءاً من الإمبراطورية الإسلامية . . ما تزال حتى الآن تحمل الطابع الإسلامى وتحتفظ بتقاليدها الإسلامية وتتكلم اللغة العربية وتحفظ تراث آدابها ، ومن أمثلة هذه الدول : مصر والعراق وسوريا والمغرب ، وحتى فلسطين . فأين ذلك كله من الدولة اليهودية التى قامت فى فلسطين لفترة محدودة ، وسرعان ما اندثرت معالمها وتلاشى عنها الطابع والسمات اليهودية !! وكذلك المناطق التى دخلها الدين اليهودى لم تحافظ على الطابع اليهودى وانقرضت منها اللغة الآرامية ، وحلت محلها سمات أخرى تتفق مع التقاليد المسيحية أو الإسلامية أو تتميز بصفات وخصائص الشعوب نفسها .

وعلى هذا فلا يمكن أن يكون هناك تشابه بين الدولتين اليهودية والإسلامية . . حتى وإن تشابهتا فى عامل مشترك هو الدين . إلا أن كلاً منهما تختلف عن الأخرى اختلافاً كبيراً .

أما بالنسبة للسؤال الثالث وهو : هل يعتبر قيام الدولة اليهودية — قديماً — بصرف النظر عن عدم استقرارها أو شرعيتها . . سنداً يخول للصهاينة الحق فى أن يستعيدوا فلسطين ؟ ! !

إننا إذا سلمنا بهذا المبدأ . . فإنه يكون للعرب أيضاً أو بمعنى آخر يكون للمملكة العربية السعودية الحالية حق الاستيلاء على مصر والعراق وسوريا والمغرب وغيرها من الدول العربية التى كانت فى يوم ما ضمن أملاك الدولة الإسلامية إبان فترة ازدهارها ، وكانت هذه الدول بمثابة ولايات تدين بالطاعة والولاء للخلفاء الراشدين أو لخلفاء الدولتين الأموية والعباسية ، ثم لجاز للعرب كذلك أن يحتلوا الأندلس وإيران وتركيا وأجزاء من الهند وباكستان . . باعتبار أن هذه الدول كانت فى يوم ما ضمن أملاك الدولة الإسلامية ، بل إن بعضها ماتزال فيه بعض السمات الإسلامية ومعظم سكانها يدينون بالإسلام . فهل من حق المملكة العربية السعودية أن تستولى على هذه الدول وتطرد السكان الأصليين وتقضى على لغات هذه الدول وتحل محلها اللغة العربية كما يفعل الصهاينة الآن ؟ ! !

ثم لماذا نذهب بعيداً . . ؟ إن فلسطين هى الأخرى كانت تابعة للدولة الإسلامية ، وكانت جزءاً من هذه الدولة خلال فترة طويلة تربو على عشرة قرون . . حتى حينما سقطت الدولة العباسية على يد المغول . . دخلت فلسطين ضمن أملاك دولة المماليك ثم الدولة العثمانية وهما دولتان إسلاميتان ، ثم إن سكان فلسطين حتى سنة ١٩٤٨ كان معظمهم من العرب ممن يدينون بالدين الإسلامى ، وقياساً على ذلك يكون للمملكة السعودية الحق فى أن تستولى على فلسطين . . على الأقل على أساس أن معظم سكان فلسطين من العرب المسلمين وأن دخول الإسلام فى فلسطين كان أحدث من اليهودية . كذلك فإن المظاهر العربية والتقاليد الإسلامية كانت وما تزال فى فلسطين .

إننا لا نرضى بأن يستولى السعوديون على فلسطين، ويقيموا فيها دولة تابعة لحكومتهم، والسعوديون أنفسهم لا يرضون بذلك ، لأن هذا متروك لإرادة الشعب الفلسطيني ليقرر ما يشاء ، فكيف يحق للصهاينة أن يفرضوا أنفسهم على العرب ويستحلوا أرض فلسطين لهم ؟ ! !

وهناك نقطة أخرى تتعلق بالديانة المسيحية ، فالمعروف والذى لا شك فيه أن الديانة المسيحية نشأت فى فلسطين حيث خرجت منها هذه الدعوة إلى العالم كله ، وأن عيسى عليه السلام نبي هذه الدعوة ولد فى فلسطين بعكس موسى الذى ولد فى مصر أى بعيداً عن فلسطين . . فهل يمكن أن نعطى فلسطين للمسيحيين، ونجعلها مثلا تابعة لدولة الفاتيكان بروما؟! أو هل يرضى اليهود أن تنتقل البابوية من الفاتيكان إلى فلسطين ؟ ! . وهل يمكن كذلك أن نجمع مسيحيي العالم ونقيم لهم دولة مسيحية فى فلسطين على أساس أن فلسطين مصدر دعوتهم ومهبط ديانتهم ؟ ! !

معنى هذا أننا سنخرج فى النهاية بثلاث دول فى فلسطين : دولة يهودية ، ودولة مسيحية ، وثالثة إسلامية، وطبيعى سيكون اليهود أقل عدداً ، والمسلمون هم الأكثرية . . لقد انتهى عصر الإمبراطوريات الدينية ، ولسنا فى حاجة إلى مثل هذا التطاحن المذهبي فى فلسطين .

إن عنصر الاستعمار بكل صوره قد ولى أو كاد ، وبقاياه تتحطم يوماً بعد يوم ورواسبه تتلاشى مع الأيام . فهل يريد الصهاينة أن يعيدوا عصر الاستعمار ؟! وهل يريدون أن يعودوا إلى المنطقة التى قدر لهم يوماً ما أن يستعمروها ؟! إن معنى عودة اليهود إلى فلسطين . . عودة الاستعمار إلى مكانه . وعودة عصور القرصنة التى قاسى منها العالم كثيراً . وكأنى بهؤلاء الصهاينة يريدون أن يطفئوا الشمس ليعيش العالم فى ظلام حتى يستطيعوا أن يعبثوا فيه ! ! فهل يستطيعون ذلك ؟ كلا . .

وقبل أن نختم هذا الموضوع يجدر بنا أن نوجه هذا السؤال إلى

الصهاينة . . إذا كانوا يعتقدون أنهم أصحاب حق فى فلسطين ، فلماذا رضوا بجزء منها دون الآخر؟ ثم لماذا تهاونوا ذات يوم فى هذا الحق حين راحوا يبحثون عن بديل لحقهم؟. حدث ذلك قبل الحرب العالمية الأولى.. حين لجأ الصهاينة إلى إنجلترا لتمنحهم أى منطقة أخرى غير فلسطين يقيمون دولة فيها . . ولماذا وجدناهم يفكرون فى مدغشقر أو أستراليا ؟ أو حتى قبرص؟! وصرح هرتزل ذات يوم .. وهو أحد دعاة الصهيونية ودعاماتها : « يكفى أن تعطونا أية قطعة من الأرض تتناسب وحاجات شعبنا ويكون لنا السيادة عليها . . » بل إن كثيراً من اليهود اعترضوا على التمسك بفلسطين ، ودعوا يهود العالم أن يستبعدوا من أذهانهم فكرة العودة إلى فلسطين ، وكان مما قاله واحد من زعمائهم هو ينسكر : « ليس هدفنا هو الأرض المقدسة ، ولكننا نريد أى بقعة من الأرض تخصص لنا . . »

لو أن اليهود مقتنعون بأحقيتهم فى فلسطين . . لما فكروا حتى مجرد التفكير فى أرض غيرها . . ترى لو قدر لليهود أن يستولوا على إحدى المناطق التى كانوا يريدونها مثل مدغشقر . . هل سيجد اليهود ما يبرون به استيلاءهم على هذه المنطقة؟! أعتقد أنهم سيحاولون بكل الحيل والأساليب أن يجدوا تعليلات لهم ، ولابد أنهم سيصوغون من الحجج والبراهين التى يحسنون صياغتها وتزويرها ما يدعون به أحقيتهم لهذه المنطقة . قد يقولون نفس ما قالوه عن فلسطين . . قد يقولون إن مدغشقر هى أرض ميعادهم ، وعند ذلك سيحشرون فى كتبهم وتلمودهم مايثبت أن الله وعدهم بمدغشقر ، وسيدعون أيضاً أن لهم فى مدغشقر حقاً تاريخياً ويستدلون على ذلك بأسانيد كاذبة وسيذكرون فى كتبهم تاريخ دولتهم فى هذه المنطقة ، فاليهود كما هو معروف عنهم لديهم القدرة الكافية على التزوير والافتراء وهم الذين يصدق عليهم قول الله تبارك وتعالى فى سورة الأعراف(١) :

---

(١) الآية ١٦٣ .

« فبدَّل الَّذينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غيْرَ الَّذى قِيلَ لَهُمْ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيهم رِجْزًا مِنَ السَّماءِ بِما كَانُوا يَظْلِمُون » .

إن اليهود لا يتورعون عن تزييف كل حقيقة.. طالما أن ذلك يحقق لهم أهدافاً وأغراضاً .

هكذا يتبين لنا بصورة صادقة لا تقبل الشك أن اليهود ليس لهم حق تاريخى فى فلسطين . وأن هذا الزعم مجرد واحدة من تلك الأباطيل التى يطلقها الأفاقون ودعاة الصهاينة ليصدقها من فسدت أخلاقهم ، وساروا فى ركب الصهيونيين، فأضلوهم سواء السبيل .

الفصل الثالث

وعد بلفور . . باطل

ويبدو أن الصهاينة أحسوا بضعف حججهم فيما أسموه أرض الميعاد ، وفيما ادعوه من أن الله وعدهم بأرض فلسطين . . فراحوا يتلمسون حججاً أخرى يثبتون بها دعواهم الباطلة ، ويحاولون كسب قضيتهم الخاسرة ؛ فنراهم هذه المرة يتمسكون بما جاء فى وعد بلفور . هذا الوعد الذى أصدره وزير خارجية إنجلترا فى صورة رسالة موجهة إلى صديقه روتشيلد أحد زعماء الصهاينة وأثريائهم . وقد صدر هذا الوعد فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ وجاء فى هذه الرسالة :

عزيزى روتشيلد :

يسرنى أن أبعث إليكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المشوب بالعطف على الأمانى الصهيونية والذى عرض على الحكومة ووافقت عليه ..

تعترم الحكومة البريطانية إقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل كل ما لديها من جهود لتحقيق هذه الغاية . . هذا مع العلم بأن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئاً ينطوى على أى أساس بالحقوق الدينية والمدنية للطوائف الغير يهودية فى فلسطين ، ولا بحقوق اليهود الذين يعيشون فى دولة أجنبية أو نظم أحوالهم الشخصية . .

وأكون شاكراً لو تكرمتم بإبلاغ هذا التصريح إلى اتحاد الهيئات الصهيونية .

إمضاء : جيمس أرثر بلفور

وقبل أن نناقش هذا الوعد من حيث صحته أو بطلانه . . يجدر بنا أن نسترجع الأحداث السياسية التى لازمت صدور هذا الوعد .

فى سنة ١٩١٤ قامت الحرب العالمية الأولى بين قوتين عالميتين متنازعتين : الأولى تتزعمها ألمانيا وتركيا ، والثانية تتزعمها إنجلترا وروسيا وفرنسا . . فى ذلك الوقت كانت سوريا الكبيرة « الشام » والعراق والحجاز كلها تتبع الإمبراطورية العثمانية . . بالإضافة إلى مصر التى كانت تتبع لتركيا تبعية اسمية رغم احتلال إنجلترا لها . وبمجرد إعلان الحرب . . أصبحت مصر تحت الحماية البريطانية .

كان الشعب العربى فى مصر وسوريا والعراق والحجاز . . يتطلع إلى اليوم الذى يستطيع فيه أن يتخلص من السيطرة العثمانية خصوصاً بعد أن زادت حدة التوتر والنفور بين العرب والأتراك بسبب السياسة العدائية التى اتبعتها الحكومة التركية تجاه العرب منذ أن تولى مقاليد الحكم فى تركيا جماعة الاتحاد والترقى سنة ١٩٠٨ والتى كانت تقوم على تتريك العرب ، والقضاء على القومية العربية ، وإحلال القومية التركية مكانها ، وفى الوقت نفسه كانت قوى الصهيونية العالمية هى الأخرى تتطلع إلى تحقيق آمال اليهود بإقامة وطن لهم فى فلسطين .

ومع قيام الحرب الأولى بدأت الآمال تداعب كلا من الفريقين : العرب واليهود . كل منهما يبغى تحقيق آماله ، وكل منهما يحاول هدم آمال الفريق الآخر .

كان على العرب فى ذلك الوقت أن يختاروا أى المعسكرين يختارون : تركيا أم الحلفاء ؟ . ورأى العرب أن الخير فى أن ينضموا إلى الأتراك على أمل أن تمنحهم تركيا استقلالهم حين يكتب لها النصر ، ولعل العرب أحسوا فى أن للحلفاء أطماعاً فى الشرق الأوسط خصوصاً بعد أن زادت العلاقات والمعاهدات بين إنجلترا ورؤساء القبائل العربية فى الجنوب

العربى ، ولذلك أعلن العرب استعدادهم لمساعدة تركيا فى الحرب ضد الحلفاء . . ولكن الأتراك لم يقابلوا هذا الجميل بمثله . . بل على العكس قابلوه بالجحود والنكران ، وكانت سياسة القائد التركى جمال باشا السفاح تجاه الشعب السورى أسوأ الأمثلة للبطش والتنكيل، فنصب المشانق ، وأعدم الكثير من أحرار الشعب وقادته . وكان يوم ٦ مايو سنة ١٩١٦ الذى عرف بيوم الشهداء . . نقطة تحول فى العلاقة بين العرب والأتراك . لذا رأينا العرب يتجهون إلى المعسكر الآخر المناهض للأتراك ، ويعلنون مساندتهم للحلفاء . وكان الإنجليز أرحب صدراً وأبعد نظراً من الأتراك ؛ فانتهزوا هذه الفرصة . . فرصة الانشقاق بين العرب والأتراك . . وراحوا يمنون العرب بالأمانى العذبة ، ويعدونهم بالاستقلال حين يقدر للحلفاء النصر . وقد اشترط العرب لمساعدة الحلفاء . . أن تعترف إنجلترا باستقلال العرب من جبال طوروس شمالا إلى المحيط الهندى جنوباً ، واعترفت إنجلترا بهذا الحق، وذلك فى الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين الهاشمى أمير مكة والسير هنرى ماكمهون الإنجليزى . وهذه هى الرسائل التى عرفت باسم رسائل (الحسين — ماكمهون) .

واتفق العرب مع الإنجليز على وضع خطة الانتقام من تركيا . .

كانت الخطة مبنية على أساس أن يقوم العرب بالثورة ضد الأتراك على أن يقود هذه الثورة الشريف حسين فى الحجاز ، بينما يكون ابنه فيصل يقود الثورة فى سوريا ، وتندلع نيران الثورة فى وقت واحد ، وفى الوقت نفسه تقوم الجيوش الإنجليزية بمهاجمة سوريا ودخول الشام ، وبذلك تصبح الجيوش التركية فى مواجهة خطرين كل منهما أصعب من الآخر : ثورة العرب ، وهجوم الحلفاء، مما يعجل بهزيمتهم، وعند ذلك يستولى الحلفاء على الشام . . حتى إذا ما انتهت الحرب عادت جيوشهم من حيث أتت . . تاركين للشعب العربى أرضه معلنين استقلال الأراضى

العربية فى الشام والحجاز تحت لواء الشريف حسين . كانت هذه هى الخطة .

ولقد كان العرب حريصين على تنفيذ الخطة بكل تفاصيلها . . لذلك عملوا على قطع المواصلات التركية بين شمال بلاد العرب وجنوبها ، وسدوا — بمساعدة الحلفاء — منافذ البحر الأحمر والمحيط الهندى أمام القوات الألمانية .

وفى اليوم العاشر من يونية سنة ١٩١٦ . . اندلعت نيران الثورة فى الحجاز وفى سوريا ، واستطاعت الجيوش العربية أن تحرر الحجاز من الأتراك ، ثم تقدمت متجهة شمالا إلى سوريا حتى وصلت العقبة ، وكانت الجيوش الإنجليزية قد زحفت بقيادة اللورد اللنبى ، واخترقوا سينا ، وساعدهم السوريون حتى دخلوا الشام .

هكذا قام العرب بدورهم خير قيام ، وكانوا أوفياء على عهودهم ، أصدقاء فى وعودهم . . أما اليهود فقد رأوا فى قيام الحرب فرصة لتحقيق آمالهم وأحلامهم ، وفكروا . . هل ينضمون إلى تركيا وألمانيا : وكانت تركيا هى الحاكم الفعلى لفلسطين — حتى قيام الحرب — وهى وحدها التى تملك تحقيق آمال اليهود إن شاءت ذلك . كما كان واضحاً عطف الألمان على الصهيونية ؟ . أم ينضم اليهود إلى إنجلترا التى أظهرت أكثر من مرة استعدادها لمساعدة اليهود . . ؟

ويبدو أن اليهود كانوا أكثر دهاء وحيطة من العرب . . فقد آثروا التريث، ولم يندفعوا إلى أى المعسكرين . . حتى تتكشف لهم الحقيقة ، وتتضح مقدمات النصر لأحد من الطرفين . . وما كاد الحلفاء يدخلون أرض الشام وفلسطين بمساعدة العرب إثر ثورة سنة ١٩١٦ حتى هب اليهود يتملقون للحلفاء ، ويعلنون استعدادهم لمساعدتهم ، أو لعلهم تظاهروا

بذلك . . وراح أثرياؤهم ينتهزون الفرصة ليصلوا إلى ما يستطيعون من مكاسب .

وكان الإنجليز أكثر ولاء لليهود بقدر ما كانوا أكثر غدراً للعرب . . لذلك – وقبل أن تضع الحرب أوزارها – رأيناهم يعلنون حقيقة مشاعرهم الدنيئة ، ويبرهنون عن سوء نواياهم . ظهر هذا فى صورة الإعلان الذى أسموه « وعد بلفور » والذى أوردنا نصه فى أول هذا الفصل . . ثم تتضح معالم الغدر والخيانة بصورة أكثر خسة ودناءة.. حين تنكشف سر المعاهدة الثنائية التى عقدت بين إنجلترا وفرنسا سنة ١٩١٦ والتى عرفت باسم معاهدة سايكس بيكو Sykes-Picoul ، والتى نصت على اقتسام الأراضى العربية إلى مناطق نفوذ بينهما . ولم يعرف العرب بهذه المعاهدة إلا فى أواخر سنة ١٩١٧ فكانت اكتمالاً لصورة الخيانة البشعة التى أثرت على مستقبل الوطن العربى والتى ما تزال آثارها باقية حتى الآن .

هذه فكرة سريعة عن تلك الظروف التى لازمت إصدار وعد بلفور . وقد يعيب بعض المؤرخين على العرب مساندتهم للإنجليز ، ولكن الحقيقة هى أن العرب كانوا معذورين إلى حد ما . . صحيح كانوا يستطيعون أن يتخلصوا وحدهم من الحكم العثمانى منتهزين هذه الفرصة ، ولكنهم على أى حال لم يكونوا يتوقعون هذه الخيانة من دول كبرى أو المفروض أنها كبرى فى ذلك الوقت، والخير لهؤلاء أن يعيبوا على الحلفاء غدرهم .. ولو أن الأتراك كانوا أكثر تعقلاً وحكمة . . ربما قدر لهم النصر ، ولما حدث للعرب ما حدث .

ولندع كل هذه الاحتمالات لنناقش معاً وعد بلفور ، ولنأخذ فى الحسبان تلك الظروف التى اقترنت بصدور هذا الوعد . . وسنحاول أن نثبت بطلان هذا الوعد مما يقضى بعدم تنفيذه واعتباره كأن لم يكن :

١ – كل وعد يقتضي أن يكون لدينا : واعداً ، وموعوداً له ،

وموعوداً به . والواعد هنا هو بلفور أو إنجلترا، والموعود لهم هم اليهود، والموعود به هو فلسطين . هذا صحيح . . ولكن الوعد يقتضى أيضاً أن يكون الواعد أهلاً لما يعد به ، وقادراً على تنفيذه ، وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الواعد يمتلك الموعود به . فإذا ما طبقنا هذا الشرط على بلفور أو إنجلترا . لوجدنا أن كلا منهما لم يكن يملك فلسطين باعتبارها الشيء الموعود به ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، ولقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن هذه الحقيقة فى رسالته إلى الرئيس الأمريكى الراحل كيندى ، وقد جاء بهذه الرسالة : « لقد أعطى من لا يملك من لا يستحق وعداً ، ثم استطاع الاثنان من لا يملك ومن لا يستحق أن يسلبا صاحب الحق حقه فيما يملكه وفيما يستحقه » فالوعد هنا إذن ينقصه عنصر هام وهو القدرة على تنفيذ ما وعد به .

قد يدعى الإنجليز أو اليهود أن ذلك الوعد معلق على ملكيته ، أى معلق تنفيذه على ملكية إنجلترا لفلسطين ، ولكننا نرد عليهم حجتهم ، فنقول لهم : إن إنجلترا لم يقدر لها فى يوم ما أن تمتلك فلسطين لا قبل وعد بلفور ولا بعده . . حتى الانتداب فى حد ذاته – انتداب إنجلترا على فلسطين – لا يمكن أن نعتبره تمليكاً ، فليس الانتداب صورة من صور الملكية المعروفة ، ولكنه مجرد مرحلة انتقال للدولة الواقعة تحت الانتداب (١) وهذا الانتقال لمدة ما تصبح بعدها هذه الدولة قادرة على حكم نفسها بنفسها ، كما أن الانتداب لا يسمح للدولة المنتدبة أن تتصرف فى أملاك الدولة المنتدبة عليها تصرف الملاك فيما يملكون ، ولا يسمح لها أيضاً بأى تصرف يكون فيه مساس بحقوق الشعب أو الدولة الواقعة تحت الانتداب .

---

(١) راجع الفصل الرابع من الباب الثانى فى هذا الكتاب ، وفيه أثبتنا أن الإنتداب الإنجليزى على فلسطين كان باطلا شكلا وموضوعاً ، وأن كل ما وقع فيه يعد باطلا . .

ومعنى ذلك أن وعد بلفور لا يعدو إلا أن يكون مجرد أمل . أمل شخص نحو مجموعة أفراد ، ولست أدرى لماذا ذهب كثير من الكتاب والمؤرخين ورجال السياسة إلى تسمية ما جاء فى رسالة بلفور . . وَعداً . إن الرسالة لا تعدو إلا أن تكون خطاباً موجهاً من شخص إلى شخص ، وإذا كان للشخص الأول وهو بلفور صفته الرسمية باعتباره نائباً عن إنجلترا . . فإن الشخص الآخر وهو روتشيلد لا يعدو إلا أن يكون شخصاً عادياً ليس له أى كيان رسمى أو صفة دولية . فلم يكن لليهود فى ذلك الوقت دولة معترف بها ، وبالتالى لم يكن روتشيلد نائباً عن هذه الدولة .

نقول : إن رسالة بلفور مجرد رسالة شخصية من صديق إلى آخر ، وفى هذه الرسالة تعلن إنجلترا أو يعلن بلفور نيابة عنها .. رغبتها ونيتها فى إقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين . . مجرد رغبة أو أمنية سواء أكانت هذه الرغبة أو الأمنية عند اليهود أم عند إنجلترا أم بلفور . . فإن هذا لا يعطى لليهود الحق ، ولا يمكن أن يكون لهم سنداً . فلو أن وزير خارجية إحدى الدول العربية أرسل رسالة إلى رئيس أية دولة أخرى أو لأى شخص عربى . . يخبره فيها أنه ينوى أن يقيم للعرب دولة فى إنجلترا أو فرنسا أو أمريكا مثلا . . هل تعتبر هذه الرسالة سنداً يستند إليه العرب فى تحقيق ذلك ؟ ! ! أعتقد أن الإجابة بالنفى . . وعلى هذا نستطيع أن نقول . . إن وعد بلفور باطل وغير ملزم التنفيذ .

٢ ــ نصت رسالة بلفور على إقامة وطن لليهود فى فلسطين . . ولم تنص على إقامة دولة لهم . . وهناك فرق بين مدلول الكلمتين : وطن ، دولة . فالوطن يعنى مكان الاستيطان أى مكان للسكن والإقامة فقط دون أى ارتباط بأى تشكيل سياسى مهما كان هذا التشكيل . . أما الدولة فمعناها أكبر وأشمل . معناها إقامة شعب ، وحكومة يكون لها السيادة والسيطرة عليهما : الشعب والأرض . وإذا نحن رجعنا إلى رسالة بلفور

والتى جاء بها : « تحترم الحكومة البريطانية إقامة وطن للشعب اليهودى » . . وجدنا أن هذا الكلام لا يعنى إقامة دولة ، وإنما يعنى إقامة مكان يسكن فيه اليهود ويستوطنون فيه . ولكنها لا تعنى إطلاقاً إقامة دولة يكون شعبها يهودياً وحكومتها من اليهود .

والجلسات والمقابلات التى جرت بين روتشيلد واليهود وإنجلترا كان مثار الخلاف فيها واضحاً حول مدلول الكلمتين : وطن ، ودولة . ولكن يبدو أن إنجلترا اقتنعت بهذا التعبير « وطن » على أمل أن تحقق ما ترجوه باسم هذه الكلمة . .

مهما يكن من شىء . . فإن وعد بلفور فى حد ذاته لا يعطى لليهود حق إقامة دولة لهم، ولا يصبح أن يكون حجة يتمسك بها اليهود .

٣ ــ نصت رسالة بلفور على « إقامة وطن للشعب اليهودى » فماذا يعنى بلفور وحكومته بتعبير « الشعب اليهودى » ؟ ! إن اليهودية كما ذكرنا من قبل دين سماوى شأنها فى ذلك شأن الدين الإسلامى أو الدين المسيحى، وليس اليهود شعباً ، وإلا لكان فى العالم ثلاثة شعوب : شعب يهودى ، وشعب مسيحى ، وشعب إسلامى . . بالإضافة إلى الشعوب الأخرى التى تدين بالديانات الأخرى غير السماوية مثل البوذية، والهندوكية والكنفوشية . . ولكن الواقع غير ذلك . . إن العالم ينقسم إلى شعوب بناء على عوامل أخرى ومقاييس خلاف الدين . كالأصل والجنس والنشأة والموطن والعادات والتقاليد . وقد تدخل مجموعة من الشعوب تحت دين واحد ، فالشعب الأمريكى والشعب الإنجليزى وكذا الشعب الفرنسى والألمانى . . كلها تدين بالديانة المسيحية ، ومع ذلك فهى شعوب مختلفة ، والشعب العربى ، والشعب الباكستانى والشعب الإندونيسى وكذا الشعب التركى

كل منها شعوب مختلفة ، ولكنها كلها تدين بدين واحد هو الإسلام ومع أن الشعبين : الهندى والباكستانى . . كانا شعباً واحداً إلا أنهما مختلفان من حيث الدين .

فماذا يقصد بلفور بالشعب اليهودى ؟ هل يقصد به مثلاً كل من يدين بالديانة اليهودية ؟ ! أعتقد أن ذلك أمراً مستحيلاً ، فلا يعقل أن يجتمع بفلسطين أكثر من خمسين مليون يهودى لمجرد أنهم يدينون بالدين اليهودى . ! !

وما يقال عن عدم تحديد معنى الشعب اليهودى يمكن أن يقال عن عدم تحديد مكانه . فأين هذا الشعب اليهودى ؟ هل فى الخريطة السياسية ما يدل على مكان الشعب اليهودى ؟! ! إن كل شعب له دولة، وله حدود مرسومة على خريطة العالم السياسية . فهل للشعب اليهودى شىء كهذا ؟ــ شىء من اثنين : إما أن بلفور كان غبياً حين كتب مضمون رسالته لأنه لا يدرك معنى ما يكتب، وإما أنه كان يضحك على اليهود لمجرد أن يمنحهم أملاً . وسواء كان هذا أم ذاك فإن وعد بلفور بالصورة التى جاء عليها غير واضح ، ولا مجال للاعتماد عليه فى إثبات حق يدعيه اليهود .

٤ ــ ونعود مرة أخرى إلى نص رسالة بلفور ، ونسلط عليها الأضواء ولنبحث بالذات هذه الفقرة من الرسالة : « تعتزم الحكومة البريطانية إقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين » وهنا نريد أن نسأل بلفور هذا السؤال : ماذا كان يقصد بفلسطين ؟ ما حدودها ؟ وما مساحتها ؟ إننا إذا رجعنا إلى الخريطة السياسية فى تلك الفترة لما وجدنا فيها حدوداً واضحة لفلسطين بمعناها المعروف حالياً ، ولكننا نجد مساحة كبيرة تمتد من الفرات شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً ، ومن حدود تركيا الجنوبية شمالاً حتى شبه الجزيرة العربية جنوباً وهذه هى المنطقة التى عرفت على الخريطة

باسم سوريا أو بلاد الشام[1] وهى التى قسمت فيما بعد أى سنة ١٩٢٠ إلى الوحدات السياسية المعروفة حالياً وهى : لبنان والأردن وسوريا وفلسطين .

إن حدود فلسطين الحالية لم تكن مرسومة بصورة واضحة حين أصدر بلفور وعده أو رسالته . فهل كان بلفور يقصد بفلسطين : المنطقة كلها ؟ أم كان يقصد جزءاً بعينه ؟ ! !

يفهم من هذا أن بلفور لم يكن يعرف بالضبط ماذا يريد ، ويجب أن نعتبر رسالة بلفور مجرد خيال أو كلام على الهامش « لا طلع ولا نزل! » وبالتالى فلا يمكن الاعتماد عليه فى إثبات حق .

٥ ــ وليت الأمر وقف عند هذا الحد . . فإن رسالة بلفور المليئة بالغموض والإبهام . . نجدها من ناحية أخرى مليئة بالمتناقضات ؛ فقد جاء فيها « . . مع العلم بأن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئاً ينطوى على أى مساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين » والمقصود بالطوائف غير اليهودية : المسلمين والمسيحيين . ونحن إذا تأملنا هذه العبارة لوجدنا فيها تناقضاً عجيباً ، وإذا ربطنا ما جاء بهذه الفقرة وما جاء بالفقرة الأولى من الرسالة وهو إقامة وطن للشعب اليهودى . . وجدنا أن الأمر لا يمكن تصديقه ، فلا يمكن تنفيذ ما جاء فى الفقرتين معاً . إن تنفيذ الشطر الأول من الرسالة معناه عدم تحقيق الشطر الثانى ، ولا شك أن هذا التناقض يفسد الرسالة فحواها . وبالتالى يجعلها غير ذات قيمة ، وليس لها صفة معقولة يمكن الاستناد إليها .

٦ ــ إن رسالة بلفور أو وعد بلفور لايكسب اليهود حقاً فى فلسطين ؛ لأن هذا الوعد إن وافقنا على تسميته بذلك جوازاً . . ليس له صفة دولية .

---

(١) أثناء الحكم العثمانى كانت القدس مصرفية تخضع للسلطان العثمانى مباشرة .

فليست هذه الرسالة صادرة من دولة إلى دولة . . إنها من شخص إلى شخص . صحيح قد يكون روتشيلد ممثلاً لجماعة من اليهود شكلوا أنفسهم فى صورة منظمات أطلقوا عليها ما أسموه بالهيئات الصهيونية . ولكن هذه الهيئات لم يكن لها صفة دولية وليس لها كيان عالمى ، وبالتالى لا يكتسب الوعد صفة قانونية ، وبالتالى لا يكون لازم النفاذ ، وليس من حق الشخص الذى صدر له الوعد أو الهيئات التى يتزعم رئاستها هذا الشخص . . ليس من حق هؤلاء جميعاً أن يطالبوا بتنفيذه ، ولا يصح أن يكون أساساً للتدليل على حق اليهود فى فلسطين .

قد يكون الصهاينة حاولوا أن يكسبوا هذا الوعد صفة دولية حين طالبوا روسيا والولايات المتحدة وغيرها من الدول الأخرى الاعتراف بما جاء فى رسالة بلفور ولكن ذلك لم يحدث إلا بعد مدة من إصدار رسالة بلفور ، ولم يتضح موقف هذه الدول بصورة قاطعة . . وحتى لو وافقت أو عارضت الدول ما جاء فى رسالة بلفور فإن هذا لا يغير من الواقع شيئاً .

٧ ـ لو فرضنا جدلاً ، وسلمنا برسالة بلفور على أنها وعد منه لليهود.. فإننا نقول : إن إنجلترا وعدت العرب ذات يوم ، وكان وعدها سابقاً ، ولاحقاً لوعد بلفور . . فقد وعدت إنجلترا العربَ ممثلين فى شخصية الشريف حسين وابنه فيصل أن يساعدوهم فى الاستقلال بسوريا والحجاز . جاء ذلك فى الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين وماكمهون ، ولا شك أن الشريف حسين كان يمثل دولة لها كيانها ولها معالمها بعكس روتشيليد الذى لا يمثل أى دولة كما ذكرنا .

نقول : إن الإنجليز وعدوا الشريف حسين باستقلال العرب عن الدولة العثمانية ، وكان ذلك سنة ١٩١٦ . وعلى أساس الوعد قام العرب بثورتهم ضد العثمانيين ، وكان عاملا كبيراً فى انتصار الحلفاء ، وحينما أحس العرب بخيانة إنجلترا وسوء نوايا الحلفاء . . قدم زعماؤهم فى مصر

فى مارس سنة ١٩١٨ — وهو تاريخ متأخر عن وعد بلفور — مذكرة طالبوا فيها بأن تعلن إنجلترا حقيقة أغراضها فى فلسطين ، وردت وزارة الخارجية الإنجليزية تؤكد عزم إنجلترا على تنفيذ تعهدها للشريف حسين ، والاعتراف بسيادة العرب . وأن يكون الحكم فى البلاد العربية وفقاً لرغبات الشعب العربى . وفى ١٧ فبراير سنة ١٩١٨ أصدرت إنجلترا وفرنسا مذكرة تؤكدان فيها أن هدفهما هو تحرير الشعوب التى كانت ترزح تحت نير الاستعمار العثمانى .

معنى ذلك أن اعتراف إنجلترا بسيادة العرب على أرضهم سبق اعترافها بإقامة وطن لليهود فى فلسطين . وإذا كان اليهود يقولون : إن وعد بلفور يلغى الأقدم أى يلغى ما جاء فى رسائل الحسين ما كمهون ، فإننا نقول لهم : إن إنجلترا أكدت مرة أخرى وعودها للعرب وكان ذلك بعد وعد بلفور أى سنة ١٩١٨ وبذلك يمكن أن نعتبر فى ذلك إلغاء لوعد بلفور .

٨ — مما لا شك فيه أن وعد بلفور لا يتفق مع المبادئ التى نادى بها الرئيس الأمريكى ولسن والتى كان من أهمها : حق كل دولة فى اختيار الحكم الذى يلائمها ، وحق الشعب أن يختار بنفسه وبحرية نظام الحكم الذى يريده ويرتضيه ، ولكل أمة أن تختار الطريق الذى تريده دون أى تأثير من دولة أخرى ، ولقد أكد ولسن آراءه أكثر من مرة ؛ وكان مما جاء فى خطاب ألقاه يوم ٤ يولية سنة ١٩١٨ . . إننا لا نريد إلا سيادة الحق القائم على إرضاء المحكومين أنفسهم » ولقد كان العرب محكومين من العثمانيين ؛ وكان ما يرضى العرب هو استقلالهم ، وقد أعلنوا ذلك أكثر من مرة . . أعلنوه حين عقدوا مؤتمراً لهم فى دمشق سنة ١٩٢٠ وأعلنوا فيه استقلال سوريا بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين . ورفضوا أن يأخذ اليهود أى شبر منها ، كما رفضوا بقاء الجيوش الإنجليزية أو الفرنسية فى الأراضى العربية ولم يوافقوا على الانتداب الإنجليزى أو الفرنسى على الدول العربية ،

وهم بكل تأكيد وبإجماع لم يرضوا عما جاء فى رسالة بلفور ، فكيف يتفق هذا مع حق تقرير المصير الذى أعلنه ولسن ؟ ! !

إما أن ولسن كان غبياً ، وإما كان بلفور مخطئاً ، وإما كان الاثنان أغبياء . ولكن مهما يكن من شىء فإن ذلك لا يضيع حق العرب ، ولا يعطى لليهود حقاً فى فلسطين .

ولقد أثبتنا فى مكان آخر بطلان ما أسماه اليهود بالوعد المقدس أو أرض الميعاد ، وهنا نؤكد بطلان وعد بلفور . فهل يبحث اليهود عن وعد آخر يثبتون به حقهم ؟ ! ! لعل الشيطان هو الآخر قد وعدهم أن يعطيهم فلسطين ! ! ولعل الشيطان هو الذى سول لهم ظنونهم ، ولكن متى كان الشيطان قادراً على حمايتهم من عواقب أوهامهم . . عما قريب سيقول الشيطان :

« وَوَعَدْتُكُم فَأَخْلَفْتُكُم ومَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم من سُلْطَان إلَّا أَنْ دَعَوْتُكُم فاسْتَجَبْتُم لِى فَلَا تَلُومُونِى ولُومُوا أَنْفُسَكُمْ . . »

الفصل الرابع

. . والانتداب . .

من سلسلة المزاعم الصهيونية . . ذلك الزعم الذى يدعى به اليهود حقاً لهم فى فلسطين بناء على ما جاء فى نصوص صك الانتداب الإنجليزى، والذى وافقت عليه عصبة الأمم المتحدة حين كانت هيئة عالمية لها كيانها الدولى ولها صفتها الرسمية . . هكذا يقول اليهود .

وقبل أن نناقش الموضوع من زواياه العديدة . . وقبل أن نبحث مدى شرعية هذا الانتداب أو بطلانه ، وتلك الاتجاهات الظالمة التى رسمتها نصوصه . . بل الطريقة التى نفذ بها . . قبل ذلك كله يجدر بنا أن نسترجع الأحداث التاريخية الهامة التى صاحبت إقرار هذا الانتداب .. وقد تحدثنا عن طرف منها فى الفصل السابق والذى أبرزنا فيه بعض الأحداث التى تلازمت مع وعد بلفور ، وهنا نتابع مجريات هذه الحوادث :

ما كادت الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها إثر إعلان الهدنة بين المتحاربين فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ معلنة انتصار الحلفاء وهزيمة تركيا وألمانيا . . حتى راحت كل من فرنسا وإنجلترا تعملان كل ما فى وسعهما لاقتسام المنطقة العربية إلى مناطق نفوذ بينهما ؛ وفقاً لما جاء فى اتفاقية سايكس بيكو (١) .

---

(١) عقدت هذه الاتفاقية سراً بين إنجلترا وفرنسا سنة ١٩١٦ وكانت تنص على أن :

ا — تستولى فرنسا على سوريا وجنوب الأناضول والموصل .

ب — تستولى إنجلترا على المناطق الواقعة من الخليج العربى إلى العريش ،

وفى الوقت نفسه نشط الصهاينة ، وراحوا يكتلون جهودهم ، ويستغلون سلطاتهم وأموالهم من أجل إقناع إنجلترا والدول المنتصرة بتحقيق وعد بلفور .

أما العرب .. . فقد حاولوا هم أيضاً أن يحققوا آمالهم باستقلال سوريا والحجاز والعراق ، وأخذوا يطالبون إنجلترا بتحقيق الوعود التى قطعتها على نفسها فى رسائل الحسين ما كمهون خلال فترة الحرب . خصوصاً بعد أن أدى العرب دورهم على أكمل وجه .

وهكذا بدأ الصراع يدب بين الاتجاهات الثلاثة . . ولم تمض أيام قلائل حتى أسرعت إنجلترا تطلب من الأمير فيصل ترك الساحل السورى لفرنسا بحجة أغراض دفاعية ، واضطر العرب — كارهين — إلى الإذعان لمشيئة إنجلترا ، فأخلوا الساحل السورى ، وأسرعت الجيوش الفرنسية تحتله ، وكان ذلك إحدى الخطط التى رسمها الحلفاء لتنفيذ اتفاقية سايكس بيكو .

وأحس العرب بخيانة الحلفاء حين تكشفت لهم الحقائق ، ووضح لهم ما انتوته فرنسا وإنجلترا ، فقد كانت الأولى تبغى السيطرة على العراق وفلسطين ، وكانت الثانية تريد أن تستحوذ على سوريا ولبنان . . ولكن العرب لم يسكتوا ، وراحوا يعلنون عدم رضاهم عن فكرة التقسيم ، ويطالبون بالاستقلال .

وفى ديسمبر سنة ١٩١٨ سافر الأمير فيصل إلى لندن نيابة عن والده ، يطالب إنجلترا بتنفيذ وعودها للعرب ، ولكنه عاد دون نتيجة ، ولم ييأس فيصل ؛ فسافر إلى باريس فى يناير سنة ١٩١٩ يطالب مؤتمر الصلح

= وهذه المنطقة تشمل : العراق وشرق الأردن وفلسطين .

حـ — تقام فى الأماكن المقدسة بفلسطين إدارة دولية خاصة .

د — تستولى روسيا على القسطنطينية والمناطق المحيطة بالبسفور .

بالتسليم بحق العرب فى الاستقلال ، ولكن قرارات المؤتمر — للأسف — كانت على غير رغبة العرب . . حيث قرر المؤتمر فصل سوريا ولبنان والعراق وفلسطين ووضعها تحت الانتداب . .

وأيقن العرب عند ذلك مدى الخطأ الذى ارتكبوه حين تعاونوا مع الحلفاء ضد الأتراك ، ورجع فيصل وهو أكثر ما يكون إيماناً بخيانة الإنجليز وغدرهم . . ولكن . . هل سكت العرب ؟

لا . . لقد رفعوا أصواتهم يستنكرون قرارات مؤتمر الصلح ، ويطالبون بأخذ رأيهم فى تقرير مصيرهم بناء على تلك المبادئ التى أعلنها الرئيس الأمريكى « ولسن » والتى نصت على حق كل شعب فى تقرير مصيره بحرية تامة .

ووصلت صرخات الشعب العربى إلى آذان ولسن ، ولم تكن آذان أمريكا فى ذلك الوقت قد تفتحت لليهود ، ولذلك أسرع ولسن يؤكد حق الشعب العربى فى سوريا والحجاز والعراق فى تقرير مصيره ، واقترح ولسن تشكيل لجنة من مندوبين من إنجلترا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا ؛ لبحث رغبات الشعب العربى . . ولكن إنجلترا وفرنسا لم يعجبهما هذا التصرف ، فأعلن لويد جورج الإنجليزى ، وكلمنصو الفرنسى رفضهما الاشتراك فى هذه اللجنة ، وقررا المضى فى خطتهما للسيطرة على المناطق العربية . فهل تذكر إنجلترا ذلك كله . . ؟ ! !

ومهما يكن من أمر ، فقد تكونت لجنة عرفت باسم لجنة كنج كرين King Crane ، وسافرت إلى سوريا ، واتصلت بالزعماء العرب ، وعرفت آراءهم ومطالبهم ، وكانت هذه المطالب تتلخص فى :

١ — ضرورة استقلال سوريا الكبرى (لبنان والأردن ، وفلسطين ، وسوريا الحالية) على أن يصبح الشريف حسين ملكاً عليها .

٢ ــ استقلال العراق على أن يصبح الأمير فيصل ملكاً عليه .

٣ ــ يرفض العرب كل ما جاء فى اتفاقية سايكس بيكو ؛ لأنه يتعارض مع رغباتهم .

٤ ــ يعلن العرب فى عزم أكيد رفضهم لما جاء فى تصريح بلفور ، ويصرون على أن فلسطين دولة عربية .

٥ ــ يصر العرب على الاستقلال، ويرفضون كل صورة من صور التدخل والسيطرة . . حتى ولو كانت فى صورة الانتداب .

كانت قرارات العرب صدمة قاسية للحلفاء والصهاينة على حد سواء ، وكانت فى نفس الوقت دليلاً صادقاً على وحدة الشعب العر بى وإجماع كلمته ، وخشيت فرنسا وإنجلترا أن تضيع الفرصة منهما ، وأحس الصهاينة أن تحقيق آمالهم مرهون بمشيئة إنجلترا ، لذلك بدأ الجميع . . الصهاينة والمستعمرون . . يتجاهلون رغبات الشعب العربى ، وراح اليهود يوجهون جهودهم نحو أمريكا ، فقد اتضح الدور الذى يمكن أن تلعبه أمريكا فى هذه الظروف ، وبدأت الولايات المتحدة تتجه لمناصرة الصهاينة ، وضغط اليهود على أعضاء الكونجرس الأمريكى ؛ لإلغاء تقرير لجنة كنج كرين ، واعتبار هذه اللجنة كأن لم تكن .

ويبدو أن إنجلترا وفرنسا كانتا واثقتين من نفسهما ، ومن إهمال مقترحات لجنة كنج كرين . . لذلك عادت تؤكدان مرة أخرى عزمهما على تنفيذ ما جاء فى قرارات مؤتمر الصلح .

وثار العرب مرة أخرى ، وعقدوا مؤتمراً لهم بدمشق فى ٨ مارس سنة ١٩٢٠ . . أكدوا فيه ما أعلنوه أمام لجنة كنج كرين من ضرورة استقلال المنطقة العربية ورفض معاهدة سايكس بيكو ووعد بلفور . . ولكن إنجلترا وفرنسا لم توافقا على قرارات مؤتمر دمشق ، ولم تكد تمضى أيام قليلة حتى اجتمع مجلس الحلفاء فى سان ريمو بإيطاليا فى أبريل سنة

١٩٢٠ وأعلن أعضاؤه وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى . وفلسطين والعراق وشرق الأردن تحت الانتداب الإنجليزى .

وأسرعت فرنسا تستولى على باقى أجزاء سوريا . ولذلك أصدر الجنرال « جورو » قائد القوات الفرنسية أمره إلى الحكومة السورية فى ٢٤ يولية سنة ١٩٢٠ يطلب عدة طلبات منها : تسليم الخط الحديدى من رباق[1] إلى حلب ، وإلغاء التجنيد الإجبارى ، وتسريح الجيش ، وقبول الانتداب الفرنسى . . إلى غير ذلك من القرارات التى اعتبرها العرب تدخلا فى سياسة بلادهم ، ورفضوا الإنذار فى أول الأمر ، ولكنهم وجدوا من الحكمة أخيراً أن ينفذوا أوامر فرنسا ، وبالرغم من ذلك أسرعت القوات الفرنسية تهاجم السوريين ، وكانت معركة ميسلون المشهورة التى استشهد فيها البطل يوسف العظمة .

وهكذا استولت فرنسا على سوريا ولبنان ، وفرضت عليهما انتدابها بالقوة ، وكانت إنجلترا هى الأخرى تحتل العراق والأردن وفلسطين وتسيطر عليها .

وأخيراً وفى ٢٤ يولية سنة ١٩٢٢ . . وافقت عصبة الأمم المتحدة على نصوص الانتداب دون مناقشة جدية . وكان الصهاينة قد تدخلوا لدى الكونجرس الأمريكى ، وكانت إنجلترا قد استطاعت التأثير على المسئولين فى الولايات المتحدة فأعلنت موافقتها على الانتداب الإنجليزى على فلسطين فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٤ . حدث ذلك بعد أن بدئ فعلاً فى تنفيذ صكوك الانتداب رسمياً فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٣ ، وإن كان الواقع هو أن الانتداب بدأ منذ استولت إنجلترا على الشام بعد الحرب الأولى مباشرة .

هذه قصة الانتداب الإنجليزى على فلسطين . . والآن لنناقش معاً

---

(١) فى لبنان .

شرعية هذا الانتداب وقانونيته :

١ – إن قرار الانتداب هذا لم يكن وفقاً لرغبات الشعب العربى . وهذا يتنافى مع مبادئ عصبة الأمم المتحدة من ناحية . . كما يتعارض مع المبادئ التى أعلنها ولسن . فقد جاء فى الفقرة الثانية من المادة ٢٢ لميثاق عصبة الأمم المتحدة ما يأتى : « إن بعض الشعوب التى كانت خاضعة للإمبراطورية التركية . . وصلت إلى درجة من التقدم يمكن معها الاعتراف مؤقتاً بكيانها كأمم مستقلة خاضعة لقبول النصح والإرشاد والمساعدة من قبل الدولة المنتدبة عليها . . حتى ذلك الوقت الذى تصبح فيه هذه الشعوب قادرة على النهوض وحدها بتبعات الحكم ، ويجب أن يكون لرغبات هذه الشعوب المقام الأول فى اختيار الدولة المنتدبة عليها » . .

ومن ناحية أخرى . . فإن الرئيس الأمريكى ولسن أعلن فى خطاب له فى ٤ يولية سنة ١٩١٩ تأكيداً للمبادئ التى أعلنها من قبل ، فقد جاء فى هذا الخطاب « إن حل كل مسألة تتعلق بالأرض أو المسائل الاقتصادية والسياسية . . يجب أن ينبنى على قبول الناس الذين تتعلق بهم قبولاً حراً على المصالح المادية ، وليس لفائدة أية دولة أخرى ترغب فى حل آخر خدمة لنفوذها الخارجى أو لسيادتها » .

وعلى ذلك . . فقد كان من المفروض أن يؤخذ رأى العرب فى المصير الذى يرتضونه لأنفسهم ولأرضهم.. خصوصاً بعد أن زالت عنهم السيادة التركية . . ولكن . . هل حدث ذلك ؟

الحقيقة أن العرب فوجئوا بقرار التقسيم ، وحينما جاءت لجنة كنج كرين لتأخذ رأيهم – رغم معارضة إنجلترا وفرنسا – أبدى العرب رأيهم بصراحة ، وأعلنوا أنهم يرفضون كل صورة من صور السيطرة ، ويطالبون بالاستقلال التام ، وأكدوا ذلك مرة أخرى فى القرارات التى أجمع عليها مؤتمر دمشق فى ٨ مارس سنة ١٩٢٠ .

وكان من المفروض أن يوضع رأى العرب موضع التنفيذ . . ولكن الذى حدث هو عكس ذلك . . استمرت إنجلترا فى تنفيذ خطة انتدابها .
معنى ذلك أن الانتداب بنى على غير الأسس التى فرضت له ، وحكم ما بنى على غير أساس.. الهدم والبطلان، وما بنى على قرارات تخالف عهد عصبة الأمم .. لا يعتبر ملزم النفاذ .

٢ — إن هذا الانتداب لم يأخذ صفته الرسمية من أول الأمر ، بمعنى أن صكوك الانتداب لم تقم عصبة الأمم بوضعها ، ولكن جماعة من الصهاينة هم الذين وضعوها ، وكان ذلك برئاسة القاضى الأمريكى الصهيونى فيلكس فرانكفورت ، مع أن هذا مخالف لميثاق عصبة الأمم المتحدة وما نصت عليه الفقرة الثامنة من المادة ٢٢ وهذا الوضع لا يعطى لنصوص الانتداب الصفة الرسمية .

قد يقول الصهاينة : إن العصبة وافقت عليه فى يوليو سنة ١٩٢٢ . . ولكننا نرد عليهم لنقول لهم : إن هذا لم يحدث فى أول الأمر كما كان مفروضاً . وأن عصبة الأمم فى الحقيقة لم توافق على بنود الانتداب لأنها كانت مقتنعة بها أو بمحض إرادتها ، وإنما لمجرد أنها وجدت نفسها أمام الأمر الواقع ، فكان ذلك تحصيل حاصل . . ومن الثابت كذلك أن كثيراً من الدول عارضت هذا الانتداب ، وأن الولايات المتحدة نفسها لم تعترف بهذا الانتداب إلا بعد إقرار العصبة له بمدة طويلة . . حدث ذلك..حين تدخل اليهود لدى الكونجرس الأمريكى للموافقة على الانتداب .
وقد ثبت أيضاً أن عصبة الأمم المتحدة حين عرضت عليها صكوك الانتداب . . لم يحاول أعضاؤها مناقشة هذه الصكوك بصورة جدية ، وهذا ما يؤكد عدم اعتبارها صكوكاً رسمية ملزمة التنفيذ: وبالتالى فنحن لانعترف بهذا الانتداب، وحتى ولو كان قد حدث فعلاً .. فإننا نعتبره باطلا، وما بنى على الباطل .. فهو باطل .

وحقيقة أخرى . . هى أن الأمين العام لعصبة الأمم المتحدة اعترض على قرار مجلس الحلفاء بالانتداب ، وأنه ذات يوم قدم مذكرة بذلك إلى العصبة يستنكر فيها هذا التصرف ، وكان ذلك فى أواخر يوليو سنة ١٩٢٠ ، كما أن كثيراً من الدول مثل : بلجيكا وأمريكا أعلنتا ذات يوم أن ما اتخذه مجلس الحلفاء فى اجتماعه لتوزيع الانتداب لا يتفق مع عهد عصبة الأمم المتحدة، وهذه مخالفة صريحة لمبادئ الهيئة العالمية.. فهل يبقى بعد ذلك شك فى عدم شرعية الانتداب ؟!!

هذا عن وضع الانتداب من الناحية القانونية . . ولكن هناك نقطة أخرى وهى هل هذا الانتداب بالصورة التى تم بها والتى نص عليها يعتبر عادلا ؟ . . .

الحقيقة. . لا . . ونستطيع أن ندرك هذا إذا تتبعنا نصوص الانتداب ، والتى نورد هنا بعضاً منها :

١ ــ فى المادة الثانية « تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن اليهودى . . وترقية الحكم الذاتى ، وتكون مسئولة أيضاً عن صيانة الحقوق الدينية والمدنية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس أو الدين » .

٢ ــ وجاء فى المادة الرابعة « يعترف بوكالة يهودية كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين ، والتعاون معها فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التى تؤثر فى إنشاء الوطن اليهودى ومصالح السكان اليهود فى فلسطين ، ولتساعد وتشترك فى ترقية البلا د على أن يكون ذلك خاضعاً لمراقبة الإدارة ، ويعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة ملائمة ، وعلى الجمعية الصهيونية أن تتخذ من التدابير بعد استشارة حكومة إنجلترا للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة فى إنشاء الوطن القومى لليهود » .

والمادة الخامسة تنص على أن « تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن عدم التزول عن أى جزء من أرض فلسطين إلى حكومة دولة أجنبية ، وعدم تأجيره أو وضعه تحت تصرفها بأية صورة » .

وفى المادة السادسة « على إدارة فلسطين مع عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالى الأخرى أن تسهل هجرة اليهود ، وأن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية . . حشد اليهود فى الأراضى الأميرية والأراضى البور غير المطلوبة للأغراض العمومية » .

وتنص المادة السابعة على أن « تتولى إدارة فلسطين مسئولية سن قانون للجنسية ، ويجب أن يشتمل ذلك القانون على نصوص تسهل اكتساب الجنسية الفلسطينية لليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً لهم دائماً » .

وجاء فى المادة الحادية عشرة : « تتخذ إدارة فلسطين كل ما يلزم من تدابير تصون مصلحة الجمهور فيما يتعلق بترقية البلاد وعمرانها ، ويكون لها السلطة التامة فى وضع ما يلزم من الأحكام لتملك أى مورد من موارد البلاد الطبيعية أو الأعمال والمصالح والمنافع العمومية التى فى البلاد أو التى ستؤسس فيما بعد ، والسيطرة عليها بشرط مراعاة الالتزامات التى قبلتها الدولة المنتدبة على نفسها » .

أما المادة الثانية والعشرون فتنص على « تكون الإنجليزية والعربية والعبرية هى اللغات الرسمية لفلسطين ، وكل عبارة أو كتابة بالعربية وردت على طوابع أو عملة تستعمل فى فلسطين يجب أن تكرر بالعبرية ، وكل عبارة أو كتابة بالعبرية يجب أن تكرر بالعربية » .

وإذا أمعنا النظر فى هذه الصكوك أدركنا مدى المؤامرة التى قام بها واضعوا الانتداب ، وكيف أنهم قصدوا مصلحة اليهود . . دون مصلحة العرب . . بل العكس . . حاولوا أن يضيعوا حقوق العرب .

ويمكن أن ندلل على ذلك بما يأتى :

١ ـ كل بنود الانتداب تشير إلى تحقيق المصالح الصهيونية مثل : إقامة وطن لليهود والاعتراف بوكالة يهودية ، وتشجيع الهجرة اليهودية ، وجعل اللغة العبرية لغة رسمية مثل العربية ، وغير ذلك من المكاسب التى تضمنها صك الانتداب وكلها من الأمور التى ترضى آمال اليهود وتمكنهم من السيطرة على فلسطين . وهذا يتنافى مع الغرض الذى قام من أجله الانتداب . فقد حددت المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم المتحدة وظيفة الدولة المنتدبة حيث نصت هذه المادة على أن الدولة المنتدبة مسئولة عن بذل المساعدة والإرشاد للدولة الخاضعة للانتداب حتى تصبح الأخيرة قادرة على النهوض وحدها بمسئوليات حكمها . . فهل يعتقد العاقلون أن تلك الأسس التى رسمتها صكوك الانتداب تتفق مع ما نصت عليه المادة ٢٢ ؟ ! ولعل النتائج التى وضحت آثارها بعد ذلك تبين ما انطوت عليه صكوك الانتداب من أضرار ومشاكل . لقد ترتب على ذلك صراع طويل بين العرب واليهود، وما صاحب ذلك من حروب، وتلك الاعتداءات المتكررة على العرب ، وما يسود دول الشرق الأوسط الآن من علاقات سيئة قد تؤدى إلى حرب عالمية .

لقد كان من الأجدر بمن وضعوا قوانين الانتداب أن يراعوا العدالة والحق ولكنهم لم يفعلوا .

٢ ـ الانتداب يحمل بين طيات نصوصه عناصر بطلانه ، فنصوصه مليئة بالمتناقضات .. فقد جاء فى ديباجة الصك مايؤكد الاعتراف بالعلاقة التاريخية والدينية بين الشعب اليهودى وفلسطين، فقد جاء فى الديباجة . . اعتراف بتلك الصلة التاريخية التى تربط الشعب اليهودى بفلسطين ، والأسباب التى تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومى فى تلك البلاد . . وورد أيضاً فى كثير من نصوص الانتداب مايؤكد ذلك (كما جاء فى المادة الثانية).. ومع ذلك وجدنا أن نصوص الانتداب تقرر (كما جاء فى المادة

الخامسة، على عدم التنازل عن أى جزء من أراضى فلسطين . . وكما جاء فى المادة السادسة التى نصت على عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالى — غير اليهود — أى المسلمين والمسيحيين . . فكيف يتأتى ذلك ؟ كيف ننفذ هذه الصكوك .؟ كيف نحرم تمليك فلسطين للأجانب ؟ وكيف لا نفعل ما يضر بالشعب العربى، ثم مع هذا وذلك نقيم وطناً لليهود فى فلسطين ؟ ! ! أليس فى ذلك تعارض وتناقض عجيب؟! نفس ما جاء فى كلام بلفور . ! !

٣ — نصت صكوك الانتداب فى المادة الرابعة على الاعتراف بالوكالة اليهودية والجمعية الصهيونية وبدورهما فى حكم فلسطين ومساهمتهما فى إدارة شئون البلاد، بل فى إقامة الوطن اليهودى، فكان ذلك بمثابة حكومة داخل حكومة . . حكومة صهيونية داخل حكومة إنجليزية . . بينما لم تهيئ صكوك الانتداب للعرب مثل هذه الفرصة ، ولم تنص على إقامة هيئة عربية . . بل لعل ذلك كان أولى لأن العرب هم الأكثرية وهم أصحاب حق ! !

٤ — حتى المادة الحادية عشرة التى نصت على ترقية البلاد وعمرانها .. لم تكن صريحة ، ولم تحدد بالضبط ما المقصود بذلك ؟ وما مدى هذه الترقية وهذا العمران . ! !

ومع ذلك . فهل لنا أن نسأل إنجلترا . . هل استطاعت حكومات الانتداب خلال الفترة من سنة ١٩٢٠ — سنة ١٩٤٨ أن تفعل شيئاً من أجل فلسطين أو من أجل عرب فلسطين ؟ لا ..!! لقد فعلت الكثير من أجل اليهود، ولم تخرج من فلسطين إلا إذا مكنتهم منها، ولكنها بالنسبة للعرب كانت ظالمة قاسية ، وبالنسبة لفلسطين . أخرتها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، وليس وجود إسرائيل فى هذه المنطقة إلا دليلا على هذا التأخر .

ونستطيع أن ندلل على سوء الإدارة الإنجليزية فى فلسطين خلال

فترة الانتداب فى النقط الآتية :

(ا) طرد العرب من أرضهم وديارهم وإعطاؤها لليهود .

(ب) جلب أعداد كبيرة من اليهود من دول العالم المختلفةوإسكانهم فى فلسطين .

(ج) تحريم عودة العرب إلى ديارهم إذا غادروها لظروف ما .

(د) الضرائب الفادحة التى كانت تثقل الشعب العربى .

(هـ) استغلال خيرات فلسطين لمصلحة الاستعمار والصهاينة وحرمان العرب من خيرات بلادهم .

(و) تأخير المنطقة اقتصادياً حيث لم تعمل حكومة الانتداب على الاهتمام بالمشروعات الاقتصادية .

(ز) سوء الحالة الاجتماعية وانتشار الفقر والجهل والمرض .

(ح) سوء الحالة السياسية ، ولا أدل على ذلك من قيام الدولة الإسرائيلية ، وما ينجم عن ذلك من مشكلات سياسية .

(ط) العمل على إيجاد الفرقة بين المسلمين والمسيحيين ليكسب اليهود من هذا التنازع .

هذا قليل من كثير من تلك السياسة السيئة التى كانت تسود إسرائيل خلال فترة الانتداب ، فهل يبقى بعد ذلك شك فى سوء هذا النظام؟!! إذن فالانتداب على فلسطين .. باطل .. ظالم — لم يحقق الغرض الذى قام من أجله . . فلماذا يبنى اليهود حجتهم عليه ؟ ! !

إنها محاولة فاشلة وحجة واهية . . فليبحثوا عن غيرها . .

الفصل الخامس

اليهود . . لم يشتروا أرض فلسطين

يزعم الصهاينة أنهم أصحاب حق فى فلسطين ؛ لأنهم — على حد قولهم — اشتروا أرضها ، ودفعوا لها ثمناً من أموالهم الخاصة ؛ فهم بحكم قانون الملكية أصحاب حق فيها . . ! !

وإذا نحن أمعنا النظر فيما يزعمه الصهاينة . . لوجدنا أنه بعيد كل البعد عن الحقيقة ؛ فإن الإحصائيات الرسمية تبين أن اليهود . . رغم كثرة محاولاتهم تملك أرض فلسطين بشتى الطرق القانونية وغير القانونية .. إلا أنهم لم يستطيعوا حتى سنة ١٩٤٨ ، وهو تاريخ إعلان إسرائيل ، امتلاك أكثر من ٧ ٪ من مساحة فلسطين أى حوالى مليونى دونم . وهذه المساحة الضئيلة انتقلت إليهم ملكيتها بطرق مختلفة معظمها طرق غير مشروعة يمكن أن نلخصها فيما يأتى :

١ — خلال الحكم العثمانى لفلسطين . . تمكن اليهود من الاستيلاء على ٦٥٠,٠٠٠ دونم .

٢ — قامت حكومة الانتداب الإنجليزية خلال سيطرتها على فلسطين فى الفترة من سنة ١٩٢٠ — سنة ١٩٤٨ ببيع كثير من الأراضى الأميرية للوكالة اليهودية بثمن بخس ، وفى الوقت نفسه حرمت الحكومة على العرب شراء الأراضى الفلسطينية ، وكان ذلك إحدى الخطط التى اخطتها حكومة الانتداب لتنفيذ المخطط الصهيونى. فإن إنجلترا منذ انتدابها على فلسطين عملت على أن يصل إلى أيدى اليهود أكبر قدر ممكن من مساحة الأراضى الفلسطينية . على كل حال .. فقد بلغ جملة ما استولى عليه اليهود بهذه

الوسيلة حوالى ٢٠٠,٠٠٠ دونم .

٣ ـ وإذا كانت حكومة الانتداب قد باعت لليهود مساحات كثيرة من أراضى فلسطين، فإنها لم تكتف بذلك بل راحت تمنح اليهود مساحات أخرى بدون مقابل ، ومن الأمور العجيبة والتى تعد مثالا لتواطئ حكومة الانتداب مع اليهود على حساب مصلحة العرب . . أن حكومة الانتداب كانت تستولى على كثير من المناطق العربية بحجة أنها مناطق عسكرية محرمة ، وبذلك تصبح هذه المناطق ملكاً للدولة ، ثم تقوم الحكومة بعد ذلك بمنحها لليهود . . ولم تجد حكومة الانتداب من يستطيع الوقوف فى وجهها ومنعها من هذا التصرف . وقد بلغ جملة ما استطاع اليهود الحصول عليه بهذه الطريقة حوالى ٣٠٠,٠٠٠ دونم .

وإذا نحن أردنا أن نبحث هذه التصرفات من الناحية القانونية . . لوجدنا أن فيها مخالفة للوائح الانتداب ونصوصه ، وتعارضاً واضحاً مع الغرض الذى من أجله وضعت فلسطين تحت الانتداب ، فقد جاء فى المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم : « يكون واجب الدولة التى تتولى الانتداب مقصوراً على بذل الإرشاد والمساعدة للدولة المنتدب عليها . إلى أن تبلغ تلك مرتبة النضج السياسى الكامل . . »

معنى هذا أن نصوص الانتداب لم تعط للدولة المنتدبة أحقية التصرف فى ملكية الدولة الخاضعة للانتداب تصرفاً مطلقاً ، بمعنى أنه لو جاز لها هذا التصرف فيجب ألا يكون فيه إضرار بمصلحة السكان والوطن الذى يقع تحت الانتداب ، والأمر الذى لا شك فيه أن إعطاء اليهود أرض فلسطين وبلا ثمن وحرمان الشعب العربى من أملاكه .. لايمكن أن يدخل تحت عبارة الإرشاد والمساعدة التى يجب أن تقوم عليها سياسة دولة الانتداب ، بل يمكن أن ندخل هذا التصرف تحت تعبير « التبديد والإهمال فى حق الشعب الفلسطينى » . .

ولنا أن نتساءل : لماذا يكون لليهود الحق فى الحصول على الأراضى الفلسطينية الأميرية دون أن يكون للعرب هذا الحق ؟ ! ! مع أن اليهود أجانب ، والعرب هم أصحاب الوطن الأصليين ، فكيف تمنح الأرض لغير أصحابها دون أصحابها ؟ ! ! لقد صدق أحد الكتاب حين قال : « إن اليهود فى فلسطين لم يكونوا إلا الطفل المدلل لدى حكومة الانتداب » .

وعلى ذلك .. فإن كل الإجراءات وكل عقود البيع والمنح التى قامت بها حكومة الانتداب لليهود تكون باطلة من الوجهة القانونية ، وليس لها سند من الحق والمنطق . بل إن أحد عنصرى العقد وهو الإيجاب هنا غير متوفر . لأن العرب وهم أصحاب هذا الحق لم يوافقوا على هذا البيع . وبالتالى تكون هذه العقود غير نافذة، ولا يترتب عليها أى أثر من الآثار التى تترتب على العقد الصحيح القائم على الإيجاب والقبول من الطرفين المتعاقدين: البائع والمشترى . أو المانح والممنوح له ، وعلى ذلك يجب أن يرد اليهود إلى العرب ما مساحته نصف مليون دونم وهى المساحة التى استولى عليها اليهود بطريق الشراء والمنح . .

٤ — بعض هذه الأراضى انتقلت ملكيتها إلى اليهود بطريق الشراء من ملاك ليسوا فلسطينيين من أمثال عائلات : سرسق والتوينى وسلام . . وهؤلاء ممن اضطرتهم الظروف إلى مغادرة فلسطين نتيجة لتلك الظروف السياسية والاقتصادية المتقلبة التى كانت تسيطر على فلسطين خلال فترة الانتداب ، وطبيعى لم يكن يهم هؤلاء غير الفلسطينيين إلا مصلحتهم الشخصية والحصول على أثمان عالية لممتلكاتهم ، وهو ما لم يستطعه العرب فى ذلك الوقت بسبب الظروف المالية السيئة التى كانوا يعيشون فيها نتيجة للضرائب الباهظة التى كانت تثقل كاهل العرب ، وعلى ذلك لم يكن أمام هؤلاء الأجانب إلا أن يبيعوا أملاكهم لليهود ؛ فهم الذين يملكون الكثير من المال والجاه والسلطان .

إذن . . فالظروف السيئة التى كان يعيش فيها العرب قد مكنت اليهود من شراء هذه الأراضى من الأجانب ، ولو كان عرب فلسطين يملكون من المال ما يستطيعون به شراء هذه المساحات من الأراضى..لما فرطوا فى شبر واحد من بلادهم ، ولما سمحوا للصهاينة أن يستولوا على أرضهم بهذه الطريقة . وتدل الإحصائيات على أن مساحة ما استولى عليه اليهود بهذه الطريقة ٦٥٠,٠٠٠ دونم من الأراضي التى توجد فى أرض ابن عامر ٤٠٠,٠٠٠ دونم ، وفى الحولة ١٦٥,٠٠٠ دونم ، وفى وادى الحراث ٣,٢٠٠ دونم ، والباقى فى مناطق أخرى مثل : الناصرة وعكا وبيسان وحنين وطولكرم .

٥ — نسبة ضئيلة جداً لا تتجاوز ٢٥٠,٠٠٠ دونم . . تملكها اليهود عن طريق الشراء من العرب . وهذه حقيقة لا ننكرها . . ولكننا يجب أن نبحث عن الدوافع الحقيقية التى تكمن وراء هذه المأساة مما دفع الفلسطينى إلى بيع أرضه ، فإن العربى الفلسطينى لم يكن يبيع أرضه لليهودى لمجرد البيع أو الربح ، وإنما كانت هناك ظروف أخرى اضطرته إلى هذا التصرف على كره منه .

ولنبحث معاً هذه الظروف وتلك الوسائل التى اتخذتها حكومة الانتداب من أجل إجبار العربى على بيع أرضه :

(ا) الضرائب الفادحة التى كانت تفرضها حكومة الانتداب على العرب ، التى كانت من الفداحة بحيث يعجز العربى عن دفعها مما يعرضه للاستدانة أو يضطره إلى ترك أرضه ، وبعملية حسابية نستطيع أن نقول : إن دخل الفلاح الفلسطينى فى ذلك الوقت لم يكن يزيد عن الثلاثين جنيهاً فى السنة هى متوسط قيمة ما يحصل عليه من أثمان للمحصولات التى تنتجها أرضه ، فإذا خصمنا من هذا المبلغ خمسة عشر جنيهاً قيمة النفقات اللازمة لتفليح أرضه وخمسة جنيهات قيمة الضرائب المستحقة.. لأصبح الباقى له حوالى عشرة جنيهات فى السنة.. أى بمعدل ثمانين قرشاً فى الشهر .

ومطلوب من هذا الفلاح بعد ذلك أن يأكل ويلبس ويتعلم ويعالج نفسه هو وأولاده بهذا المبلغ الضئيل !! فهل لأى شخص – مهما كانت لديه القدرة على التوفير والاقتصاد – أن يستطيع مواجهة نفقات المعيشة بثمانين قرشاً ؟ ! هذا مع التغاضى عن الذبذبة التى كانت تعترض هذا الدخل من عام لآخر ، ومن منطقة لأخرى .

وكانت هذه الظروف تضطر العربى إلى الاستدانة . فمن أى جهة يستدين ؟ لم يجد الفلاح العربى البنوك العربية التى تقرضه ما يريد ، وكانت البنوك الموجودة تخضع للسيطرة اليهودية لأنها كلها بنوك يهودية وليس من المعقول أن تقرض العربى قرضاً حسناً ينقذه من ورطته وضائقته المالية ، فضلا عن أن وضع العربى الاقتصادى لم يكن يشجع على الاستدانة . ولم يكن الفلاح العربى يستطيع أن يقترض من زميل آخر لسبب واضح هو أن زميله هذا لا يملك من المال ما يكفى به نفسه فكيف يقرض صاحبه وكيف يمنح ما لا يملك ؟ ! ! وهنا يخطط اليهود خططهم ويرسمونها بإحكام من أجل تحقيق مآربهم فنراهم يقرضون الفلاح العربى بالربا الفاحش وبشروط ليس من السهل تحقيقها حتى يوقعوا العرب فى حبائلهم ، وتمضى السنوات والعربى لا يستطيع تسديد ما عليه ، وتتضاعف الأرباح وتتراكم الديون ، وهنا يطارد اليهودىُّ العربىَّ ، ويعجز العربى عن السداد ، ويضرب اليهودى ضربته التى رسم لها من قبل فينتزع من العربى أرضه . . تسانده فى ذلك حكومة الانتداب . ويبدو أن البنوك اليهودية أحست كسباً كبيراً بهذه الطريقة ، فراحت تتخذ منها أداة لتحقيق أطماع اليهود .

وحتى لايدعى اليهود أننا نتجنى عليهم .. نسوق هنا بعض ما كتبه الخبراء غير العرب عن هذه الظروف : فى تقرير للخبير الإنجليزى سمبسون (١)

---

(١) كان سمبسون قد زار فلسطين فى منتصف سنة ١٩٣٠ .

يقول فيه : « إن الفلاح العربى كان فى حالة يأس شديد، فقد كان مثقلا بالديون، فضلا عن أنه كان مكلفاً بدفع ضرائب فادحة . . »

لم تكن هذه إلا نتيجة من نتائج الضرائب الباهظة . . ولكن كانت هناك نتائج أكثر ظلماً وقسوة وضياعاً للحقوق ، فقد اضطر كثير من العرب إلى أن يهجروا أرضهم وقراهم هرباً من كثرة الضرائب . . كانوا يفضلون أن يكونوا بلا أملاك أو ديون خيراً لهم من أن يكونوا ملاكاً مدينين ، أو ملاكاً لأرض لا تغطى إيراداتها نفقاتها وضرائبها ، ولا تمنحهم مقابل كدهم وعرقهم وكفاحهم طول السنة، وما يكاد العربى يهجر أرضه حتى يأتى اليهودى فيستولى عليها بحجة الترك ، وبذلك تنتقل ملكية الأرض من العربى إلى اليهودى ! !

(ب) الحصار الاقتصادى : ركزت حكومة الانتداب الكثير من مرافق الدولة الاقتصادية فى أيدى اليهود ، وكان هدفها من ذلك حصار العرب اقتصادياً ، ولهذا وجدنا الشركات الصهيونية — تساندها الحكومة فى ذلك — تعمل على سد كل السبل فى وجه العربى حين يريد تصريف منتجاته . . حتى لا يجد أمامه غير الشركات اليهودية فيضطر إلى التعامل معها ، ويضطر إلى بيع محصولاته بأبخس الأثمان ، وكان هذا العامل له أثر كبير على قلة دخل الفلاح العربى وضياع كل مجهوده هباء ، ووقوعه تحت رحمة اليهود والخضوع لذبذبة الأسعار .

هكذا كانت حياة العربى الفلسطينى . . فهل نلومه بعد ذلك إن باع أرضه أو جزءاً منها أو بمعنى آخر إن اضطر إلى بيعها أو هجرها ؟ ! ! أم نلوم هؤلاء الحكام الذين جعلوا الفلسطينى يعيش فى مثل هذه الظروف القاسية كى يستفيدوا هم ويفيدوا أصدقاءهم من الصهاينة ؟

(حـ) القوانين الاستثنائية . وحاول بعض العرب الفلسطينين أن يتمسكوا بأرضهم رغم الظروف السابقة . . فآثروا البقاء فى أرضهم وأبوا أن

يتركوها . وهنا تظهر صورة أخرى من صور الظلم والتحيز ، فنجد أن حكومة الانتداب تعمل كل ما فى وسعها لترغم هؤلاء العرب على ترك أرضهم بطرق العنف ، ووسائل القسوة والتهديد وسفك الدماء ، فإذا لم يجد ذلك مع العرب . . أسرعت الحكومة بإصدار القوانين الاستثنائية لطرد العرب كما حدث فى مناطق مثل الحولة وغوربيسون وطبيعون وغيرها .

وكان من أعجب تلك القوانين . ذلك القانون الذى أصدرته الوكالة اليهودية [1] والذى نص على أن الأرض التى يشتريها اليهود من العرب تصبح ملكاً ثابتاً لليهود ، ولا يمكن إعادتها للعرب مرة أخرى . وهكذا استطاعت هذه الوكالة أن تساهم مساهمة فعالة فى انتقال ملكية الأرض من العرب إلى اليهود ، فحرمت على العربى استرداد أرضه ، وسهلت لليهودى الاستيلاء على الأرض العربية ، وبهذه الطريقة استطاع اليهود الاستيلاء على حوالى ٣٠٠,٠٠٠ دونم من أملاك العرب .

وهنا يحق لنا أن نتساءل : لماذا وافقت حكومة الانتداب الإنجليزية على أن تنتقل ملكية الأرض الفلسطينية من العرب إلى اليهود . . بينما حرمت إنجلترا على السكان الأصليين فى جنوب أفريقيا بيع أراضيهم للأجانب ؟!!

إن الإجابة الصحيحة على هذا السؤال توضح مدى التحيز الإنجليزى ، وتبين مدى دناءة الخطة التى رسمتها الصهيونية بإشراف الإنجليز ، أو رسمها الإنجليز بإشراف الصهاينة ، فمما لا شك فيه أن هذه التصرفات من أكبر العوامل لانتقال الأرض إلى اليهود .

قد يدعى اليهود غير ذلك . وقد ينكرون الحقائق المؤلمة التى ذكرناها . . وحتى نؤكد صدق ما قلنا . . نورد هنا بعض التقريرات التى كتبها كثير من

---

(١) الوكالة اليهودية : هى إحدى الأركان الهامة التى تمثل تعاون الاستعمار مع الصهيونية . وقد نص عليها قانون الانتداب فى المادة الرابعة – راجع الفصل الخامس من هذا الباب .

الخبراء الإنجليز ومنهم من يدين بالولاء للحركة الصهيونية :

فى تقرير للخبير الإنجليزى سمبسون يقول : « إن العرب الذين أكرهوا على بيع أرضهم كان بسبب السياسة الصهيونية التى سارت عليها حكومة الانتداب » .

وفى تقرير للخبير شو يقول : « ثبت لنا أن معظم الفلاحين العرب كانوا يتمسكون بأرضهم ، وبالرغم من الظروف القاسية التى كانت تحيط بهم ، ومع ذلك فقد كانوا يرفضون التنازل عنها بأى ثمن لليهود » . .

وفى الكتاب الأبيض الذى صدر سنة ١٩٣٠ والذى عُرف بكتاب باسفيلد (١) ذكر صاحبه صوراً كثيرة من تلك الصور المخزية التى كانت تدور فى فلسطين ، والتى كانت ترمى إلى استيلاء اليهود على أملاك العرب ، وقد نادى باسفيلد فى كتابه هذا بضرورة وقف انتقال أملاك العرب إلى أيدى اليهود ، وناشد حكومته العمل على بحث الظروف التى تسبب ذلك .. وهنا نجد اليهود يثورون ويرفعون أصواتهم بالاحتجاج ، ثم يتدخلون لدى الحكومة الإنجليزية التى تسارع بسحب الكتاب ، وتتضح معالم الفضيحة ، ولم يجد باسفيلد بداً من الاستقالة ، وتستمر السياسة الإنجليزية اليهودية قائمة فى فلسطين لتنفذ ما رسمته الصهيونية ولينتزع اليهود مزيداً من الأرض العربية لتضاف إلى الأملاك اليهودية ! !

وبهذا استطاع اليهود أن يستولوا من أرض فلسطين على مليونى دونم موزعة فى خمسة عشر قضاء من أقضية فلسطين (٢) .

ولنتساءل الآن : لو سلمنا جدلا بأن اليهود قد اشتروا أملاكهم فى

---

١) باسفيلد : هو وزير المستعمرات البريطانية فى ذلك الوقت .

٢) راجع نسبة أملاك اليهود فى كل قضاء حسب ما جاء فى الإحصائية المدونة بهذا الكتاب فى الفصل السادس من الباب الثانى . .

فلسطين بأموالهم . ولو سلمنا كذلك — وهذا مستحيل — أن هذه الأملاك قد آلت إليهم بطرق مشروعة . . فهل هذا يخول لهم حق إقامة دولة يهودية فى فلسطين وطرد سكان البلاد الأصليين ؟!!

إن القانون الدولى . . إذا كان يبيح لغير المواطنين الأصليين حق الامتلاك أو البيع أو الشراء أو الانتفاع بالأرض ، فإنه لا يعطى لهؤلاء الملاك الغرباء الحق فى تكوين دولة باسمهم ، فالقانون على أى حال يعتبرهم أجانب ، ووضع اليهود فى فلسطين لا يخرج عن وضع أى أجنبى من دول العالم ، ويشبههم فى ذلك الجاليات العربية الموجودة فى كثير من الدول مثل البرازيل ودول أمريكا اللاتينية ، فهناك تشرف كثير من الجاليات العربية على كثير من المرافق الاقتصادية الهامة ، وهم يمتلكون الكثير من العقارات والمؤسسات والمصانع . ولكن لم يحدث إطلاقاً أن فكر العرب هناك فى إقامة دولة عربية تسمى باسمهم ، وتفرض قوميتهم ولغتهم كما فعل اليهود فى فلسطين . إن العرب فى أمريكا الجنوبية يعيشون كمواطنين عاديين يخضعون لحكومة الدولة التى يعيشون فيها ، وعليهم تنطبق قوانينها وأحكامها ، وهم هناك يعاملون أفراد الشعوب التى يعيشون فيها بمنتهى الصداقة والمعاملة الحسنة .

ولو أننا استعرضنا التاريخ لما وجدنا أجانب فى أية دولة فعلوا ما فعله اليهود فى فلسطين . نعم لم نجد أجانب أية دولة طردوا أصحاب الدولة ، واستولوا عليها وأقاموا لهم فيها دولة وحكومة . .

قد يقول اليهود : إن الأوربيين استولوا على أمريكا ، وأنهم كونوا لهم دولة فيها ، ولكننا نرد على اليهود حجتهم ، ونقول لهم : إن الوضع فى أمريكا يختلف عن الوضع فى فلسطين لعدة أسباب :

١ — أن اليهود حينما دخلوا فلسطين فى العصر الحاضر . . لم يدخلوها كفاتحين أو كمستعمرين وإنما دخلوها أجانب . مجرد ضيوف أقاموا فيها

وكان من المفروض أن تكون هذه الإقامة لفترة ما طالت أم قصرت ، ولكنها على أى حال إقامة غير دائمة إلا ما كان منهم أصلا من السكان الأصليين . أما الأوربيون حينما دخلوا أمريكا الشمالية مثلا دخلوها فاتحين مستعمرين . فالأمر يختلف فى الحالتين .

٢ — حينما دخل الأوربيون أمريكا لم يكن هناك من السكان الأصليين إلا أعداد قليلة جداً . وهذا الأعداد القليلة لم يكن لها كيان سياسى واضح أو أسلوب اجتماعى معروف ، ولم يكن هؤلاء يكونون دولة أو دولا معترف بها وبكيانها ، وإنما كانوا مجرد قبائل متفرقة ذات نزعات وحشية وحياة بدائية ، ولم يكن لهؤلاء صلات بالعالم ومن أجل ذلك اقترن استعمار القارة بكشفها . أما اليهود حينما دخلوا فلسطين على شكل هجرات متتابعة أيام الانتداب الإنجليزى ، فقد دخلوها وقت أن كانت دولة لها كيانها السياسى والاجتماعى . . أياً كان هذا الكيان . وكان لها مقومات الدولة من الشعب والأرض والنظام الحكومى .

صحيح كانت فلسطين خاضعة للسيطرة العثمانية قبل الانتداب ، ولكن ذلك لم يفقدها ذاتيتها كدولة ، ولم يغير من ملامحها كجزء من العالم له ماضيه التاريخى بل لعله أوضح المناطق التاريخية على الإطلاق لما اتصف به من حضارات قديمة عريقة منذ العصور الأولى ، ولما عرف عنه من أنه مهبط الأديان السماوية (الديانتان المسيحية واليهودية ظهرتا فى فلسطين) . فدخول اليهود هذه المنطقة يخالف دخول الإنجليز والفرنسيين إلى أمريكا الشمالية .

٣ — لم يستطع الأوربيون طرد سكان أمريكا الأصليين من الزنوج أو الهنود الحمر بل أبقوا عليهم ، وإذا كانت معالم الجنس الأمريكى القديم قد تلاشت ملامحها كثيراً ، وإذا كانت هناك تفرقة عنصرية بين البيض والسود . . إلا أن ذلك على أى حال من الأحوال لم يؤد إلى طرد

السكان الأصليين كما فعل اليهود حين طردوا عرب فلسطين واستولوا على أملاكهم .

٤ ـ ثم لا ننسى أن الأوربيين اكتشفوا أمريكا، فهم كشخص وجد شيئاً ما دون أن يجد صاحبه. فمن حقه هذا الشيء، ولكن اليهود فى فلسطين لم يكتشفوها. وبالتالى فهم ليسوا أصحاب حق فيها .

وعلى هذا.. فلا يمكن أن نضع أمريكا فى كفة ميزان مع فلسطين لكثرة الاختلاف بين الاثنتين، وتباعد الظروف بينهما .

ونعود مرة أخرى إلى أملاك اليهود فى فلسطين لنقول : لو أن لليهود أملاكاً فى فلسطين.. فهل هذا يخول لهم حق إقامة دولة فيها؟ إن ذلك أمر لا يمكن أن يوافق عليه أحد . ذلك لأن كثيراً من الدول فى الوقت الحاضر تعمل على تأميم الأملاك والأموال الأجنبية كإحدى وسائل المحافظة على اقتصادها الوطنى ، وضماناً لمواردها الوطنية حتى لا تتسرب إلى الخارج . فعلت هذا ج . ع . م وكوبا وغيرهما . وطبيعى فإن هذا التأميم يتفق مع القوانين الدولية ، وعلى هذا يمكن أن نقول : إن من حق السكان الأصليين فى فلسطين أن يؤمموا أملاك الأجانب ، والسكان الأصليون هم العرب ، والأجانب هم اليهود . وبمعنى آخر يمكن أن نقول : إن من حق العرب أن يؤمموا أملاك اليهود فى فلسطين ، فتصبح هذه الأملاك والأموال ملكاً للشعب . بل إن ذلك من ألزم الضروريات ، ومن أوضح مظاهر العدل ؛ لما فيه من استعادة الحقوق المغتصبة .

وهناك سؤال نوجهه إلى اليهود . . لقد كانت لهم أملاك فى الدول التى كانوا يعيشون فيها قبل مجيئهم إلى فلسطين . . كانت لهم أملاك فى روسيا وألمانيا ورومانيا وإنجلترا وفرنسا ، بل فى أمريكا ، وكانوا يسيطرون على كثير من مرافق هذه الدول ، كما كانوا يسيرون دفة أمورها السياسية والفكرية والاقتصادية . . فلماذا لم يستطيعوا أن يقيموا لأنفسهم دولة في واحدة من

هذه الدول ؟ ولماذا جاءوا إلى فلسطين ، ليتخذوا منها قاعدة لدولتهم .

نخرج من كل هذا . . بأن اليهود لم يشتروا فلسطين ، وإنما انتزعوها ظلماً وقسوة، وأن هذا لا يخول لهم حق إقامة وطن لهم فيها ، وأن حججهم هذه ساقطة من أساسها .

ومهما حاول اليهود أن يجدوا وسيلة يبررون بها استيلاءهم على فلسطين ، ومهما استطاعوا أن يحققوا بعض الانتصارات بفضل مساندة المستعمرين لهم . . نقول مهما حدث ذلك . . فإنه سيأتى اليوم الفاصل الذى سيعيد إلى الصهاينة عقولهم ، فإما أن يعودوا إلى بلادهم التى جاءوا منها ، وإما أن يدفنوا جثثاً فى فلسطين .. إن أصروا على البقاء فيها .

الفصل السادس

قسمة ضيزى

وهذه دعوى أخرى من دعاوى الصهيونية الباطلة.. يبررون بها دخولهم فلسطين وانتزاع ما لا حق لهم فيه . إنهم فى هذه المرة يبنون حقهم على القرار الذى أصدرته هيئة الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، وهم يؤكدون ذلك بقولهم : إن الأمم المتحدة لها كيانها العالمى ، ولها صفتها الرسمية ، باعتبارها الهيئة العالمية التى ارتضتها الدول حكماً بين المتنازعين ؛ لذلك نجد الصهاينة يلبسون حججهم هذه ثوباً مزيفاً من الصفة القانونية الدولية يحاولوا بها استجداء رضا الشعوب على عملهم ، والاعتراف بحقهم فى فلسطين ، وهم أيضاً يعملون على كسب عطف الدول عليهم ، ويظهرون بمظهر صاحب الحق المفترى عليه ، وأنهم — على حد قولهم — إنما ينفذون ما أوصت به الأمم المتحدة ، وما اتخذته من قرارات بالنسبة للنزاع بينهم وبين العرب .

ونحن لم نعرف إسرائيل فى يوم ما — منذ إعلان قيامها فى سنة ١٩٤٨ حتى الآن — ولم نعهد فيها تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ، فلماذا نجدها تتمسك فقط بحق تنفيذ قرار التقسيم ؟ . وحتى قرار التقسيم هذا لم تعمل إسرائيل على تنفيذه بالصورة التى رسم بها يوم صدوره ، ولكنها حاولت بكل ما فى طاقتها بالحصول على مزيد من رقعة فلسطين وتوسيع المناطق التى حصلت عليها . غير عابئة بخطوط التقسيم بينها وبين العرب ، تلك الخطوط التى وضعت تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة .

وسواء أنفذت إسرائيل قرارات الأمم المتحدة أم لا . . فإننا نريد هنا أن نؤكد حقيقة هامة، وهى أن قرار التقسيم باطل وظالم ، وسنبحث فى هذا الفصل مدى صحة قرار التقسيم من الناحية القانونية أولا ، ثم من حيث عدالته ثانياً ، بمعنى آخر نناقش قرار التقسيم والظروف التى صدر بها ، والطريقة التى نفذ بها، ثم لنرى هل توخت الأمم المتحدة الحق والعدالة فى قرار التقسيم ؟

وتحضرنى الآن قصة تشبه إلى حد ما قصة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود . . إنها قصة سليمان الحكيم أحد ملوك بنى إسرائيل وأنبيائهم ، والذى يعتبر عصره من أزهى عصور تاريخ الدعوة اليهودية . .

تقول أحداث هذه القصة : ان امرأتين من بنى إسرائيل جاءتا إلى سليمان.. تختلفان على بنوة طفل صغير كل منهما تدعى أنه ابنها .. ولم يكن واضحاً أى المرأتين أحق ببنوة الطفل ، ولكن الذى لا شك فيه أن إحداهما كانت الأم الحقيقية بينما كانت الأخرى دخيلة عليه.. باطلة فى دعواها . دفعها حقدها على زميلتها.. وحز فى نفسها ما أصابها من عقر ؛ فراحت تدعى لنفسها ما لا حق لها فيه . . ولم يستطع سليمان فى أول الأمر – رغم ما عرف عن حكمته – أن يتعرف أى المرأتين أحق ببنوة الطفل ؟ ... إن كلا منهما تدعى قولا تبرر به أحقيتها له ، فماذا فعل سليمان ؟

استدعى سليمان أحد سيافيه ، وأمره أن يقسم الطفل إلى قسمين لتأخذ كل من المرأتين نصفاً منه .. وهمّ السياف أن يفعل ما أمره به مولاه . . وهنا تظهر عاطفة كل من المرأتين . . لقد حز ذلك فى نفس إحداهما ، وأحست بالألم يعصر قلبها والحزن يقلق خاطرها . . كيف لا وهى ترى وليدها وفلذة كبدها يكاد السياف يمزقه بهذه الصورة البشعة أمام عينيها ، فصرخت فزعة ، وغلبها البكاء فتشنج صوتها ، واحتبست الدموع فى عينيها ، وصاحت بكل معانى الأمومة التى تحملها فى نفسها كأم ،

وراحت ترجو سليمان أن يبعد السياف عن الطفل : ولتأخذه المرأة الأخرى . . لقد آثرت أن تبقى على الطفل ، معلنة أنه ليس ابنها ، ولم يكن ذلك زهداً فى ولدها . ولا تفريطاً فيه . ولكنها وجدت من الخير أن يبقى وليدها حياً عند المرأة الأخرى بدلا من أن يقتل بهذه الصورة التى لا ترضاها أم لابنها .

أما المرأة الأخرى . . الأم المزيفة ، فقد أثلج ذلك صدرها . . وراحت تستحث السياف على المضى فى عمله .. غير عابئة بصراخ الطفل ، ولا بصرخات أمه ونحيبها . .

وهنا أدرك سليمان من هى الأم الحقيقية للطفل ؟ إنها الأولى — فأعطاه لها ، بينما أنزل بالثانية ألوان العذاب جزاء كذبها وادعائها ما ليس لها حق فيه .

هذه هى صورة قريبة الشبه لما حدث فى فلسطين ، مع فارق فى الظروف . . فإن هيئة الأمم المتحدة التى تمثل فى هذه القصة دور سليمان الحكيم . . هذه الهيئة لم تتبع الحكمة التى اتبعها سليمان فى معرفة صاحب الحق فى أرض فلسطين ، ورغم أن أعضاءها فى ذلك الوقت كانوا أكثر من خمسين عضواً . إلا أن معظمهم لم تكن لديه حكمة سليمان ، فكان أن حكمت الهيئة بتقسيم الطفل الذى هو هنا فلسطين .. إلى قسمين أحدهما للعرب والآخر لليهود .

وموقف الأم الثانية المدعية باطلا فى بنوة الطفل يمثل بالضبط موقف اليهود الذين أثلج مبدأ التقسيم صدورهم ، وراحوا يعملون على الحصول على ما ادعوه من نصيبهم فى فلسطين . ولكن موقف العرب أصحاب الحقوق الشرعية فى فلسطين ، والذى يمثل دور الأم الحقيقية فى القصة . . كان يوضح مدى رغبتهم فى عدم تقسيم الطفل . صحيح أنهم لم يسلموا بفلسطين لليهود طواعية كما فعلت الأم الحقيقية فى القصة السابقة . . ولكنهم — وهم القادرون على استعادة أرضهم — وجدوا الدفاع

عن الطفل وعدم تركه لأعدائهم ، وإذا كانوا قد فشلوا فى الماضى فى استعادة فلسطين.. فإن الذى لا شك أنه سيأتى اليوم الذى يستطيعون فيه الحصول على حقوقهم ، رضى اليهود أم كرهوا . .

ولندع الآن قصة سليمان الحكيم لنبحث معاً الظروف التى لازمت تقسيم فلسطين . . ولنتابع معاً الخطوات التى رسمتها الصهيونية العالمية بمعاونة الاستعمار ليحقق الاثنان أغراضهما .

ففكرة تقسيم فلسطين ظهرت أكثر من مرة كحل للنزاع القائم بين العرب واليهود، وكان المنادون بهذه الفكرة ممن يهمهم مصلحة الصهاينة أو ممن يرون فى هذا التقسيم تحقيق مغانم أو مكاسب لهم ، ولكن هذه الفكرة — أى فكرة التقسيم — كانت تصطدم فى كل مرة بثورات العرب الذين لم يكفوا لحظة واحدة — رغم الظروف السيئة التى كانت تحيط بهم — عن المطالبة بحقهم والوقوف فى وجه كل محاولة لتقسيم الوطن .

وهذه هى مراحل فكرة تقسيم فلسطين :

١ — فى سنة ١٩٣٧ ظهرت أول دعوة لتقسيم فلسطين — حدث ذلك حينما جاءت لجنة بيل لبحث أسباب النزاع بين العرب واليهود . . ومما لاشك فيه أن اللجنة لم تكن مخلصة فى بحثها ، وأنها نظرت بتلك العين الصهيونية ، ومن خلال مصلحة اليهود دون العرب ؛ لذلك قدمت اللجنة مشروعها لتقسيم فلسطين، وكان ذلك فى ٧ يولية سنة ١٩٣٧ ، ووضعت اللجنة أسس التقسيم على الوجه الآتى :

(ا) دولة يهودية : تشمل : السهل الساحلى من أسدود بما فى ذلك سهل شارون ومرج ابن عامر وألوية حيفا وطبرية وصفد وعكا، على أن تبقى صفد وعكا وطبرية وحيفا تحت الانتداب الإنجليزى بصفة مؤقتة، ثم تضم بعد ذلك إلى الدولة اليهودية .

(ب) دولة عربية : وتشمل غرب نهر الأردن وغزة وبئر سبع وصحراء

النقب والخليل ونابلس والجزء الشرقى من طولكرم وجنين وبيسان ويافا .

(حـ) تبقى القدس وبيت لحم والناصرة وشواطئ طبرية تحت الانتداب الإنجليزى مع ضرورة ربط هذه الأجزاء بساحل البحر المتوسط عن طريق ممر يربط ما بين القدس ويافا . وفى هذه المنطقة تقع اللد والرملة : شكل (٣ — ١) .

وأحس اليهود بشىء من الانتصار ، وبأنهم بدأوا يكسبون جولة جديدة ولكن طمعهم جعلهم يعترضون على قرار التقسيم لا من حيث المبدأ ، ولكن من أجل المزيد من الأرض الفلسطينية . نعم رضوا بالتقسيم ولكنهم طالبوا بمناطق أوسع ..

أما العرب وهم لا يؤمنون بضياع أى شبر من أرضهم ، ولا يرضون بفكرة التقسيم مهما كانت وبأى صورة . فإنهم يرون فى هذه الفكرة ظلماً وضياعاً لحق ثابت لهم ؛ ولذلك رفض العرب فكرة التقسيم ، بالضبط كما رفضت الأم الحقيقية تمزيق طفلها . مع فارق واحد .. هو أن العرب رفضوا أيضاً أن يسلموا فلسطين لليهود إطلاقاً ، وأصروا على إعلان استقلال فلسطين فى دولة عربية واحدة تسمى دولة فلسطين العربية .

لبنان
سوريا
الجمهورية العربية المتحدة
المملكة الأردنية الهاشمية
البحر المتوسط
تل أبيب
يافا
أسدود
غزة
تقسيم لجنة بيل سنة ١٩٣٧
المنطقة العربية
المنطقة اليهودية
منطقة الانتداب
شكل (٣ - ١)

تقسيم لجنة بيل سنة ١٩٣٧

إزاء ذلك الموقف أحست إنجلترا أن الفرصة لم تكن مواتية لتنفيذ أغراضها ، فآثرت سحب المشروع . وهكذا فشل تقسيم بيل .

٢ — وكان المشروع الثانى لتقسيم فلسطين هو مشروع موريسون الذى ينسب إلى صاحبه موريسون نائب رئيس وزارة العدل البريطانية . ولقد ظهر هذا المشروع فى أواخر سنة ١٩٤٦ .

وتقوم فكرة موريسون على أساس تقسيم فلسطين إلى أربعة أقسام :

(ا) الدولة اليهودية : وتشمل الأراضى التى استولى عليها اليهود حتى سنة ١٩٤٦ على أن تضاف إليها المستعمرات والمناطق المحيطة بها . . ! !

(ب) منطقة القدس وبيت لحم والأجزاء القريبة منها .

(ج) منطقة صحراء النقب .

(د) الدولة العربية وتشمل الأجزاء الباقية من فلسطين بعد حذف المناطق السابقة ، وحتى يضفى موريسون على مشروعه ثوباً فضفاضاً مزيفاً .. اقترح أن تمنح كل من الدولتين العربية واليهودية استقلالا ذاتياً ، وتشكل لكل منهما حكومة محلية ويكون لكل منهما مجلس تشريعى ، ثم تشكل حكومة مركزية للدولتين ، ولهذا عرف المشروع باسم « المشروع الاتحادى »

ومرة ثانية رفض العرب المشروع فكرة وموضوعاً ، وطالبوا بضرورة استقلال فلسطين كلها فى دولة عربية . . أما اليهود فقد راحوا كعادتهم يطلبون مزيداً من الأراضى تضاف إلى نصيبهم المقترح فى تقسيم موريسون ، ويبدو أن الإنجليز كانوا يودون تنفيذ التقسيم . . لقد استعدوا لكل احتمالات اليهود ومطالبهم ، ولعلهم فصلوا صحراء النقب عن الدولة العربية « حسب تقسيم بيل » وأعطوها لليهود فى هذا التقسيم ، وألح اليهود فى تنفيذ التقسيم ، ولكن العرب قاوموا هذه المحاولة ، واضطرت إنجلترا إلى سحب المشروع .. وهكذا لم يقدر له التنفيذ .

٣ — مرة ثالثة عادت فكرة التقسيم إلى الظهور ، ولم يكن قد مضى على مشروع موريسون إلا شهور قليلة ، ولعل إنجلترا عز عليها أن تفشل فى المشروعين السابقين ، ولعل اليهود طال بهم الانتظار ، فرأى الطرفان :

اليهود والإنجليز أن يرسما خطة جديدة ليحققا ما يريدان ، وكانت الخطة هذه المرة الالتجاء إلى هيئة الأمم المتحدة .

أعلنت إنجلترا فشلها فى حل النزاع بين العرب واليهود ، ولذلك أحالت المشكلة إلى هيئة الأمم المتحدة باعتبارها الهيئة العالمية التى تملك حق النظر فى القضايا . . . هكذا تدعى إنجلترا .

وكان قرار إحالة قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة فى ١٨ فبراير سنة ١٩٤٧ وقد اجتمعت الجمعية العامة وقررت بجلستها المنعقدة فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٧ تشكيل لجنة(١) من ممثلى ١١ دولة لبحث النزاع بين العرب واليهود وكتابة مقترحات بشأن القضية ، ولم يسلم أعضاء هذه اللجنة من التأثير الصهيونى وأخذ اليهود يطاردونهم ويحاولون إغراءهم بكل الطرق . . وكانت النتيجة أن خضع أعضاء اللجنة للتأثير الصهيونى ؛ لذلك قررت اللجنة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود .

واختلف أعضاء اللجنة حول صورة التقسيم ، فاقترحوا لذلك مشروعين : عرف المشروع الأول باسم مشروع الأقلية ، والثانى باسم مشروع الأغلبية .

أما المشروع الأول وهو مشروع الأقلية فقد وافقت عليه كل من الهند وإيران ويوغسلافيا ، وهو يقوم على تقسيم فلسطين إلى منطقتين :

(ا) منطقة عربية (ب) منطقة يهودية

على أن تتمتع كل منطقة بحكمها الذاتى ، وعلى أن تتحد الدولتان فى دولة واحدة تكون القدس عاصمة لها . وهذا المشروع يشابه إلى حد كبير مشروع موريسون .

أما المشروع الثانى وهو مشروع الأغلبية والذى اقترحته أغلبية أعضاء

---

(١) كانت هذه اللجنة مكونة من مندوبين من : السويد — أستراليا — أورجواى — إيران — بيرو — تشيكوسلوفاكيا — جواتيمالا — كندا — الهند — هولندة — يوغسلافيا .

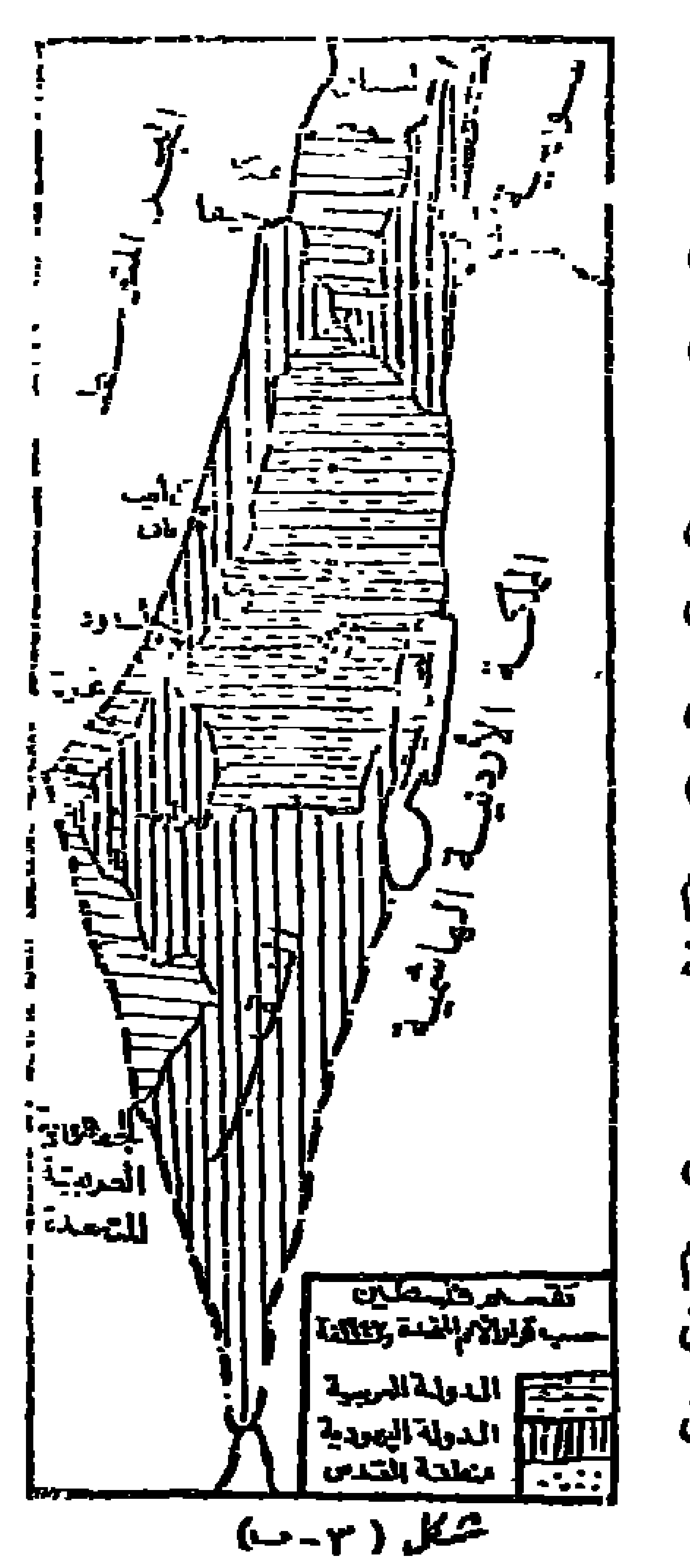
اللجنة فيقوم على أساس تقسيم فلسطين إلى دولتين :

(ا) دولة يهودية : وتشمل الجليل الشرقى ومرج ابن عامر والسهل الساحلى وبئر سبع والنقب .

(ب) الدولة العربية : وتشمل الجليل الغربى ونابلس والساحل من أسدود إلى حدود مصر ، وتدخل فيها منطقة الخليل والقدس وغور الأردن شكل (٣ — ب)

وعندما عرض المشروعان على الأمم المتحدة . . استبعدت مشروع الأقلية وراحت تناقش مشروع الأغلبية .

وفى ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٧ عرض مشروع التقسيم على الأمم المتحدة ولم يحصل على أصوات كثيرة ، وكاد أن يرفض ، ولكن اليهود راحوا يبثون سمومهم ، ويحاولون التأثير على الأعضاء ؛ لذلك عندما عرض المشروع مرة ثانية فى ٢٩ نوفمبر — أى بعد العرض الأول بساعات قليلة — كان الصهاينة خلالها قد استجمعوا كل ما لديهم من جاه وسلطان ونفوذ واستغلوه فى إقناع بعض المندوبين بالوقوف فى صفهم ، فكانت النتيجة أن وافقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة على قرار التقسيم بأغلبية ٣٢ دولة ، واعترضت عليه ١٣ دولة ، وامتنع عن التصويت عشر دول [١] .



شكل (٣ - ب)

تقسيم الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧

---

(١) الدول التى وافقت على قرار التقسيم هى : أستراليا — بلجيكا — بوليفيا =

ومرة أخرى ثار العرب ورفضوا الموافقة على تقسيم فلسطين ، ووضح جليا أن تنفيذ مشروع التقسيم أصبح أمراً صعباً . فاقترحت بعض الدول مثل بلجيكا وكندا إعادة بحث قرار التقسيم ومحاولة الوصول إلى قرار يرضى عنه الطرفان . أو بمعنى آخر يرضى عنه العرب .

ويبدو أن الولايات المتحدة هي الأخرى قد أحست بالخطأ الذى أقدمت عليه ؛ لذلك أسرع مندوبها لدى الأمم المتحدة يعلن فى ١٩ مارس سنة ١٩٤٨ سحب حكومته لقرار التقسيم ، ويطالب الأمم المتحدة بضرورة بحث الموضوع مرة أخرى . كما طالب ذلك المندوب بأن تبقى فلسطين تحت الوصاية حتى يتم بحث الموضوع .

ولكن ماذا حدث بعد ذلك ؟

خشيت إنجلترا من ضياع آمال اليهود ، وبالتالى تضيع معهم خططهم الاستعمارية التى أرادوا بها جعل فلسطين دولة يهودية ، لتكون لهم ملاذا وملجأ فى الشرق الأوسط حين تلتهمهم الأحداث ، وتحدق بهم الأخطار ؛ لذلك رأينا إنجلترا فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ تعلن فجأة وبلا سابق إنذار انسحابها من فلسطين ، وعملت الجيوش الإنجليزية كل ما فى وسعهم على

= برازيل — روسيا — الولايات المتحدة — روسيا البيضاء — كندا — كوستاريكا — تشيكوسلوفاكيا — الدومنيكان — الدانيمرك — إكوادور — النرويج — فرنسا — جواتمالا — هايتى — أيسلندة — السويد — ليبيريا — لكسمبرج — هولندة — نيوزيلندة — نيكارجوا — بارجواى — أرجواى — بناما — بيرو — الفلبين — بولندة — السويد — أوكرانيا — جنوب أفريقيا — فنزويلا .

الدول التى اعترضت على قرار التقسيم هى : مصر — سوريا — لبنان — اليمن العراق — باكستان — أفغانستان — الهند — إيران — تركيا — اليونان — وكوبا .

الدول التى امتنعت عن التصويت هى : الأرجنتين — شيلى — الصين — كولمبيا — الحبشة — إنجلترا — سلفادور — هندوراس — المكسيك — يوغسلافيا .

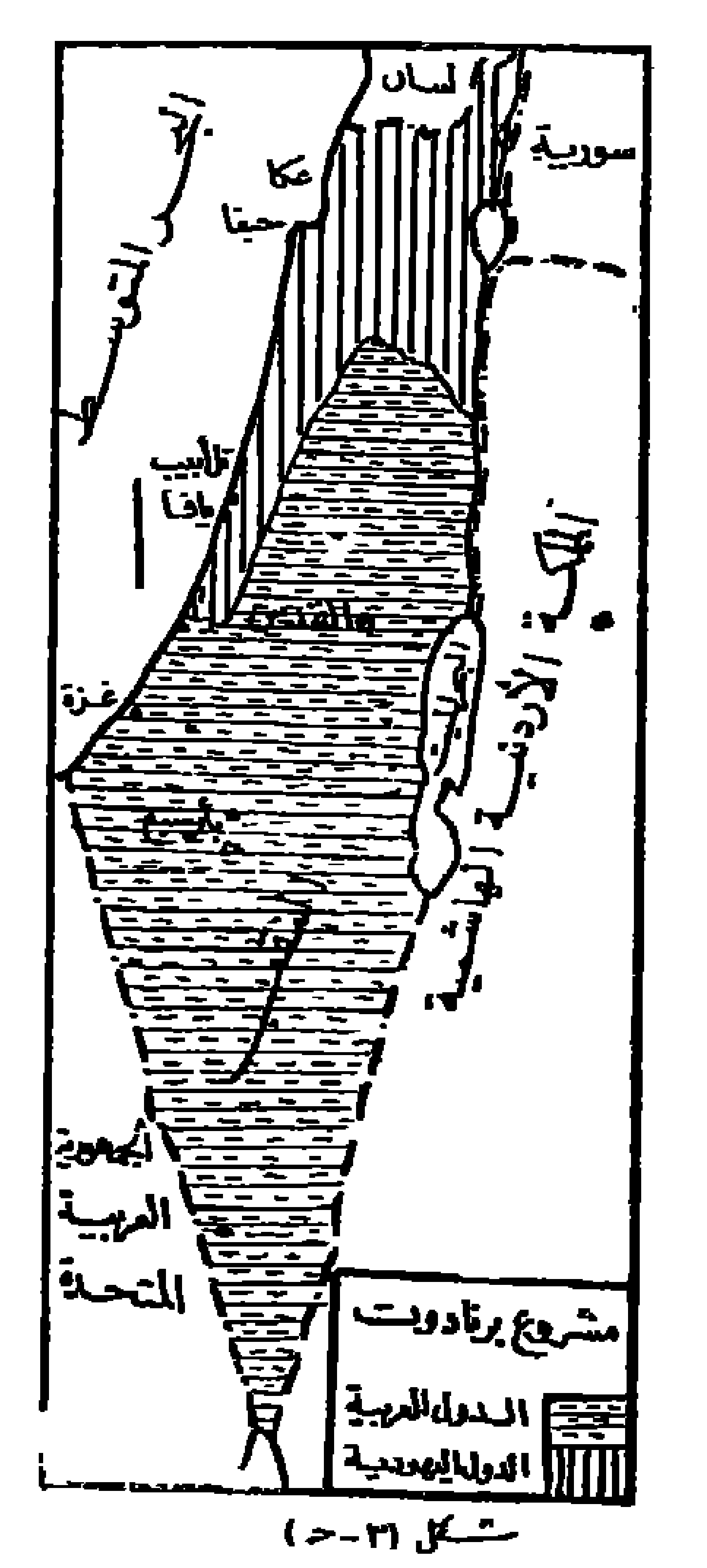
أن يستولى اليهود على المناطق التى يتركها الجيش ، وبهذا قدر للصهاينة أن يستولوا على مساحات كبيرة ، ولم تكد تمضى بضع ساعات حتى أعلن اليهود قيام دولة إسرائيل فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وأسرعت إنجلترا تعترف بها.

وكان من الطبيعى ألا ينتهى الأمر عند هذا الحد ؛ فإن العرب لم يسكتوا. ولن يسكتوا عن ضياع جزء من فلسطين بهذه الوسيلة المملوءة خسة ودناءة ؛ لذلك قامت الحرب بين العرب واليهود ، وعبأ الأبطال العرب كل إمكانياتهم ، وأخذ الفدائيون يفدون إلى فلسطين يقاومون الصهاينة والمستعمرين .

قد لا نكون فى حاجة إلى أن تتبع تطور الحرب ، وتلك البطولات التى أظهرتها القوات العربية . . وبالرغم من الأسلحة الفاسدة ومؤمرات الرجعيين وأذناب الاستعمار . . كاد العرب ينتصرون ، ولكن اليهود صرخوا إلى أسيادهم فتقرر وقف إطلاق النار .

وكان ذلك إحدى الخطط الاستعمارية حتى يستجمع اليهود شتاتهم .

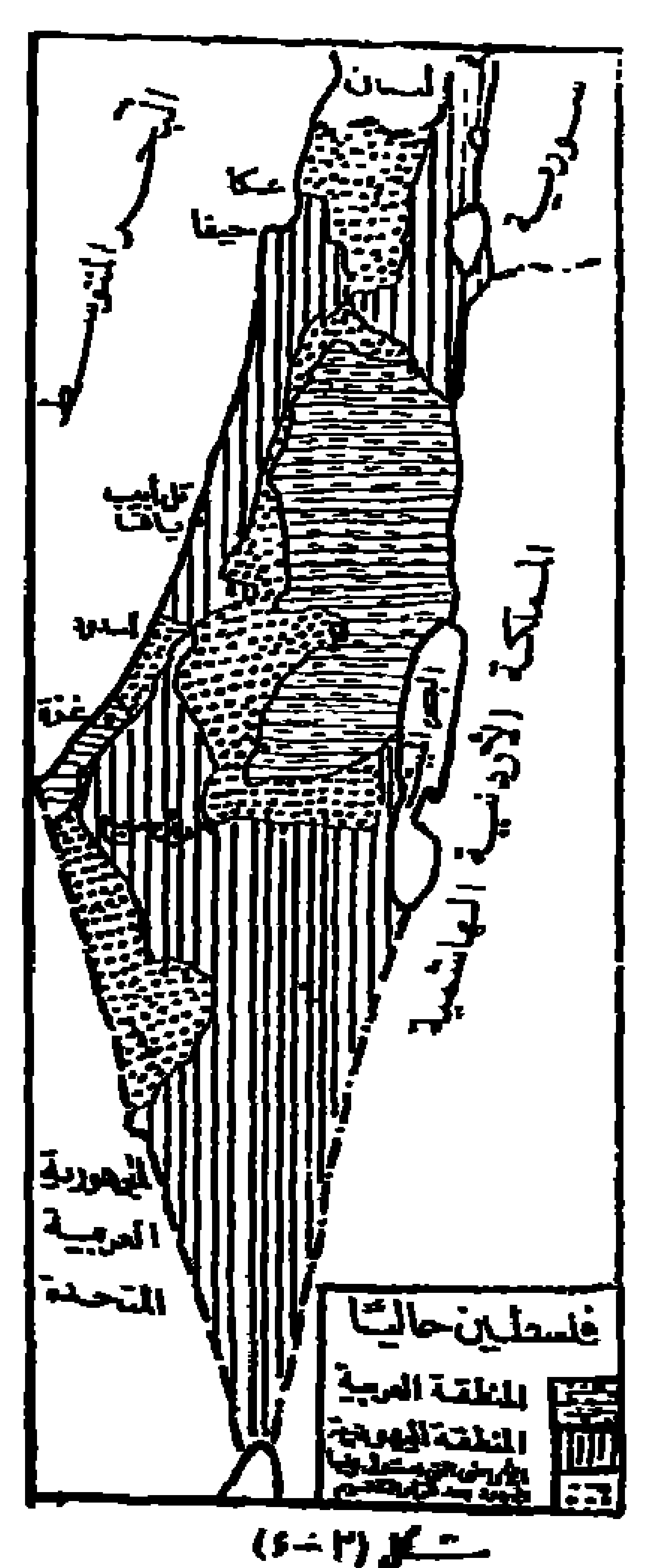
ولم تمض أيام قلائل على إعلان الهدنة حتى كانت محاولة أخرى من جانب الإنجليز لتنفيذ قرار التقسيم.. وضح ذلك فى صورة مقترحات قدمها الكونت برنادوت فى أواخر يونية سنة ١٩٤٨ وفيها اقترح ما يأتى :



شكل (٣-ح)

مشروع برنادوت لتقسيم فلسطين

(ا) تضم صحراء النقب والقدس إلى الدولة العربية
(ب) تضم منطقة الخليل إلى الدولة اليهودية
وقد أراد برنادوت بمقترحاته هذه أن يرضى العرب ! ! ولكن يبدو أن اليهود وجدوا فى هذه المقترحات تضييعاً لمناطق كانت من حقهم فى التقسيم السابق . ولعلهم ظنوا أنهم أصحاب حق فى النقب ؛ لذلك أسرعوا باغتيال برنادوت جزاء له على اقتراحه ! !



شكل (٣ ـ د)
فلسطين حالياً بعد أن اغتصب اليهود معظمها

وعادت الحرب بين العرب واليهود مرة أخرى. ثم كانت الهدنة الأخيرة التى جمدت الحدود بين العرب واليهود لفترة ما . وبعد ذلك عقدت بعض معاهدات كان من أبرزها معاهدة رودس التى تم فيها الاتفاق على بعض الأمور التى لا نرى مجالا لسردها هنا .

ولكن هل بقيت الحدود؟ أو هل بقى خط الهدنة بين العرب واليهود كما رسم وقت معاهدة رودس ؟

الحقيقة .. لا !! فلقد حاول الصهاينة الاستيلاء على مزيد من المناطق وضمها إليهم حتى قدر لليهود أن يستولوا على مساحة $\frac{3}{4}$ فلسطين كما يتضح من شكل (٣ ـ د) الذى يمثل فلسطين حالياً .

هذه هى قصة التقسيم منذ بدأت فكرته حتى الآن . .

ولنا أن نتساءل : هل كان تقسيم فلسطين صحيحاً من الوجهة القانونية؟

الواقع يقول : لا .. والأدلة على ذلك كثيرة نستطيع أن نوضحها فى النقط الآتية :

١ ــ إن الأمم المتحدة حين أصدرت قرار تقسيم فلسطين فى ٢٨نوفبر سنة ١٩٤٧ لم توضح لنا الأسانيد ، ولم تبين الأسس القانونية التى بنت عليها قرارها . . ومن المعروف أن القاضى حين يصدر حكمه يعززه بما يطلق عليه فى العرف القانونى بحيثيات الحكم ، وفى هذه الحيثيات يدلل القاضى بالحجج والبراهين والقوانين ما يبرر به الحكم الذى أصدره . . ولكن هيئة الأمم المتحدة لم تفعل ذلك، فجاء قرارها خالياً من كل ما يبرره.

قد تكون هيئة الأمم المتحدة . رأت فى النزاع بين العرب واليهود ذريعة أو سنداً لها ، ولعلها قد اتخذت من ادعاءات الصهاينة وأكاذيبهم حقائق لم يحاول أعضاء الأمم المتحدة مناقشتها مناقشة جدية لتتبين مدى كذبها . ولكننا نقول : إن كل نزاع بين أجنبى دخيل ومواطن حقيقى لا يمكن أن ينتهى بتقسيم الوطن بين الأجنبى والمواطن الحقيقى . . إن اليهود فى فلسطين يكونوا إلا مجرد أجانب وليس من حقهم أن يعاملوا معاملة المواطنين .. وإلا لجاز لكل غريب فى وطن ما أن يقتسم الوطن مع صاحبه ، ولأصبح لليهود فى الولايات المتحدة ــ وهم يكونون طائفة كبيرة ــ أن يقتسموا الولايات المتحدة بينهم وبين الأمريكان . بل قد يكون ذلك أقرب إلى المنطق مما اتبع فى فلسطين ؛ ذلك لأن سكان الولايات المتحدة الحاليين البيض الذين يتحكمون فيها ليسوا من أصل أمريكى، وإنما هم دخلاء على أمريكا جاءوا من فرنسا وإنجلترا . . وغيرهما من الدول الأوربية واكتشفوا القارة واستعمروها ، وقد جاء هؤلاء سواء كانوا مسيحيين أم يهودا ومعنى ذلك أن يهود أمريكا من أصل أوربى لهم ما لغيرهم من فى حق أرض

فلماذا لم يقتسم اليهود أمريكا بينهم وبين باقى السكان ، وهل ترضى بذلك حكومة وشنطن ؟ الجواب لا . فلماذا إذن وافقوا على اقتسام فلسطين بين العرب واليهود ؟ ! !

٢ – إن قرار التقسيم هذا لا يتفق مع ما جاء فى صكوك الانتداب [1] ، فإذا ما رجعنا إلى المادة الخامسة من صك الانتداب وجدنا ها تقول : « تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن عدم التنازل عن شيء من أرض فلسطين أو وضعه تحت حكومة دولة أجنبيه » .

ومما لا شك فيه أن قرار التقسيم هذا معناه انتزاع جزء من فلسطين ، وإعطاؤه لليهود ليقيموا عليه دولة أجنبية ، واليهود . . حتى صدور قرار التقسيم – وبعده – يعتبرون أجانب ، ولم يعترف بهم كمواطنين فلسطينيين. ولقد سبق أن اعترفت عصبة الأمم المتحدة باستقلال الدول العربية ومنها فلسطين ، وضح ذلك من خلال ما جاء فى المادة الثانية والعشرين من عهد العصبة والتى تقول : « إن بعض الشعوب التى كانت خاضعة للإمبراطورية التركية وصلت إلى درجة من التقدم يمكن الاعتراف مؤقتاً بكيانها كأمم مستقلة خاضعة لقبول الإرشاد الإدارى والمساعدة من قبل الدول المتندبة عليها حتى ذلك الوقت الذى تصبح فيه هذه الشعوب قادرة على النهوض وحدها . . »

ومعنى ذلك أن عصبة الأمم المتحدة ، وهى التى وافقت على صكوك الانتداب بعد ذلك – هذه الهيئة العالمية قد اعترفت بكيان فلسطين . وكان من المفروض بناء على تلك المادة أن ينتهى الانتداب الإنجليزى على فلسطين . . بعد أن أصبح أهلها قادرين على حمل مسئولية الحكم وحدهم . . ولقد أحست إنجلترا بذلك فكان عليها – بدلا من أن تعطى اليهود فلسطين – أن تخرج هى من فلسطين ؛ لتتركها لشعبها العربى ، ولكنها لم تفعل .

---

(١) راجع صكوك الانتداب فى الفصل الرابع من هذا الباب .

قد يدعى الصهاينة أن صك الانتداب نص على العمل على إقامة وطن لليهود فى فلسطين : ولكنا مع استنكارنا لما جاء بالانتداب عن هذه الناحية.. نؤكد هنا مرة ثانية أن هناك فرقاً كبيراً بين تعبير وطن، ودولة، وقد شرحنا ذلك من قبل .

٣ــ من المفروض أن يلقى قرار التقسيم قبولا من الأطراف التى يعنيها الأمر . . ولكن من هى هذه الأطراف ؟ إن المنطق يقول : إنهم العرب.. والعرب . . وحدهم هم الذين يعتبرون الطرف الرسمى ، وهم وحدهم أصحاب حق لهذه الأرض . . اعترف لهم بذلك عهد عصبة الأمم . . واليهود لم يكن لهم حتى ذلك الوقت أى صفة رسمية ، ولو طبقنا ذلك على ما جاء على لسان الرئيس الأمريكى « ولسن » والذى يقول : «إن حل كل مسألة يتعلق بالأرض . . يجب أن ينبنى على قبول الذين يتعلق بهم هذا الأمر أو لا وأخيراً . . » فكأن العرب وحدهم هم الذين يملكون قرار الموافقة على قرار التقسيم ، وأن أمر نفاذه أو عدمه متروك لهم ، ومما لا شك فيه أن العرب قد رفضوا بالإجماع مبدأ التقسيم ، وبالتالى يعتبر هذا القرار باطلا..

وحتى لو فرضنا جدلا أن الطرفين المتنازعين اللذين يهمهما الأمر ــ كما يدعى المستعمرون ــ هم العرب واليهود . . فهل سلطت الأضواء على حقوق العرب وحججهم فى فلسطين كما حدث بالنسبة لتلك الادعاءات والأباطيل التى أشاعها الصهاينة ؟ وبمعنى آخر . . هل استطاع العرب أن يأخذوا حريتهم فى البرهنة على حقوقهم كما فعل اليهود ؟ وهل استطاع العرب أن يجدوا المحامى الغيور الذى يدافع عن قضيتهم وقت نظر مشروع التقسيم أمام هيئة الأمم المتحدة ؟ ! !

الواقع يقول : لا . . لقد شلت كل حركة قام بها العرب للدعاية لحقوق عرب فلسطين ، وقد ساعد على ذلك عدة عوامل منها : الظروف السياسية السيئة التى كان يرزح تحتها كثير من العرب . . أما الصهيونية

فقد وجدت من الأنصار والأموال من دافعوا عنها ، ولو بغير حق .

ولقد حملت إنجلترا لواء الدعاية للصهاينة . . وإن كانت قد وقفت من وراء الستار ترقب الموقف عن كثب ، وحتى تذر الرماد فى العيون ... رأيناها تمتنع عن إبداء رأيها بالنسبة لقرار التقسيم حين عرضه على الهيئة فى نوفبر لعلها كانت مطمئنة إلى أن القرار سيوافق عليه بدونها . . بعد أن رسمت الخطة بإحكام . . ولعلها وجدت فى قرار التقسيم أقل مما يستحقه اليهود . . . !! ولكنها على أى حال كانت متحمسة لنصرة الصهاينة ، فى ذلك مصلحة لها .

وما قيل عن إنجلترا . . يمكن أن يقال بشىء من التشابه عن كل من فرنسا وأمريكا ، فكل منهما كانت له مصالح شخصية وأهداف دفعتهما لخدمة الأغراض الصهيونية . .

فالولايات المتحدة . كانت وما تزال تقاسى الكثير من اليهود ومشاكلهم الاجتماعية وسيطرتهم على المرافق الاقتصادية ، وتحكمهم فى كثير من البنوك والشركات . . ولذلك فهم الذين يسيرون دفة كثير من الأمور السياسية وفق أهوائهم ونزعاتهم ، وللصهاينة أيضاً أعوان وأنصار من رجال الحكم . . يأتمرون بأمرهم وينفذون تعليماتهم ويضعون أنفسهم رهن مشورتهم . . وحكومة الولايات المتحدة فى ذلك الوقت كانت — وما تزال — لا تستطيع أن تخيب لليهود ظنا ولا يرفض لهم مطلباً مهما كلفها ذلك من خسائر ومهما ارتكتب من التزوير وفقدان الضمير . .

إذن فقرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة كان قرارا غير طبيعى ؛ فإن الظروف التى صدر بها لم تعط للطرفين ، أو بمعنى أصح للطرف الحقيقى فرصه كافية لعرض قضيته . . بينما أعطيت هذه الظروف فرصة أكثر من اللازم لغير أصحاب الحق . . وبالتالى يمكن أن نعتبر هذا القرار كأن لم يكن .

٤ ــ من صفات القاضى الذى يصدر حكمه فى قضية ما أن يكون بعيداً عن التحيز فى حكمه بغض النظر عن مصالحه الشخصية ، وليس من سمات القاضى بصفته الرسمية أن يتخذ من مقعده وسيلة لتحقيق هدف لصالحه أو لصالح أصدقائه أو أقاربه . . وقد ثبت فعلا أن القضاة الذين حكموا فى مشكلة فلسطين والذين أقروا مبدأ التقسيم كلهم ممثلون فى هيئة الأمم المتحدة . . لم يكونوا يمثلون العدالة ، فقد كانوا قضاة متحيزين تخلصوا من كل القيم الأخلاقية ، وانحازوا إلى الباطل فجعلوه يلتهم الحق . . وضح ذلك من خلال نظر القضية فى جلسة ٢٦ نوفمبر ، ولم يحصل مشروع التقسيم على الموافقة ، ولكن لم تمض على ذلك ساعات حتى أسرع نفس القضاة يوافقون على قرار التقسيم ويتنكرون لأبسط العدالة ؛ وساروا فى طريق ملتو رسمه لهم الصهاينة وخططه لهم المستعمرون .

وإذا نحن حللنا الموقف . . وجدنا أن الأعضاء الذين وافقوا على التقسيم من الدول الاستعمارية أو التى تسير فى فلكها طواعية أو كراهية ، وكلهم جميعاً يحاولون تحقيق آمال اليهود وهدم آمال العرب .

فمن الدول التى وافقت على قرار التقسيم « بلجيكا وهولندة وفرنسا » . وهى من الدول التى كانت تعيش بالعقلية الاستعمارية ، ولعل تقلص نفوذها الاستعمارى جعلها لا تسلم بالحق لصاحبه ، فآثرت مناصرة الباطل انتقاماً من الحق ، ولم يكن يعنى هذه الدول وهى ذات الماضى الأسود أن تناصر الحق بقدر ما يعنيها أن تنشر الظلم والفساد لعلها تجد فى ذلك عزاء لها وسلوى ، ولعلها تجد فيه عوضاً عن خسائرها ، ولعلها كانت تطمع فى العودة إلى سيطرتها السابقة . .

أما الدول التى كانت تسير فى فلك الاستعمار ، وتأتمر بأمر سادتها مثل أستراليا ونيوزيلندة وليبيريا وجنوب أفريقيا وكندا . . فإن هذه الدول

لم توافق على قرار التقسيم لاقتناعها به ، وإنما لمشيئة أسيادها واتباعاً لأوامرهم .

ونوع آخر من الدول التى وافقت على قرار التقسيم هى تلك الدول التى لها مصالح شخصية فى قيام إسرائيل،ومن أمثلتها روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وبولندة . . وكل ما يهم هذه الدول هو أن تتخلص من اليهود الذين يسببون لها كثيراً من المشاكل،ولم يكن يتأتى لهم ذلك إلا إذا استطاع اليهود أن يجدوا لهم مكاناً آخر يأويهم ، وقد وجدوا فى فلسطين فرصتهم . ومن أجل ذلك وافقوا على قرار التقسيم .

وهكذا يبدو جلياً ما اتصفت به الأمم المتحدة حين إصدار قرار التقسيم بالتحيز والتباطؤ مع الصهاينة ، مما يجعلنا نشك فى قانونية هذا الحكم وعدالته .

٥ — إن قرار التقسيم هذا قد بحث تحت ضغط الصهاينة وتهديدهم ؛ ذلك لأن الصهاينة حينما أحسوا بخيبة آمالهم فى الحصول على فلسطين . . راحوا يبذلون أموالهم فى الدعاية لقضيتهم ، ولكن يبدو أن ذلك لم يكن كافياً فاستعملوا طرقاً أخرى ووسائل أكثر خسة ودناءة ، وكان من تلك الوسائل : التهديد ، فقد سخروا نفوذهم لدى الدول واستطاع مندوبو الصهاينة أن يضغطوا على وفود الأمم المتحدة لكثير من الدول حتى إن الولايات المتحدة نفسها خضعت لسياسة التهديد ، يؤكد ذلك ما جاء فى مذكرة الرئيس الأمريكى ترومان حيث يقول : « فى الحقيقة إن الضغط الذى وقع على الأمم المتحدة فى ذلك لم يكن له نظير أبداً ، ولقد تعرض البيت الأبيض فى الوقت نفسه لضغط لم يتعرض له فى أى وقت آخر . . وكم ضايقنى كثيراً وأزعجنى حقاً كثرة إلحاح الزعماء الصهيونيين الذين كانت تحركهم دوافع سياسية مصحوبة بالتهديدات . . . حتى إن بعضهم كان يطالبنا بالضغط علي دول أخرى ذات سيادة للحصول علي

الأصوات المطلوبة فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ».

ومما لا شك فيه أن القرار الذى صدر تحت هذه الظروف ، وبتلك الصورة غير الطبيعية لا يمكن أن يعتبر صحيحاً ، فمن الضرورى للعدالة أن تجد المتنفس الذى تبدو فيه الحقائق ، فلكل قضية ظروفها وحقائقها ومعالمها ، ومن واجب القضاة أن يكتشفوا حقيقة الأمور جلية واضحة ؛ وعملية التهديد ووسائل الضغط تبعد الحق عن أعين القضاة، وتغير الواقع إلى غير الواقع ، وبالتالى تكون النتيجة فى جانب الباطل . . وهذا أمر لا يمكن قبوله لا شكلا ولا موضوعاً .

٦ ــ إن قرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة.. لو قدر له أن يعاد بحثه مرة أخرى كما كان متوقعاً بل كما كان من المفروض . . هذا القرار لو بحث مرة أخرى لكان مصيره الإلغاء.. يؤكد ذلك أن بلجيكا وكندا. وهما من الدول التى وافقت على قرار التقسيم فى جلسة ٢٩ نوفمبر . . هاتان الدولتان أحستا بخطئهما . . فاقترحتا إعادة النظر فى مشروع قرار التقسيم . ومن ناحية أخرى..فإن الولايات المتحدة وهى الأخرى واحدة من الدول التى وافقت على التقسيم استيقظ ضميرها ، فقدم مندوبها فى ١٩ مارس سنة ١٩٤٨ مذكرة أعلن فيها سحب حكومته لقرار التقسيم لاقتناعها بعدم إمكان تنفيذه ، وطالب المندوب الأمريكى بوضع فلسطين تحت الوصاية وإعادة النظر فى القضية مرة أخرى . . فإذا حذفنا الدول الثلاثة وهى كندا وبلجيكا والولايات المتحدة من الدول التى وافقت على قرار التقسيم . . وضح لنا مقدار الذبذبة التى كانت ستحدث بالنسبة للقرار ؛ ومما لا شك فيه أن الدول الأخرى الباقية وعددها ٢٩ دولة لابد أن بعضها أحس بالجريمة . . ولو أن الموضوع أعيد بحثه لكانت النتيجة عكس ما حدث . . نعم لكانت النتيجة رفض المشروع ، وبالتالى لما أمكن لليهود أن يتمكنوا من فلسطين . . ,

قد يقول قائل : ولكن ذلك لم يحدث . . ونردّ على هذا القائل لنسأله نحن بدورنا : وماذا كان سبباً فى عدم إعادة بحثه ؟ لماذا لم يبحث المشروع كما كان من المفروض ؛ لتبدو الحقائق واضحة ؟ أحياناً يستطيع الإنسان أن يكسب قضية ما فى الاستئناف، أحياناً يكسبها فى النقض طالما أن الحق بجانبه ، وإذا لم يكن فى هيئة الأمم نقض أو إبرام فإن للأعضاء الحق فى إعادة بحث الموضوع . . وقد حدث فعلا أن اتخذت الإجراءات لإعادة بحثه ، وكاد يحدث ذلك . . ولكن وقع ما غير الخطة . . .

ذلك لأن إنجلترا عزّ عليها أن تفلت الفرصة من يدها . . لذلك رأيناها تسرع بلا سابق إنذار وتعلن انسحابها من فلسطين . . ثم رأيناها تسلم اليهود المواقع الهامة . . لماذا ؟ . . ليصبح الخيال حقيقة ، ولتكون الأمم المتحدة أمام الأمر الواقع ، ولتثبت لأعضائها أن مالا يمكن تنفيذه قد نفذ فعلا ، وكأن إنجلترا تقول لهيئة الأمم المتحدة . . إذا كنتم ترغبون فى إعادة بحث الموضوع لأن قرار التقسيم لا يمكن تنفيذه . . فها نحن ننفذه ، وها هم اليهود يستولون على جزء من فلسطين . . فلا حاجة لكم فيما تعتزمونه من مناقشة الموضوع .

هكذا قسمت فلسطين بالصورة التى ارتضاها اليهود والمستعمرون، وليس بالصورة التى يرتضيها العرب ، ولا الحق . وهكذا نفذ قرار التقسيم بصورة بعيدة كل البعد عن الطرق الطبيعية .

نخرج من هذا بأن قرار التقسيم باطل أساساً ، وأن الطريقة التى نفذ بها لا تكسبه حقاً ، ولهذا نرى أن يرد ما أخذ باطلا إلى صاحب الحق الذى اغتصب منه . .

هذا عن السؤال الأول وهو عدم مشروعية قرار التقسيم .

أما بالنسبة للسؤال الثانى . . وهو هل كان قرار التقسيم بالصورة التي وافقت عليه الأمم المتحدة أو بالموضع الذى نفذ به . . هل

كان فيه شيء من العدالة ؟

إننا حين نبحث هذه النقطة لا نعنى أننا سلمنا بقرار التقسيم فمما لا شك فيه أننا – نحن العرب – نرفض جميعاً كل صورة من صور التقسيم ولكننا نريد أن نبحث هذه النقطة لنثبت مرة أخرى مدى التحيز والبعد عن جانب الصواب فى هذه القضية التى أصبحت قضية عالمية لها نتائجها كما كانت لها أحداثها . .

ونؤكد هنا مرة أخرى أن أعضاء الأمم المتحدة بقرار التقسيم الذى أصدروه لم يكن همهم تقصى العدل وحل المشكلة وإنما كان كل ما يعنيهم خدمة الأغراض الصهيونية .

كان قرار التقسيم فى حد ذاته ظالماً . . وكان بصورته التى تم التصديق عليها أكثر ظلماً وقسوة . . نستطيع أن نتأكد من ذلك إذا تدبرنا الحقائق الآتية :

١ – بالنظر إلى خريطة تقسيم فلسطين التى سبقت فى شكل (٣ – ب) نجد أن المناطق التى أعطيت لليهود تعتبر أحسن المناطق فى فلسطين من حيث ظروفها الطبيعية والاقتصادية بعكس المناطق التى أعطيت للعرب .

وقد استولى اليهود على المناطق الآتية :

(ا) الشريط الساحلى المطل على البحر المتوسط « ما عدا غزة » وهذا الشريط الساحلى يمتاز بكثرة أمطاره لمواجهته للرياح العكسية ، وهذا الأمر بدوره يجعل المنطقة أكثر ملاءمة لحرفة الزراعة ونمو الأشجار المثمرة كالفواكه والموالح فضلا عن أن هذا الساحل هو الواجهة البحرية الهامة لفلسطين ، وعليه تقع كثير من الموانى الهامة مثل : عكا وحيفا ويافا وتل أبيب ، وكلها من الموانى ذات الأهمية الاستراتيجية بالإضافة إلى أهميتها فى تجارة الصادرات والواردات ، ومن أجل ذلك كانت هذه المناطق من أحسن المناطق للاستقرار البشرى .

(ب) أخذ اليهود كذلك جنوب فلسطين ، فكانت له بذلك واجهة بحرية على البحر الأحمر . وهذه الواجهة لها أهمية استراتيجة كبيرة حيث إنها المنفذ الوحيد لفلسطين على هذا البحر ، ولقد خدمت هذه المنطقة إسرائيل كثيراً خصوصاً وأن سفنها ممنوعة من المرور فى قناة السويس.. . حتى لقد فكر اليهود ذات يوم فى حفر قناة تصل ما بين العقبة والبحر المتوسط لعلها تكون لهم عوضاً عن قناة السويس ، ولكن هذا المشروع لم ينفذ، ولن يقدر له التنفيذ بسبب ما يكتنفه وما يعترضه من صعوبات طبيعية ومادية وفنية . . .

وليس من شك أن خليج العقبة هى منطقة التقاء بين عدة دول عربية هى الأردن والسعودية والجمهورية العربية المتحدة بالإضافة إلى فلسطين ، ولا يخفى ما لهذا من أثر فى الظروف السياسية والأهمية العسكرية

(حـ) استولى اليهود فيما استولوا عليه على بعض المناطق المطلة على نهر الأردن من ناحية الشمال بما فى ذلك بحيرة الحولة وطبرية ، وفى هذه المناطق تتوفر مياه الرى اللازمة للزراعة حيث يمكن استغلال هذه المنطقة فى إنتاج الحبوب .

(د) واستولى اليهود كذلك على جزء كبير من البحر الميت وهى منطقة هامة لاستخراج كثير من الأملاح المعدنية مثل البوتاس والمنجنيز والبردمين .

(هـ) وصحراء النقب دخلت هى الأخرى فى أملاك اليهود ، وهذه المنطقة لها أهمية كبيرة . . فهى مصدر عظيم للإنتاج الحيوانى ، وبعض الإنتاج الزراعى حيث تتوفر الآبار والعيون فى الواحات . . بل إن اليهود يحاولون تنفيذ مشروع نهر الأردن لجر المياه إلى هذه المنطقة واستصلاح مساحات كبيرة لاستغلالها فى الزراعة ، وقد أثبتت الدراسات الجيولوجية وجود كثير من المعادن فى صحراء النقيب ، وحاول اليهود استخراج بعضها ..

فإذا ما أضفنا إلى ذلك كله أن هذه المنطقة تمثل صمام أمن لإسرائيل ، وأنه لولا صحراء النقب لتعرضت إسرائيل لضربات العرب المتلاحقة من الغرب والجنوب والشرق . . أدركنا حينئذ أهمية النقب .

وهكذا يبدو جلياً أن اليهود قد استحوذوا بناء على قرار التقسيم على الأجزاء الهامة والجيدة من فلسطين .

أما العرب . . فعلى النقيض من ذلك . . أخذوا مناطق أقل جودة وأقل حظاً فى الإنتاج .

(ا) فالمنطقة الواقعة غرب نهر الأردن . . قليلة الأمطار جداً . . اللهم إلا مساحات قليلة جداً تسقط فيها بعض الأمطار حيث تنمو الحشائش وتربى الأغنام ، والمعروف أن حرفة الرعى ليست من الحرف الوفيرة الكسب ، أما المنطقة المطلة على النهر نفسه فإن مياه هذا النهر لا تصل إلا لمسافة محدودة من الشريط المطل عليه حيث تزرع بعض الحبوب وتنمو بعض أشجار النخيل والزيتون .

(ب) أما منطقة غزة فليست فى مثل جودة المناطق الساحلية الأخرى فضلا عن أن هذه المنطقة رغم أنها المنفذ الوحيد للمنطقة العربية على البحر المتوسط إلا أن مساحتها ضيقة ومحدودة .

على ذلك يتضح لنا أن اليهود قد استحوذوا على كل المناطق الجيدة ، وتركوا للعرب الأجزاء الفقيرة ، بالإضافة إلى أنهم استولوا على كل المنافذ البحرية الهامة فى الوقت الذى لا توجد منافذ بحرية للمنطقة العربية إلا ميناء غزة . . فهل يتفق هذا الوضع مع عدالة التقسيم ؟ أصحاب الأرض الحقيقيون يحرمون من أرضهم ، والأجانب الذين لا حق لهم يأخذون ما لا حق لهم فيه .

٢ — يدعى الصهاينة أن قرار التقسيم هذا قد بنى على أساس الأكثرية المساحية لكل من العرب واليهود . . بمعنى أن اليهود أخذوا المناطق التى

كانت لهم فيها أكثرية فى المساحة قبل التقسيم ، بينما أخذ العرب المناطق التى كانت نسبة الأملاك العربية فيها أكثر . . هكذا يدعى اليهود ! !
ولكن هذا غير صحيح على الإطلاق .

فلو أننا سلمنا جدلا — بحق اليهود فيما كانوا يملكونه من أملاك فى فلسطين حتى سنة ١٩٤٨ رغم الطرق غير المشروعة التى حصلوابها على هذه الأملاك والتى أوضحناها فى فصل سابق ، لو سلمنا بهذا . . فإن الإحصائيات الرسمية التى تصدرها هيئة الأمم المتحدة تؤكد بصورة دامغة أن اليهود لم يحصلوا فى أى منطقة من فلسطين على نسبة أكثر من العرب ، وهذه إحصائية تؤكد ذلك :

المنطقة	نسبة أملاك اليهود	المنطقة	نسبة أملاك اليهود
يافا	٣٩ .	غزة	٤٪
طبرية	٣٨٪	عكا	٣٪
الناصرية	٣٨٪	القدس	٢٪
حيفا	٣٥٪	الخليل	١٪
بيسان	٣٤٪	رام الله	١٪
صفد	١٨٪	بئر سبع	١٪
طولكروم	١٧٪	النقب	½٪
الرملة	١٤٪	حنين	أقل من ١٪
		نابلس	صفر ٪

ومن هذه الإحصائية يستدل على أن أكبر نسبة لأملاك اليهود فى خمس مناطق لم تتعد ٣٩ ٪ ، وأن أكثر المناطق تراوحت فيها النسبة بين ٤ ٪ ، ½ ٪ .

وتؤكد الإحصائيات الأخرى أن جملة ما تملكه اليهود حتى سنة ١٩٤٨ فى فلسطين كلها لم يزد عن ١,٤٩٠,٠٠٠ دونم أى بنسبة ٦٪ تقريباً ، أما أملاك العرب فقد وصلت إلى ١٢,٥٧٥,٠٠٠ دونم أى بنسبة ٤٨٪ ومعنى ذلك أن نسبة أملاك اليهود إلى أملاك العرب هى ١ : ٨ وهذا لايتناسب مع المساحة التى حصل عليها كل من الطرفين فى التقسيم .

٣ — وقد يدعى اليهود أن هذا التقسيم بنى على أساس النسبة السكانية لكل من العرب واليهود . . وهذا ادعاء باطل وليس فى حاجة إلى توضيح . فاليهود حتى سنة ١٩٤٨ لم تكن لهم أية أكثرية سكانية فى أى منطقة فى فلسطين إلا فى تل أبيب ، ولم يكن عدد اليهود كلهم يزيد عن ½ مليون ، أما عدد العرب فكان أكثر من مليون ، وهذا يؤكد الفارق الشاسع بين الطرفين فى العدد .

ولنا أن نتساءل هل اتفق تقسيم فلسطين مع النسبة العددية كما يدعى اليهود ؟

الواقع . . لا فإن اليهود بناء على قرار التقسيم أخذوا ٥٥٪ من فلسطين ، وكان نصيب العرب حوالى ٤٥ ٪ ، ولم يكتف اليهود بذلك بل انتزعوا مساحات أخرى من أملاك العرب ووصل جملة ما اغتصبه اليهود من أملاك العرب بعد التقسيم حوالى ثلاثة آلاف ميل مربع أضيفت إلى ٥٥٠٠ ميل مربع فأصبح جملة ما اغتصبوه من الأرض الفلسطينية أكثر من ثمانية آلاف ميل مربع وهذه نسبة كبيرة جداً بالنسبة لأملاك العرب ، فهل هذا يتفق مع ما يدعيه اليهود ؟ ! !

٤ — أما بالنسبة لصحراء النقب . . فقد لاحظنا من الإحصائية السابقة أن نسبة ما كان يملكه اليهود منها حتى سنة ١٩٤٨ لم يكن يزيد عن ½ ٪ من مساحتها ، كما لاحظنا أن معظم اقتراحات التقسيم مثل تقسيم بيل وبرنادوت . . اعترفت بحق العرب فى النقب ، ومع ذلك فقد أخذ

اليهود هذه المنطقة ، وهذا يظهر مدى التحيز الذى اتبعته الأمم المتحدة بالنسبة لتقسيم فلسطين .

وقبل أن نترك هذا الموضوع . . يجوز لنا أن نتعرض لزعم آخر يزعمه اليهود . فهم يدّعون أن تقسيم فلسطين . . إنما هو صورة من صور بعض التقسيمات التى حدثت فى أجزاء أخرى من العالم مثل تقسيم الهندستان إلى : الهند وباكستان ، وتقسيم ألمانيا إلى غربية وشرقية ، وتقسيم كل من فيتنام وكوريا إلى جنوبية وشمالية .

وهذا القول مردود إليهم لما يأتى :

١ — إن تقسيم الهندستان مثلا — رغم تدخل العناصر وسوء النوايا الاستعمارية — إلا أنه تم بناء على موافقة بين الطرفين : الهنود والباكستانيون وبرضاهم وهذا مخالف بالنسبة لما حدث فى فلسطين . . حيث رفض العرب هذا التقسيم .

٢ — إن تقسيم الهندستان . . إنما هو تقسيم منطقة بين شعب كان فى يوم من الأيام يكون دولة واحدة ، ولكل هندى وباكستانى الحق فى أرض هذا الوطن . . ومعنى هذا أنه تقسيم بين طرفين لكل منهما الحق فى القسمة ، ولكن هذا عكس الوضع فى فلسطين . . . إذ أن تقسيم فلسطين وقع بين عنصرين مختلفين : أحدهما العرب أصحاب الحق فى فلسطين ، والآخر اليهود وهم الأجانب الدخلاء .

٣ — إن قرار تقسيم الهندستان بين الهند وباكستان لم يترتب عليه أضرار فادحة لأحد الطرفين ، ومكاسب كبيرة للطرف الآخر ، وإنما أصبح لكل منهما نصيب معلوم بناء على الأكثرية السكانية من حيث المذهب الدينى . . أما بالنسبة لفلسطين : فالأمر يختلف ؛ فقد كسب اليهود كثيراً وخسر العرب كثيراً . . كسب اليهود أرضاً لم تكن لهم ، وخسر العرب أرضهم وديارهم وأموالهم . . وقد ترتب على ذلك أن شرد أكثر

من مليون عربى خارج فلسطين ، ما زالوا يعيشون حتى الآن يقاسون شظف العيش وصنوف الهوان والفاقة . . بينما راح اليهود ينعمون بفلسطين وخيرها .

٤ — إن تقسيم الهندستان قد اتسم بطابع أكثر تنظيما وتحقيقاً — بقدر الإمكان — للعدالة . ولذلك تبادل الهنود والباكستانيون التعويضات والممتلكات بعكس ما حدث فى فلسطين ، فقد أخذ اليهود كثيراً من أملاك العرب ، واستولوا على أرضهم دون مقابل أو تعويض .

نعم . . . استولى اليهود على كثير من مزارع البرتقال العربية ، وأخذوا كثيراً من مصانع الماس والمنسوجات والمواد الكيميائية ، فضلا عن القرى والمنازل والمدن والمساحات الواسعة من الأراضى التى انتزاعها اليهود من العرب دون أى مقابل أو تعويض .

إذن فوضع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود لا يتفق ولا يتشابه مع التقسيم بين الهند وباكستان لا من حيث المبدأ ، ولا من حيث الوضع وذلك لاختلاف الظروف بين الحالتين .

وألمانيا ، وفيتنام ، وكوريا . . كل هذه التقسيمات تمت لظروف ولأسباب وبطرق وأوضاع بعيدة كل البعد عن تلك التى صاحبت تقسيم فلسطين ؛ ومن أجل هذا فلا يمكن أن يكون هناك تشابه بين فلسطين وبين واحدة من هذه الدول .

نخرج من كل هذا بأن تقسيم فلسطين بين العرب واليهود . . باطل من حيث المبدأ ، وفيه ظلم كبير للعرب من حيث الوضع الذى تم فيه ، والصورة التى رسم بها ، وأن ما يدعيه اليهود من حق لهم بناء على هذا التقسيم . إنما هو وهم وافتراء .

الفصل السابع

إسرائيل . . تسير نحو الهاوية

ما كنا نريد أن نخوض فى هذا الموضوع الذى سيضطرنا إلى الدخول فى تفاصيل كثيرة . . ولكننا نرى لزاماً علينا أن نرد على ما يزعمه اليهود من أنهم استولوا على فلسطين ليرفعوا مستواها الاقتصادى والاجتماعى والثقافى . . . ! !

فالصهاينة يزعمون أن فلسطين مليئة بالموارد الأولية الهائلة، وأن العرب لم يستطيعوا استغلال هذه الموارد، ومن أجل ذلك جاء اليهود إلى فلسطين، ليحققوا ما لم يستطعه العرب . هكذا يقولون . ! ! وليس من الغريب أن يساندهم فى هذا الزعم أنصارهم من المستعمرين الذين أطلقوا على منطقة الشرق العربى اسم « المنطقة المتخلفة اقتصاديا» ولعل هؤلاء نسوا أنهم هم المسئولون عن هذا التخلف .

ولنا أن نسأل الصهاينة : من الذى جعلهم وكلاء على هذه المنطقة حتى يكون لهم حق استغلالها والسيطرة على اقتصادياتها ؟ وأى منطق هذا الذى يخول لهم دخول فلسطين بهذه الحجة الواهية ؟! !

فلو فرضنا مثلا أن شخصاً ما يمتلك قطعة أرض فضاء فى موقع ممتاز، ولكنه — لظروف خارجة عن إرادته — لا يملك من المال أو من مواد البناء ما يستطيع به أن يشيد قصراً كبيراً أو يقيم عمارة شاهقة على هذه الأرض . اللهم إلا كوخاً صغيراً يهدأ إليه هو وأسرته حتى يكبر أولاده

الذين سيكونون قادرين — فيما بعد — على تحقيق آمال أبيهم فى إقامة قصر أو تشييد عمارة . . .

ولو فرضنا كذلك أن أحد الأثرياء ممن يمتلكون المال الذى جمعه بطرق غير مشروعة ، والجاه الذى حصل عليه بأساليب الخداع والتضليل.. لو أن هذا الثرى مرّ ذات يوم على تلك الأرض الفضاء ، فأعجب بها ، ورسم فى خياله صورة جميلة لمستقبلها ، فراح يتخيلها فى صورة قصر كبير ، أو عمارة شاهقة أو «فيلا» أنيقة ، فهل من حق هذا الثرى أن يستولى على الأرض ويأخذها لنفسه ليقيم عليها عمارة يسكنها هو وأقاربه ، ويترك صاحبها بلا مأوى بعد أن يهدم كوخه الصغير ويلقى به وبأولاده فى العراء ثم يقول فى تبجح : إنه يريد أن يعمرها ويصلح من شأنها ؟!! أى قانون يعطى الثرى هذا الحق ؟ وأى قانون يحرم على صاحب الحق حقه ؟! إن قانون الملكية الفردية مكفول للجميع فى جميع الدول ، أو بمعنى أصح فى معظم الدول . ثم إن الشرائع كلها حتى الشريعة اليهودية لا تسمح بالاغتصاب والنهب ، وإنما تحفظ لكل صاحب حق حقه . فلماذا يصر المغتصب على الاحتفاظ بما اغتصبه ؟ وإلى متى يبقى صاحب الحق يطالب بحقه ؟ ! !

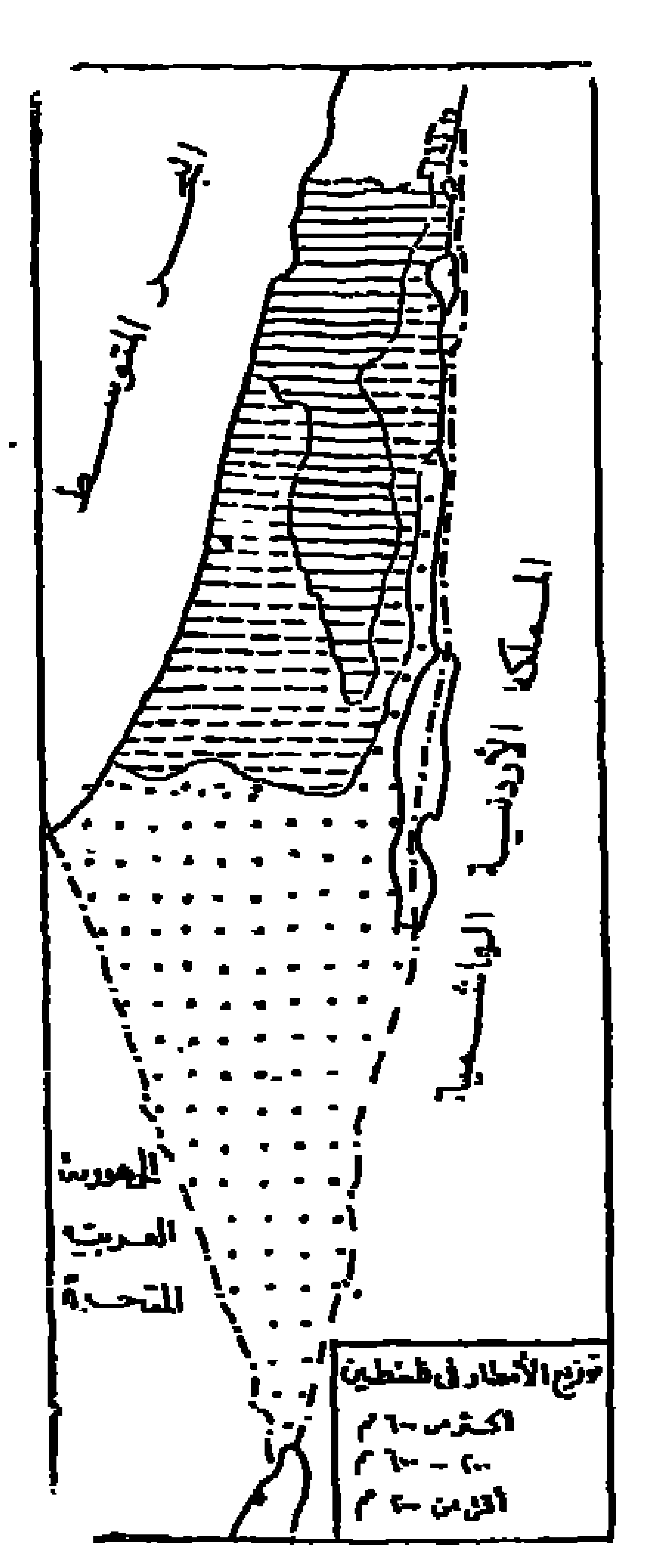
هذا هو ما حدث فى فلسطين .. جاء الصهاينة .. واستولوا على هذه المنطقة ، وادعوا ادعاءات كثيرة .. كان أحد هذه الادعاءات هو أنهم أرادوا إصلاح حال فلسطين ونشر معالم الحضارة والعمران فيها .. فهل هذا من حق اليهود ؟ ! ! !

مما لا شك فيه أنه ليس من حقهم . وأن أى قانون لا يوافقهم على ذلك ، ولكننا نريد أن نناقش نقطة أخرى . . نريد أن نبحث هنا هل حقق اليهود شيئاً مما ادعوه ؟ لقد حاولوا أن يتقدموا بفلسطين ، فتقهقروا بها إلى الوراء ..

فضلا عما سببوه للمنطقة العربية.. كلها بل العالم كله من مشاكل وقلاقل.!!

وهنا يجدر بنا أن نلقى الأضواء على حقيقة الظروف الطبيعية لفلسطين، لنرى إلى أى حد يحاول الصهاينة أن يضللوا الرأى العام .

ففلسطين من الناحية الجغرافية جزء متمم لسوريا ولبنان وشرق الأردن وكانت كل هذه المنطقة تعرف قبل سنة ١٩٢٠ بسوريا الطبيعية أو بلاد الشام ، ومساحة فلسطين ٢٧٠٠٠ كم٢ أى ما يعادل ٢٧,٠٠٠,٠٠٠ دونم(١) .



أكثر من ٦٠٠ مم
٢٠٠ — ٦٠٠ مم
توزيع الأمطار فى فلسطين

ومن الخصائص المناخية لفلسطين : قلة أمطارها وعدم توزيعها ، فهى تكاد تقتصر على الشريط الساحلى المطل على البحر المتوسط حيث تهب الرياح العكسية الممطرة شتاء ، وكلما توغلت هذه الرياح جنوباً أو شرقاً .. كلما قلت كمية الأمطار حتى تكاد تنعدم فى الجنوب والشرق ، ويمكن أن نقول إن ٧٥٪ من مساحة فلسطين لا يسقط فيها من المطر ما يكفى لقيام الزراعة . انظر شكل (٤)

يضاف إلى ذلك أن كمية المطر تتذبذب من عام لآخر ومن منطقة لأخرى .

---

(١) الدونم = $\frac{1}{4}$ فدان تقريباً أى ١٠٠٠ متر مربع .

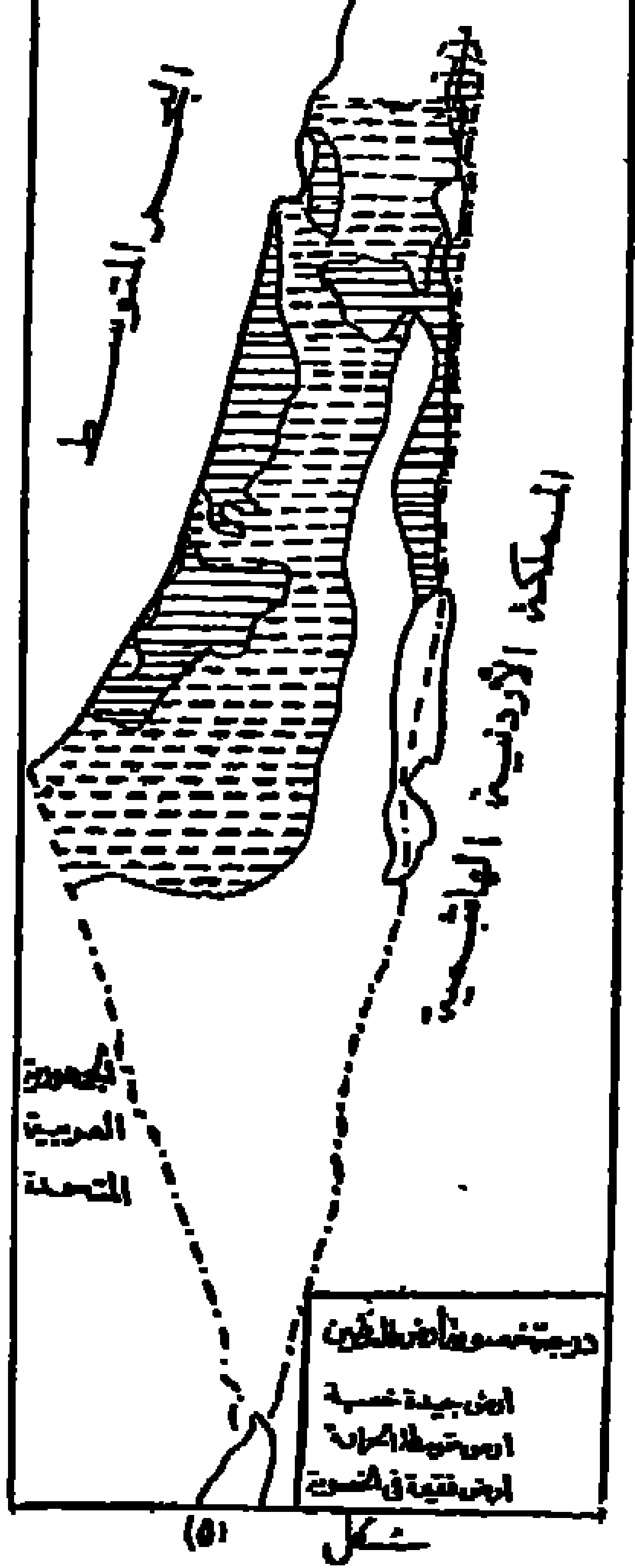
ومن ناحية المصادر الأخرى للمياه .. فإن فلسطين ليس بها مجار نهرية كبيرة .. اللهم إلا نهر الأردن الذى ينبع من سوريا ولبنان، ويصل إلى فلسطين حتى يصب فى البحر الميت « بحر لوط » .

ومن المعروف أن كمية مياه هذا النهر ضئيلة جداً بحيث إنها لا تزيد عن ١٪ من مياه نهر النيل . وليست هذه الكمية مقصورة على فلسطين وحدها . . . ولكن الدول العربية الأخرى مثل سوريا ولبنان وشرق الأردن تعتمد على مياه نهر الأردن فى مناطق كثيرة . . .

وفضلا عن ذلك: فإن مياه هذا النهر لا تصل إلى كل جهات فلسطين ، ولا تتعدى بضع كيلو مترات فى المنطقة المطلة عليه. ذلك لأن النهر يحتاج لعدة مشروعات مثل الخزانات والسدود لرفع مستوى المياه، وكثير من الترع لتوزيعها . . .

ومن ناحية التربة فإننا نلاحظ أن معظم المناطق فى فلسطين ليست جيدة التربة.. وبالتالى فهى ليست صالحة للزراعة . .

وإذا رجعنا إلى شكل (٥) استطعنا أن ندرك أن فلسطين ليست من المناطق التى حبتها الطبيعة بظروف حسنة مثل غيرها . فإن الظروف الطبيعية فى مصر والعراق وسوريا ـ مثلا ـ أحسن حالا من تلك الظروف التى تسود فلسطين .



شكل (٥)

أرض جيدة خصبة
أرض متوسطة الحرارة
درجة خصوبة أرض فلسطين

ولقد كان لذلك كله آثار كبيرة على الإنتاج الزراعى .

ويمكن أن نلخص مصادر الثروة فى فلسطين فى النواحى الآتية :

١ – من حيث الإنتاج الزراعى :

نتيجة لقلة الأمطار وذبذبتها . نجد أن الإنتاج الزراعى قليل، فاقتصرت الزراعة على مناطق محدودة على ساحل البحر المتوسط ، وفى بعض الواحات المنتشرة فى الوسط، كما اقتصر الإنتاج على محصولات محدودة أهمها : بعض الحبوب كالقمح والشعير ، بالإضافة إلى الفواكه كالكروم والموالح .

٢ – أما من حيث الإنتاج الحيوانى : فهو ليس أحسن حالا من الزراعة، فلا تربى فى فلسطين إلا أعداد قليلة من الأغنام والماعز والإبل ، ولا يمكن أن نعتبر حرفة الرعى مورداً هاماً من موارد الثروة فى فلسطين ، أو بمعنى آخر لا يمكن أن نجد فيها عوضاً عن النقص فى الإنتاج الزراعى .

٣ – ومن حيث المعادن فهى قليلة القيمة.. إلا إذا استثنينا بعض المعادن الموجودة فى البحر الميت، مثل الأملاح والفوسفات ، وهذه المعادن فى حاجة إلى خبراء للكشف عنها وأجهزة ومعدات لاستخراجها ، وهو ما لم يتوفر للعرب طوال مدة الاستعمار العثمانى وخلال فترة الانتداب الإنجليزى .. ولهذا كان استخراج المعادن مرتبطاً بحاجة الاستعمار وظروفه .

٤ – إذا انتقلنا إلى الإنتاج الصناعى . . وجدنا أن قلة الإنتاج الزراعى والمعدنى فى فلسطين فضلا عن ظروف الاستعمار التى عاشها الشعب الفلسطينى . . كان له أثر كبير على الصناعة . . فإن الاستعمار لم يسمح بإقامة أبسط أنواع الصناعات ؛ لأنه كان يرى فى فلسطين – شأنها فى ذلك شأن الدول المستعمرة الأخرى – سوقاً لتصريف مصنوعاته ومورداً هامّاً للمواد الخام اللازمة لصناعاته ، وقد ترتب على ذلك اعتماد الشعب الفلسطينى على المصنوعات الأجنبية .

هذه فكرة سريعة عن الظروف الطبيعية والاقتصادية التى كانت تسود

فلسطين قبل سنة ١٩٤٨ ، ومنها تتضح عدم سخاء الطبيعة ، فإذا أضفنا إلى ذلك: الظروف السياسية، أدركنا أن العرب كانوا معذورين فى عدم النهوض بوطنهم ، وأن ذلك لم يكن لتقصير منهم أو لعجزهم أو كسلهم ، وإنما لظروف خارجة عن إرادتهم . .

ونعود إلى ذلك الثرى الذى تحدثنا عنه فى أول الفصل ، والذى استولى على قطعة الأرض ذات الموقع الممتاز لنرى ماذا فعل ؟ لقد أحضر كل مواد البناء اللازمة من: «ظلط» ورمل وحديد وطوب وأسمنت .. أحضرها بطريقة ما.. بالسرقة أو النهب أو الاستجداء ..!! ولكنه فشل فى الحصول على العمال القادرين على حمل الأثقال، والصعود على السقالات للقيام بعملية البناء . . بناء القصر أو العمارة . .

نعم لم يستطع هؤلاء العمال أن يصمدوا فى العمل ، ليحققوا الغرض الذى جاءوا من أجله أو الذى استُحضِروا من أجله .. وهنا أحس الثرى بالفشل، واصطدم بالواقع الأليم، واتضحت أمام عينيه معالم الحقيقة المرة . . ولكنه للأسف أغمض عينيه عن هذه الحقيقة ، أو لعله حاول ذلك؛ حتى لا يترك لصاحب الأرض أرضه، وعز عليه أن يسلم فى شىء اغتصبه ، فآثر الاستمرار فى التزوير والمجادلة ، ولكن صاحب الحق لم يسكت عن حقوقه ، فراح فى كل وقت وفى كل حين يطالب بحقه ، وأخذ يلقى بمواد البناء التى أحضرها الثرى فى عرض الشارع . . بل سد فى وجهه كل السبل حتى لا يستطيع تحقيق آماله .

هذا هو ما حدث لليهود فى فلسطين . . جاءوا بأموالهم وآلاتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا الحصول على القوى البشرية المخلصة القادرة على القيام بمهمة تقدم وترقية فلسطين ! ! . . لقد أرادوا أن يجعلوا من فلسطين دولة كبرى، ولكنهم عجزوا عن تحقيق كل ذلك، لأنهم عجزوا عن الحصول على الخبرة والعزيمة والتعاون ، وفوق كل ذلك عجزوا على أن يصطحبوا

معهم الحق . لأنهم على باطل ، وويل لمن كان الباطل صاحبه، ومحال أن يتحقق أمل طالما لازمه الظلم والاستغلال .

وساءت حال فلسطين الاقتصادية ، ونقص إنتاجها ، ونضب معين خيراتها، وشح نعيمها.. لا نقول ذلك جزافاً، ولكنها الحقيقة .. الحقيقة المرة التى اعترف بها الصهاينة ، ووضحت من إحصائيات إنتاجهم الرسمية .

ولنستعرض معا صورة للظروف الاقتصادية الموجودة الآن فى فلسطين.

١ ـ بالنسبة للإنتاج الزراعى . . نجد أن اليهود قد استحضروا معهم الجرارات (١) والآلات الحديثة ، وجلبوا البذور ، وجاءوا بالكثير من الخبراء ، وأخذوا يقومون بالكثير من التجارب . . ولكن ذلك كله ذهب أدراج الرياح . فالإحصائيات الرسمية تؤكد أن مساحة الأراضى الزراعية فى فلسطين المحتلة قد قلت عما كانت عليه قبل سنة ١٩٤٨ بحوالى ١٥٪ من جملة المساحة المنزرعة؛ بمعنى أن مساحات من الأراضى الزراعية كانت تزرع فيما مضى . . أصبحت الآن بوراً وبلا زراعة،وطبيعى أن ترتب على ذلك قلة الإنتاج لكثير من المحصولات ، وعلى سبيل المثال نذكر أن إنتاج الموالح التى تعتبر مصدراً هاماً من موارد الثروة فى فلسطين كان قبل سنة ١٩٤٨ حوالى ٢٠ مليون صندوق نقص الآن إلى حوالى ١٢ مليون صندوق فقط أى بنقص قدره ٣٥٪ كما نقص إنتاج الزيتون والقمح بنسب كبيرة تتراوح بين ٢٠ ، ٤٥٪ فى بعض السنوات .

وحاول اليهود ذات يوم أن يزيدوا مساحة الأراضى الزراعية ، ونذكر على سبيل المثال: مشروع تجفيف مستنقعات بحيرة الحولة وتحويلها إلى

---

١) أكثر من نصف مليون جرار .

أراض زراعية ، وأنفق اليهود على هذا المشروع ملايين الجنيهات.. ولكنهم وقبل أن يجففوا عرقهم فاجأتهم الحقيقة المرة.. حين اندفعت المياه من ينابيع نهر الأردن، وحولت المنطقة مرة أخرى إلى مستنقعات .. مما كان سبباً فى ضياع مجهوداتهم هباء .

ويبدو أن الصهاينة أحسوا بخيبة أملهم فى التقدم الزراعى ، ولعلهم تأكدوا أن آمالهم كانت سراباً ، وأنهم لا يستطيعون أن يحققوا أحلامهم بالصورة التى رسموها فى أذهانهم . . فراحوا يبررون فشلهم، فقال بعضهم: إن ذلك يرجع إلى أن المهاجرين اليهود الذين جىء بهم من بلادهم الأصلية لم يكن لديهم الخبرة الكافية التى تؤهلهم للقيام بحرفة الزراعة . . لقد كانوا فى بلادهم تجاراً أو صناعاً، فهم لا يصلحون لأن يكونوا زراعاً ... ولكننا نرد عليهم هذا الكلام ، وتلك الحجج الواهية ، فنقول :

(ا) إنهم الآن يعتمدون فى الزراعة على الآلات أكثر من اعتمادهم على الطاقات البشرية ، وقد ذكرنا من قبل أن أعداداً هائلة من الجرارات والآلات والماكينات التى تقوم بمختلف مراحل الزراعة من حرث وحصاد قد استحضرها اليهود بطريقة أو بأخرى . فلو فرض وكان هناك عجز فى الطاقة البشرية فإنه يمكن تعويضه بواسطة الآلات .

(ب) إن اليهود الذين وفدوا إلى فلسطين . ليسوا كلهم من الدول الصناعية،ولم يكونوا كلهم تجاراً أو صناعاً . . وإنما كان منهم الكثير ممن نزحوا من الدول الزراعية كروسيا ورومانيا والمجر . . بل إن بعضهم جاء من العراق واليمن ، ولا بد أن يكون لهؤلاء أو لبعضهم دراية بعمليات الزراعة . ولكن هؤلاء وهؤلاء آثروا حياة الدعة والخمول ، وفضلوا أن

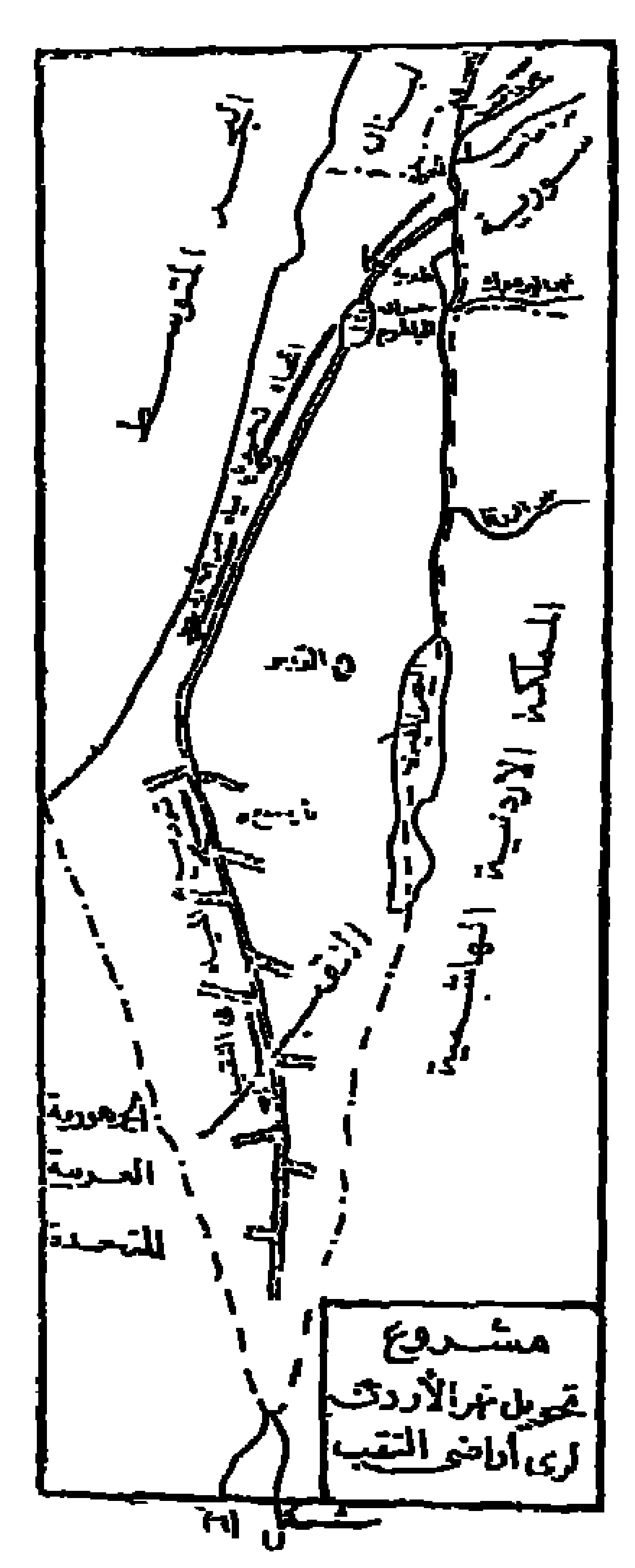
يعيشوا عالة على غيرهم .

(حـ) لو سلمنا جدلا بما يزعمه اليهود ، فإننا نريد أن نسألهم هذا السؤال : إذا كان هؤلاء الذين وفدوا إلى فلسطين . . لا يستطيعون القيام بحرفة الزراعة . . فلماذا جاءوا إليها ؟ وماذا كانوا يريدون؟هل كانوا ينتظرون أن تقوم القلة الباقية من العرب فى فلسطين بعملية الزراعة، ليتجوا من المواد الغذائية ما يكفى للأعداد القادمة من اليهود بينما يعيش هؤلاء القادمون مستريحين لأنهم كما يقولون : تجار أو صناع ؟ ! ! إذا كان هؤلاء المهاجرون قد أحسوا بعجزهم عن القيام بأهم مظاهر الإنتاج ، فلماذا جاءوا إلى فلسطين ؟! بل لماذا يصرون على البقاء بها ؟ لعل الأجدر بهم أن يرحلوا إلى حيث جاءوا .

(د) فى الحقيقة أن فشل اليهود يكمن وراء عوامل كثيرة ، ولا يمكن أن نغض النظر عنها ، واليهود أنفسهم يعرفونها معرفة اليقين ، ولكنهم يحاولون أن يدفنوا رءوسهم فى الرمال . . إن فشلهم يكمن فى نفوسهم المليئة بالحقد والضغينة وسوء علاقتهم بعضهم ببعض ، وعدم تناسقهم أو تجانسهم ثقافياً واجتماعياً وأخلاقياً ولغوياً . . إنهم خليط مختلف النزعات والمشارب والأهواء والميول . . لا رابط بينهم . . إنهم عصابة مغتصبة ، وأفاقون مغترون ، وهذا الخليط العجيب من البشر لا يمكن أن يخلص أحد منهم فى عمله ، وقد أكد ذلك بن جوريون ذات مرة حين قال : « إن فوضى عنيفة ومخيفة تجتاح إسرائيل بسبب تباين خصائص اليهود الاجتماعية والثقافية لعناصر مختلفة لا تجمع بينهم أية رابطة » هذا هو قول زعيم الصهاينة فى الوقت الحاضر . . وشهد شاهد من أهلها . . وهذا بالطبع كانت له آثار بعيدة على الإنتاج ، فقد نتج عن ذلك كثرة المشاحنات، والنزاع الداخلى بين

أفراد الشعب خصوصاً بين اليهود الشرقيين (السفراديم) واليهود القادمين من الدول الغربية (الاشكنازى) .. فمن المعروف أن الحكومة اليهودية وضعت اليهود الشرقيين فى المناطق الزراعية وجعلتهم يشتغلون فى الحرف التى تتطلب عملا مضنياً ومجهودات شاقة . بينما سيطر اليهود الإشكنازى على الحرف الأكثر راحة وربحاً كالصناعة والتجارة ؛ ولهذا نفر الفلاح اليهودى من أرضه، وأهمل زراعتها أو على الأقل أهمل عنايتها ، فقد رأى فى وضعه امتهاناً لمركزه، وتحقيراً لشأنه وظلماً له ، وهذا كله دفعه إلى الحقد على زميله اليهودى القادم من الغرب، ولذلك ترك كثير من الفلاحين أراضيهم الزراعية فى الريف ، واتجهوا إلى المدن يطلبون عملا أكثر راحة وأوفر ربحاً، وحاولت الحكومة الإسرائيلية أن تعالج هذه المشكلة ، فلجأت إلى طرق الإغراء أحياناً ، وإلى طرق التعسف والضغط فى كثير من الأحايين ، وكثيراً ما حرمت الهجرة من الريف إلى المدن ، ولكن هذه المحاولات كلها لم تحقق نتائج مرضية ، وبقيت المشكلة الأبدية التى لا يجد اليهود لها حلا وهى مشكلة من يفلح الأرض . وكانت النتيجة التى لا شك فيها هى نقص الإنتاج .

وهناك بعض اليهود يبررون نقص الإنتاج الزراعى بتبريرات أخرى . فهم يرجعون ذلك إلى قلة المياه اللازمة للرى ، وأن الظروف السياسية وعلاقتهم مع العرب لا تمكنهم من الحصول على المياه اللازمة لزيادة المساحة الزراعية .. فمثلاهم يحاولون تنفيذ مشروع نهر الأردن .. هذا المشروع الذى يقوم أساساً على جذب مياه نهر الأردن وتحويلها إلى الصحراء بوساطة أنابيب تصل إلى خزان الباطوم ، ومنه إلى صحراء النقب . والغرض من ذلك استصلاح مساحات جديدة فى هذه



مشروع تحويل مجرى نهر الأردن
لرى أراضى النقب الذى يحاول
اليهود تنفيذه

المنطقة لزراعتها وجلب أعداد جديدة من اليهود . انظر شكل (٦)

قد تكون حجة اليهود هذه صحيحة بالنسبة لهم ، فمما لا شك فيه أن العرب يقفون فى وجه كل محاولة يقوم بها اليهود للاستيلاء على مياههم . فهل يعتقد الصهاينة أن العرب من السذاجة بحيث يسمحون لهم بتنفيذ مشروعاتهم الاستعمارية القائمة على سياسة التوسع والسيطرة ؟!! لقد انتزعوا جزءاً عزيزاً من أرضهم . . فهل ظن اليهود وهم يأتون إلى فلسطين أن العرب سيرحبون بهم ويساعدونهم أو يسمحون بتحقيق أحلامهم؟!! وماذا يفيد العرب من هذا ؟! هل المساحات التى ستستصلح فى النقب ستنتج لهم محصولا ؟ . بالعكس . . إن ذلك سيكون ضرراً عليهم ، فإن معناه استحضار أعداد أخرى من اليهود فيزيد عددهم . . فليفهم اليهود أن العرب لن يسمحوا بأن تمتد مياه نهر الأردن إلى صحراء النقب إلا فى حالة واحدة . . هى أن تصبح صحراء النقب أرضاً

عربية خالصة للعرب ، وليفهم اليهود أنه لو كانت حياتهم متوقفة على قطرة ماء من نهر الأردن .. فخير لهم أن يموتوا جوعاً من أن يتصوروا أن العرب سيعطونهم هذه القطرة .

يكفى هذا عن الإنتاج الزراعى . . .

أما بالنسبة للإنتاج التعدينى ... فقد ذكرنا من قبل أن بعض المعادن مثل الأملاح توجد فى وحول البحر الميت [١] بخلاف المعادن التى قد تكون مختفية حتى الآن فى أرض فلسطين . ويجب أن نؤكد هنا حقيقة هامة ،وهى أن حكومة الانتداب خلال فترة حكمها على فلسطين لم تحاول الكشف عن المعادن ، ولم تستخرج منها إلا بقدر حاجتها شأنها فى ذلك شأن المستعمرين ،ولعل إنجلترا أرادت بذلك أن تحتفظ بهذه المعادن حتى تسلمها لليهود كخطة من تلك الخطط الصهيونية . . يؤكد ذلك ما قاله الدكتور هومر : « إن جميع الحكومات الإنجليزية التى كانت منتدبة على فلسطين خلال الفترة التى تقع بين الحربين . هذه الحكومات قد أنكرت وجود كميات كبيرة من المواد المعدنية » .

فإذا كان الإنتاج المعدنى فى الفترة السابقة لسنة ١٩٤٨ قد اتصف بالتأخر ،فإن ذلك لم يكن يرجع إلى إهمال العرب أو تقصيرهم .. وإنما كان مردّه إلى السياسة الإنجليزية التى سيطرت على فلسطين خلال تلك الفترة .. فضلا عن عدم توفر الآلات والأجهزة اللازمة لاستخراج هذه المعادن ، وعدم وجود الخبراء الذين لا يستطيعون القيام بدراسة فلسطين من الناحية الجيولوجية ،وحتى لو وجد الخبراء الذين يستطيعون ذلك .. فإن ضميرهم

---

(١) قدرت هذه المعادن بحوالى ٤ بليون جنيه إسترلينى .

الاستعمارى، واتجاهاتهم التعصبية تجعلهم لا يصرّحون بحقيقة ما فى فلسطين من معادن . . سواء عن نوع هذه المعادن أو مناطقها . .

فإذا ما قدر لليهود السيطرة على المناطق الخامة فى فلسطين . . وجدناهم وقد تحققت لهم كل مقومات التعدين من آلا ت وماكينات ومن الخبراء الأجانب ، ومن الأموال الكثيرة . . راحوا يحاولون استخراج ما فى الأرض من معادن . فهل نجحوا فى ذلك ؟

الجواب : لا ! ! فقد ثبت أن كثيراً من مشروعات التعدين التى أنشأها اليهود قد فشل فشلا ذريعاً ، ولم يحقق من النتائج ما يغطى نفقات المشروع وتكاليفه . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر : مشروع استخراج النحاس من جنوب صحراء النقب. .هذا المشروع الذى تكلف أكثر من أربعين مليوناً من الدولارات ، ولكنهفشل بسبب قلةنسبة النحاس الموجودة ، بحيث ثبت أن خام النحاس المستخرج أقل من تكاليف استخراجه. . ولهذا فشل المشروع . . . أما مشروع استخراج البوتاس من البحر الميت. . فقد أنفقت عليه حكومة إسرائيل ما يقرب من خمسين مليوناً من الدولارات ، ولكن إنتاجه من الضآلة بحيث لا يغطى نفقاته .

أما بالنسبة للإنتاج الصناعى . . فقد حاول اليهود أن يجعلوا من فلسطين منطقة صناعية كبيرة — على حد زعمهم — فراحوا ينفقون كثيراً من الأموال ، ويجلبون العديد من الآلات ، وواتتهم الظروف التى لم تكن مواتية للعرب فيما مضى ؛ فأقبلت عليهم الدول الاستعمارية التى اعتادت مساندة الصهاينة مثل الولايات المتحدة وألمانيا وإنجلترا وفرنسا ، وراحت تغدق عليهم الأموال والآلات والخبراء على أمل النهوض بالصناعة . . وكانت هذه كلها أو معظمها فى شكل هبات ومعونات وتعويضات ، بمعنى أن اليهود لم ينفقوا من أموالهم الخاصة كثيراً على هذه المشروعات ، وإنما اعتمدوا على ما يرد إليهم من الأموال الأجنبية ، ومع ذلك فهل نجحت إسرائيل ؟

الجواب : لا . ! ! ذلك لأن كثيراً من المشروعات قد فشل فشلا ذريعاً

ولم تستطع إسرائيل أن تحقق آمالها فى التقدم الصناعى ، ونتج عن محاولاتها العديدة خسارة كبيرة فى الأموال ، وضياع للكثير من الجهود ، ونذكر هنا على سبيل المثال بعض المشروعات الصناعية التى فشلت فيها إسرائيل : فمثلا مشروع مدينة الفولاذ الذى أنشأته إسرائيل قرب عكا لصهر الحديد وسبكه ، وأنفقت عليه الحكومة أكثر من ١٦٠ مليون دولار ، ولكن إنتاج هذا المشروع لم يغط نفقاته حيث قدر ما ينتجه هذا المصنع بما قيمته لا تزيد عن ٢٠,٠٠٠ دولار فقط فى السنة ، وهى قيمة ضئيلة جداً بالنسبة لرأس المال والنفقات . . ومشروع آخر هو مشروع ميرار لصنع مواسير الأسمنت وقد فشل هذا المشروع بسبب تلف المواسير المصنوعة نتيجة لحالات التشقق التى أصابها من جراء تعرضها لذبذبات المناخ وهو ما لم تعمل الشركة حسابه. وكثير من المشروعات الأخرى التى لا يتسع المقام هنا لسردها كلها .

وإذا كان اليهود يتشدقون ببعض المشروعات الصناعية الأخرى التى يعتقدون أنهم نجحوا فيها ، مثل مشروعات الغزل والنسيج ، وصناعة الصابون وحفظ الفواكه . . فإننا نقول لهم : إن مقياس التقدم الصناعى لا يقاس بهذه المصنوعات دون المصنوعات الأخرى . ومن الملاحظ أن كثيراً من المصنوعات الخفيفة التى تقوم بها إسرائيل الآن ليس لها قيمة اقتصادية كبيرة ، مثل صناعة العطور وأدوات الزينة وغيرها من الصناعات الكمالية.

وحتى هذه الصناعات تتضاءل يوماً بعد يوم ، ويعتريها الكساد ، وكثيراً ما تتعرض مصانعها لأزمات اقتصادية عنيفة ..تؤدى فى كثير من الأحيان إلى توقف هذه المصانع وإفلاسها ، وقد حاولت حكومة إسرائيل أكثر من مرة مساعدة هذه المصانع كى تستطيع الصمود أمام الأخطار التى تتهددها ، ولكن كثرة المشكلات والمصاعب كانت أقوى من كل محاولات الحكومة ، وذلك لعدة أمور : منها أن هذه المصنوعات لا تجد حتى فى إسرائيل نفسها — سوقاً لتصريفها ، فإن اليهود أنفسهم لا يقبلون

على شرائها..إما لعدم جودتها أو لارتفاع أسعارها بصورة تجعل الصناعات الأجنبية أكثر رواجاً منها . . ومنها أن المواد الخام اللازمة لهذه المصانع.. معظمها غير موجود فى إسرائيل مما يضطرها إلى استيرادها من الخارج ، وهذه الناحية من الأمور التى تعقد المشكلة،بسبب ما تتعرض له إسرائيل من ذبذبات فى علاقتها مع الدول الأخرى . . ولقد حاولت إسرائيل أن تغزو بمصنوعاتها دول آسيا وأفريقيا ، وسعت بكل الطرق لتجعل من هذه الدول سوقاً لتصريف بضائعها ، ولكنها اصطدمت بالكثير من المشاكل.. فإن أعداء إسرائيل يتزايدون يوماً بعد يوم ، وأصدقاءهم يقلون ، والعلاقات بينها وبين غيرها من الدول تضعف يوماً بعد يوم . . ومن هنا أصبح تصريف هذه المصنوعات غير مضمون .. الأمر الذى يهدد كل مصانع إسرائيل بالتوقف . . فإذا أضفنا إلى كل ما سبق أن كثيراً من الدول الآسيوية والأفريقية بدأت تنتج بعض مصنوعاتها لتكفى نفسها بنفسها . . أدركنا مدى ما تعانيه المصنوعات الإسرائيلية من مشاكل ، ومدى ما تواجهه من مصاعب ستظهر آثارها بصورة أكثر وضوحاً فى الأعوام القادمة ، مما قد يؤدى إلى شل الحركة الصناعية فى إسرائيل .

وعلى ذلك يمكن أن نقول : إن إسرائيل لم تنجح فيما أسمته بالتقدم الصناعى لفلسطين . . .

أما بالنسبة للتجارة : فلم تكن أحسن حالا من الزراعة أو التعدين ؛ لأن النشاط التجارى مرتبط ارتباطاً وثيقاً بكل النواحى السابقة من حيث الإنتاج والاستهلاك، ومن حيث الفائض للتصدير . . فضلا عن أن التجارة مرتبطة دائماً بالعلاقات الدولية ، وهذه كلها أمور ليست فى حاجة إلى الشرح حتى تثبت مدى ما تعانيه التجارة الإسرائيلية من مصاعب ، ولكننا نرى أن نضع أمام القارئ الحقائق الآتية :

١ — كثير من المواد الزراعية التى كانت تصدرها فلسطين قبل

سنة ١٩٤٨ قد قلّ كثيراً الآن ، فمثلا كان يصدر من البرتقال حوالى ٩ — ١٢ مليون صندوق فى السنة . . . أصبحت الكمية الآن تتراوح بين ٦ — ٩ ملايين صندوق فقط ، أى بعجز قدره حوالى ٣٥٪ تقريباً ، وما يقال عن البرتقال يمكن أن يقال عن الفواكه والزيتون والعنب التى تتراوح كمية النقص فيها بين ١٠ و ٢٥٪ .

٢ — الميزان التجارى دائماً فى غير صالح إسرائيل.. حيث يتراوح العجز كل عام بين ٣٠٠ — ٥٠٠ مليون دولار . وهذه قيمة عالية بالنسبة لاقتصاد إسرائيل وماليتها .

٣ — تواجه إسرائيل فى تجارتها الخارجية صعوبات كثيرة منها عدم وفرة الأسواق التى تمتص تجارتها .. بالإضافة إلى الحصار الاقتصادى الذى تفرضه الدول العربية والذى كان من نتائجه تضييق حلقة المعاملات التجارية بين إسرائيل والدول الآسيوية والإفريقية . . وقد حاولت إسرائيل مراراً أن تغزو بمصنوعاتها التافهة والرديئة دول أفريقيا الوسطى والغربية ، ولكن هذه المصنوعات لم تستطع الصمود أمام مصنوعات الجمهورية العربية المتحدة ، الجيدة ، الوفيرة ، المعتدلة الثمن ، ورأت إسرائيل ذات يوم أن تحقق لنفسها بعض المكاسب عن طريق انضمامها للسوق الأوربية المشتركة حتى تضمن توزيع مصنوعاتها ولو عن طريق غير مباشر أى عن طريق الدول الأوربية ، ولكنها اصطدمت بالكثير من العراقيل ولم تنجح محاولاتها فى ذلك .

٤ — تواجه إسرائيل مشاكل اقتصادية لا حصر لها منها : كثرة ديونها التى تصل حوالى ٣ بلايين ليرة ، وستتضاعف حتماً فى الأعوام القادمة .. فضلا عن العجز فى ميزانيتها الذى يتراوح ما بين ١٠٠ — ١٨٠ مليون ليرة فى السنة ، بالإضافة إلى أن إسرائيل تضطر إلى إنفاق ما يقرب من نصف ميزانيتها على التسلح حتى يمكن — حسب ظنها — أن تواجهه قوة العرب ،

وقد ترتّب على ذلك أن الحكومة لا تستطيع أن تتحمل فرق الأسعار ، ولا يمكن أن تخفض إسرائيل أسعار صادراتها بطريقة تستطيع بها المنافسة.. سواء بالنسبة للدول العربية .. أم الدول الأخرى .

٥ ــ الأصناف التى تصدرها إسرائيل معرّضة من حيث الكمية والنوع للذبذبة ، وذلك بسبب كثرة الاضطرابات وحركات التمرد فى المصانع ، ولعل هذه الاضطرابات ترجع فى حد ذاتها إلى كثير من العوامل ، مثل قلة الأجور وسوء المعاملة ، والشعور بالنفور بين أفراد اليهود بعضهم وبعض ، نتيجة عوامل شخصية واتجاهات عنصرية لم يستطع.. ولن يستطيع المجتمع الصهيونى أن يتخلص منها ، وعلى كل حال فقد ترتب على ذلك إفلاس كثير من المؤسسات التجارية والصناعية ، وكثرت حوادث السلب والنهب ، وكلها من العوامل التى تؤدى إلى قلة الإنتاج وذبذبته ، ومن هنا ضعفت ثقة الدول التى كانت ترتبط بروابط اقتصادية مع إسرائيل ، وراحت كثير من الدول التى كانت تتعامل معها تلغى عقودها ومعاهداتها ؛ مما يهدّد تجارة إسرائيل بالكساد والتوقف .

هذه هى الصورة الحقيقية للاقتصاد الإسرائيلى: إنتاج زراعى ناقص ، وإنتاج صناعى متهالك فاشل ، وأموال تنفق هنا وهناك بدون حساب ، ومقدمات تحذر من النتائج ، ومعاملات تجارية مذبذبة ، ومع ذلك تصرّ إسرائيل على قولها : إنها خلقت من فلسطين منطقة متقدمة ! !

وقبل أن نترك هذا الموضوع يجدر بنا أن نلقى نظرة عابرة على الظروف المالية والاجتماعية لإسرائيل ، ويمكن أن نلخصها فى النقط الآتية :

١ ــ غلاء مستمر فى الأسعار حتى لقد وصل ثمن البيضة إلى ما يساوى خمسة قروش ، والدجاجة الواحدة أكثر من مائة قرش .

١ ــ نقص فى المواد التموينية والسلع الضرورية اللازمة للاستهلاك المحلى. كاللحوم والخبز والبترول واختفاء كثير منها من السوق .

٣ ــ ازدياد الضرائب وتنوعها عاماً بعد عام ، فبالإضافة إلى زيادة

شرائح الضرائب العادية مثل ضرائب العقارات والملكية الزراعية وضريبة الدخل والجمارك .. استحدثت ضرائب أخرى مثل الضرائب على المسافرين إلى الخارج وضرائب الخمور والكماليات ومكوس الشراء والتنقل . . وهذه كلها تثقل كاهل الشعب .

٤ ــ انخفض سعر الليرة الإسرائيلية إلى النصف ، مما كان له أثر كبير فى انهيار الاقتصاد الإسرائيلى ، واضطرت الحكومة إلى عقد كثير من القروض الداخلية والخارجية ، والعمل على جلب مزيد من الإعانات والهبات الخارجية .

٥ ــ انتشرت كثير من العيوب الاجتماعية : كالسلب والنهب والرشوة والتشرد ، وامتد الفساد إلى كثير من مرافق الدولة ، وقد ساعد على ذلك ما اتصف به اليهود من ضعف ضمائرهم وحبهم للمال . وقد حاول كثير من اليهود أن يغادروا فلسطين ليعودوا إلى بلادهم هرباً من سوء الأحوال ، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك ؛ فقد أوصدت فى وجوههم كل الأبواب ، ومنعوا من الخروج بكل الطرق والوسائل .

ونعود بعد ذلك لنبحث عن الثرى الذى تحدثنا عنه فى أول هذا الفصل فنجده قد فشل فعلا فى تحقيق ما كان يرجوه وما يدعيه ، وفشلت كل خططه ، وضاعت معها أوهامه .

وهكذا لم يستطع الصهاينة أن يحققوا ما رسموه . . بل على العكس من ذلك تسببوا فى تأخير هذه المنطقة . . لا اقتصادياً فحسب بل اجتماعيا أيضاً . . فضلا عن المشاكل التى سببوها لكل سكان الشرق بل للعالم كله ، وكثيراً ما كانوا ، وما يزالون ، نيراناً يتطاير شررها أحياناً ، لتشعل حرباً ، عالمية ثالثة لولا لطف الله .

لقد صدق أوسكار ليفى حين قال : «نحن اليهود .. لسنا إلا مفسدى العالم ومدمريه ، ومرتكبي الفتنة فيه ، وجلاديه . . »

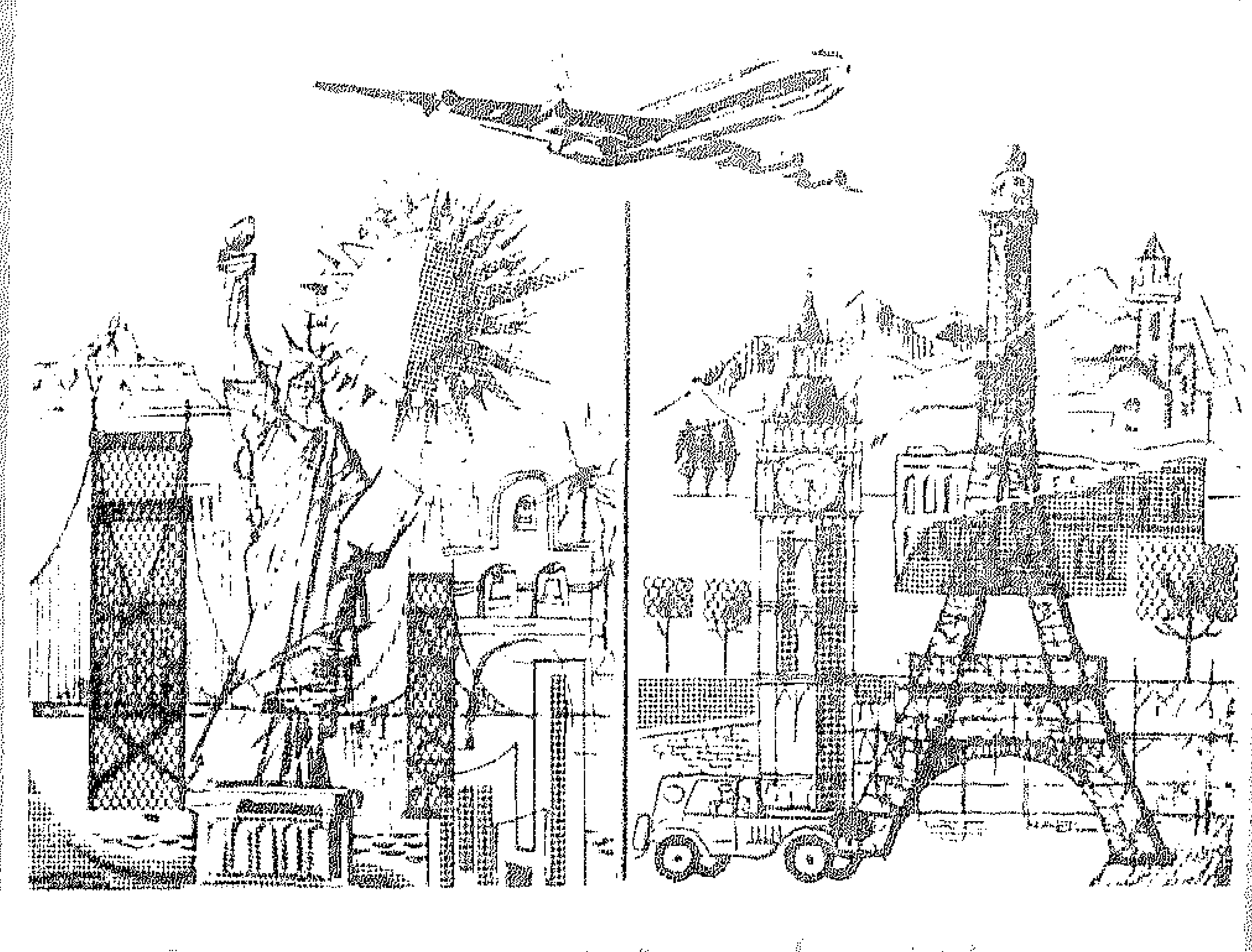
فهرس

الموضاعات	الصفحة
مقدمة	٥
الباب الأول : بين اليهودية.. والصهيونية . . .	٧
الفصل الأول : اليهودية.. قديماً	٩
الفصل الثانى : الصهيونية ... حديثاً . . .	١٦
الباب الثانى : حقيقة المزاعم الصهيونية فى فلسطين . .	٣٢
الفصل الأول : خرافة أرض الميعاد . . .	٣٤
الفصل الثانى : أكذوبة الحق التاريخى . .	٥٥
الفصل الثالث : وعد بلفور.. باطل . . .	٧٤
الفصل الرابع : .. والانتداب	٨٧
الفصل الخامس : اليهود لم يشتروا أرض فلسطين .	٩٩
الفصل السادس : قسمة ضيزى . . .	١١١
الفصل السابع : إسرائيل ... تسير نحو الهاوية . .	١٣٧

فهرس الخرائط

رقم الخريطة	عنوان الخريطة	الصفحة
١ —	حدود أرض الميعاد كما يتخيلها الصهاينة . . .	٣٨
٢ —	الدول والممالك القديمة التى سكنت الشام وبلاد الرافدين .	٥٩
٣ — (ا)	تقسيم لجنة بيل سنة ١٩٣٧	١١٥
٣ — (ب)	تقسيم الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ . . .	١١٨
٣ — (حـ)	تقسيم برنادوت	١٢٠
٣ — (د)	فلسطين حالياً	١٢١
٤ —	توزيع الأمطار فى فلسطين	١٣٩
٥ —	درجة خصوبة أرض فلسطين	١٤٠
٦ —	مشروع تحويل مجرى نهر الأردن . . .	١٤٧

تم طبع هذا الكتاب
على مطابع دار المعارف بمصر



٥ قروش ج.ع.م	١٠٠ مليم في ليبيا	١,٥٠ ديناراً في الجزائر
٦٠ ق. ل	٧٥ فلساً في العراق والأردن	١٥٠ فرنكاً في المغرب
٧٥ ق	١٢٠ فلساً في الكويت	١ ريالا سعودياً